

مفهوم الإمامة ومشروعيتها وشروطها

عدون جهلان

الفكر السياسي عند الاباضية

من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش  
1236-1332 هـ / 1818-1914 م

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع  
السيب - سلطنة عمان

هدية من

<http://www.ibadhiyah.net>

<http://www.istiqama.net>

إهداء  
إلى والديّ الكريمين: برا وإحسانا واعترافا بالجميل....  
إلى روح القطب الزكية: تخليدا لذكراه.....  
إلى مشائخي وأساتذتي وزملائي: تقديرا واحتراما ووفاء.....  
إلى كل مهتم بالفكر الإنساني: يتلمس سبل النجاة في عصر الأهواء.....  
إلى كل مجتهد لتحقيق مجتمع آدمي عادل، يقوم على أسس من  
الخير والسلام والحب في الله.....  
إلى هؤلاء أقدم باكورة بحثي.

القيم الخالدة:

ع. جهلان

## هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

بعد أن اكتملت فصول البحث وتناقشت، لتؤلف هذا الكتاب المتواضع، أجدني ملزماً- من باب الاعتراف بالجميل وشعوراً بواجب شكر النعمة- أن أتقدم بالثناء الطيب والشكر الجزيل لمن كان السبب في إخراج هذا الإنجاز إلى حيز الوجود. وأخص بالذكر أستاذي الدكتور أبو عمران الشيخ، إذ تكرم بالموافقة على موضوع الرسالة، وتحمل أعباء الإشراف على البحث، فرعاني رعاية الوالد لولده، وكان لي خير أستاذ وموجه.

ثم لا أنسى فضل أستاذي الدكتور محمد ناصر علي لما وجدت عنده من قلب مفعم بالإخلاص، وعقل نير مرشد، ولسان رطب نصوح لقد تعلمت منه أن الخلق الطيب والاستقامة في السلوك، والإخلاص في العمل، أهم وأولى من الثقافة والمنصب، فكان لي خير قدوة.

كما أوجه خالص شكري وعظيم امتناني لكل يد بيضاء امتدت لتساعدني من قريب أو بعيد لإنجاز هذا العمل، راجياً من المولى العلي القدير أن يثيب الجميع بخير ما عنده من أجر عظيم وعطاء جزيل، إنه سميع مجيب.

وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان

## مصطلحات

أ	الأستاذ	ص	الصفحة
ت	توفي	ط	الطبعة
تح	تحقيق	ق	القرن
تر	ترجمة	م	التاريخ الميلادي
تص	تصحيح	مج	مجلد
تع	تعليق	مج	مجلة
ج	الجزاء	مخ	مخطوط
ح	الحاج	مر	مراجعة أو راجعه
د.	الدكتور	م.س	المصدر السابق
دتا	بدون تاريخ	مط	المطبعة
(رضي)	رضي الله عنه	نا	الناشر
ش	الشيخ	هـ	التاريخ الهجري
(ص)	صلى الله عليه وسلم		

## مقدمة

يعالج هذا البحث موضوع الفكر السياسي وما يتعلق به من آراء حول الإمامة. ونظام الحكم عند الإباضية، مع التركيز على آراء الشيخ محمد بن يوسف اطفيش اليسجني المعروف بقطب الأئمة ( 1236-1332! 1818-1914).

ولا شك في أن الإباضية قد ساهمت في إثراء الفلسفة الإسلامية بأن جمعت إلى آرائها الفقهية والكلامية مواقف واضحة ومبادئ ثابتة في السياسة، فشكلت بذلك نظرية مميزة ضمن الفلسفة السياسية عند المسلمين. وبما أن الإباضية لم تدرس آراؤهم السياسي- بالخصوص- كما درست آراء الأشاعرة والمعتزلة والشيعية قديما وحديثا. فأن موضوعا يتناول بالبحث آراء الإباضية ويكشف الستار عن الجانب السياسي لفكر هذه الفرقة الذي لم يخرج معظمه من خزائن المخطوطات، لا ريب سيستفاد فراغا في جانب من الفكر الإسلامي لم يحظ باهتمام الدارسين. ومن هنا تبرز أهمية الموضوع.

ومن أهم الدوافع إلى اختيار هذا الموضوع ما نلاحظه من غياب الدراسات العلمية حول الإباضية الشيء الذي جعل هذه لم تعرف على حقيقتها سواء في أصولها العقيدية أم آرائها الكلامية أو السياسية إلا عند القليل من الدارسين الفكر الإسلامي وهذا مما يستوجب العمل الدؤوب لدراسة فكرها دراسة أكاديمية موضوعية.

ومن البواعث أيضا ما نلاحظه من الواقع السيء للمسلمين الذين لم يوحدها في السياسة رأيا، ولم يستقروا في نظم الحكم على مبدأ، وهم باقون على ما هم عليه ما داموا ذوي نزوع إلى تشريع نظم وسن قوانين تبعد عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وبما أن الإباضية فرق إسلامية تعتمد في وضع مبادئها على أصول التشريع الإسلامي فإن الآراء السياسية عندها تمثل رافدا هاما للتيار الإسلامي في الفكر السياسي بما تقدم من تجربة ناضجة في نظام الحكم وتسييس الرعية بمقتضى الشرع.

أما عن بواعث التركيز على آراء الشيخ اطفيش فتتلخص فيما يلي:

أ- شعورا مني بضرورة الاهتمام بعلماء المغرب العربي الذين لم يوف نصيبهم من العناية الإقليلية، ولم تدرس أفكارهم دراسة جديّة إلا نادرا، هذا على الأقل إذا قارنا ذلك بحجم الدراسات التي تناولت فكر المشاركة من العلماء وإيماننا مني بقيمة التراث المغربي فإني أراه أولى بالاهتمام من غيره فكيف إذا كان العالم جزائريا؟

ب- عندما اهتم الدارسون بالفلسفة السياسية عند المسلمين رجعوا إلى مصادر الفكر السياسي الإسلامي فبحثوا في تراث الفارابي (ت 339 هـ -950م) وابن أبي الربيع (ق3 هـ -9م) والغزالي (505هـ-1111م) وابن خلدون (ت 808 هـ -1406م) وغيرهم دون الالتفات إلى مفكرين إباضيين لا يقل تراثهم أهمية من غيرهم فتساءلت عما إذا كان للإباضيين إسهام في المجال السياسي ومن ثم كانت دراستي أشبه ما تكون بعملية تنقيب عن كل ما له علاقة بموضوع السياسة في التراث أباضي، فوجدت معظم مادة البحث قد تناولها الشيخ اطفيش بالدراسة موضحا رأيه فيها، وهو تعبير عن رأي الإباضية في الوقت ذاته. كما وجدت آراءه تتسم بعمق التفكير وبعد النظر مما يدل على استكمال النظرية السياسية وثبوت مبادئها لديه وليس ذلك غريبا إذا علمنا أن الشيخ اطفيش عاش في نهاية القرن 13 هـ -19م ويكون بذلك قد استفاد من التجربة السياسية للإباضية عبر مراحل تاريخها، فضلا عن اطلاعه على مؤلفات من

سبقة من مؤلفي الإباضية وأخص بالذكر منهم: الشيخ تبغوريين بن عيس (ق5 هـ - 1174م) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوردجاني (ت450 هـ - 1174م) أبو عمار عبد الكافي الإباضي (ق6 هـ - 11م) أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي (ت750 هـ - 1350م)، وأخيرا الشيخ عبد العزيز الثميني (ت1223 هـ / 1808م). ومن هنا فقد تأكدت لدي قناعة بأن دراسة فكر القطب يعني الإمام بالفكر الإباضي في الوقت نفسه.

ويهدف البحث فيما يهدف إلى التعريف بالنظرية السياسية الإباضية، وتحليلها ثم تقييم أبعادها الفكرية بالنقد والمقارنة، وهذا من أجل فتح باب جدير بالاهتمام في الفلسفة الإسلامية لم يحظ بالدراسة والنقد حتى الآن.

أما إشكاليات البحث فقد صيغت في شكل أسئلة يحاول البحث الإجابة عليها. اعتمادا على المصادر الإباضية ويمكن طرحها كما يلي:

1- ما هم مفهوم الإمامة عند الإباضية؟ وما رأيهم في مشروعيتها و وحدتها؟ وشروطها؟ ومن يستحق منصب الخلافة عندهم؟

2- ما نوع الحكم عند الإباضية؟ وفيه تتجسد ديموقراطية السلطة؟ وتعيين الحاكم؟ واختيار أعوانه؟

3- ما هو موقف الإباضية من السلطان الجائر؟ ومن حكم مخالفهم فيهم؟ وما هو البديل حين يعجزون عن إقامة الدولة؟

4- ما الأبعاد السياسية في نظرية "مسالك الدين"؟ وما قيمة الفكر السياسي الإباضي ضمن الفلسفة الإسلامية؟

وانطلاقا من هذه التساؤلات شرعت في جمع مادة البحث ومعالجة الموضوع معتمدا على المنهج التاريخي فعرضت أهم آراء الإباضية مع تحليلها وإبراز مواطن الاتفاق والاختلاف بينها وبين آراء المذاهب السياسية الأخرى من خلال المقارنة ثم استخلصت النتائج الأساسية التي تميز النظرية السياسية الإباضية عن غيرها.

لكن لم يكن ذلك بالأمر الهين. فلقد اعترضتني صعوبات منذ الخطوات الأولى للبحث. من أهمها ما يلي:

1- لم أجد دراسة معاصرة تناولت هذا الموضوع بالبحث باستثناء إشارات عابرة ضمن دراسات ذات طابع تاريخي أو عقدي غير متخصصة في السياسة نذكر منها- على سبيل المثال- تحليل د.عمار طالبي(معاصر) لمبحث الإمامة وهو ملحق لكتاب الموجز لأبي عمار عبد الكافي. ودراسة أ. دنجال G.Dangel (معاصر) في كتابه: الإمامة الإباضية في تاهرت(416-909) L, Imamat Ibadite de Tahert, ودراسة أ. بيار كيرلي (معاصر) P.Cuquery حول الإمامة عند الإباضية في فصل ضمن كتابه مدخل لدراسة المذهب الإباضي وعقيدته. Introduction a l'ctude de L,Ibadisme et de sa theologie.

ومحاضرة أ. محمد الثميني (معاصر) مفهوم الشورى والديموقراطية في التاريخ العربي لدى الدول الرستمية. ولعل أول محاولة معاصرة لدراسة الفكر الإباضي دراسة تحليلية مقارنة كانت من طرف الشيخ علي يحيى معمر(ت1979 م) في كتابه الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات القديم والحديث. ثم جاء بعده د. عوض الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في شمال أفريقيا. والتنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان.

وفيما عدا هذه الدراسات لا نكاد نقف على إشارة للفكر السياسي الإباضي- حسب اطلاعنا- أما عن حركة الحوار فهي كذلك لم تحظ بالدراسة الكافية.

- 2- بما أن الإباضية لم يهتموا بالجانب النظري في المجال السياسي إلا قليلا فإنهم لم يتركوا أثارا مستقلة لهذا الجانب مما اضطرني إلى البحث عن كل ما له علاقة بموضوع السياسة، بين كتب الفقه وأصول الدين ضمن المباحث الاجتماعية، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإمامة والولاية والبراءة، والأحكام والدماء، هذا إذا استثنينا ما وجدته في (قاموس الشريعة) للشيخ جميل بن خميس السعدي العماني(ق19 م) وهذا القاموس عبارة عن موسوعة فقهية تقع في 90 مجلدا. أفرد لموضوع الإمامة فيه بكتاب خاص لا يزال مخطوطا. وبما أن البحث مركز على آثار القطب فإني لم أعتد على الخطوط المذكورة التزاما بمنهجية الدراسة.
- 3- أمام ندوة المصادر اضطررت للرجوع إلى تاريخ باعتباره مصدرا بديلا للمادة نظرا لأهميته في دراسة الفكر الإباضي علما ان الإباضية حريصون على تطبيق مبادئهم، وتجسيدها عمليا ولذلك كانت التجربة الإباضية غنية في الميدان السياسي ومن هنا تزداد صعوبة البحث بالخط بين التاريخ والفلسفة.
- 4- من بين المصادر الإباضية المهمة يوجد منها عدد لا يزال مخطوطا وهذه الأخيرة يندم وجودها في المكتبات العامة فضلا عن الوطنية والجامعية، فسعيت للحصول عليها في الخزائن الخاصة بقرى وادي مزاب وتكلف مني ذلك جهدا وعناء.

## هيكل البحث

قسمت البحث إلى: مدخل وبابين، يضم كل منهما أربعة فصول، ثم الخاتمة. في المدخل اختصرت أسباب نشأة الفكر السياسي عند المسلمين وما نتج عن ظهور المذاهب السياسية، وكان ذلك تمهيدا في صميم الموضوع والتركيز على المذهب الإباضي.

الباب الأول (المذهب الإباضي) ويضم الفصول التالية:

الفصل الأول: فصلت فيه الكلام حول ظهور الإباضية كفرقة مستقلة متميزة برجالها وآرائها كما وضحت فيه ظروف النشأة وأصل التسمية بالإباضية ثم أجملت القول حول انتشار هذا المذهب في المشرق العربي ومغربه.

الفصل الثاني: عرضت فيه أصول العقيدة عند الإباضية، وهي تسعة: التوحيد، العدل، القضاء والقدر، الولاية والبراءة، الأمر والنهي، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، لا منزلة بين المنزلتين، الأسماء والأجسام، ثم وضحت آراء الإباضية ومواقفهم من بعض المسائل الخلافية بين المذاهب ومن أهمها: نفي الرؤية ومسألة الخلود، وخلق القرآن.

الفصل الثالث: بينت علاقة الإباضية بالفرق الإسلامية مع الإشارة إلى أوجه الاتفاق والاختلاف مع كل من الأشعرية والمعتزلة والشيعة والخوارج.

الفصل الرابع: بعد التعريف بالإباضية وآرائهم وعلاقتهم بغيرهم حصرت دائرة البحث حول شخصية الشيخ محمد بن يوسف اطفيش فتعرضت إلى حياته وأثاره والتعريف بمعالم فكره.

الباب الثاني: (الفكر السياسي عند الإباضية).

الفصل الأول: عرضت فيه تصور الإباضية لمسألة الإمامة وبينت آرائهم حول مفهومها ومشروعيتها وشروطها وثبوتها مع المقارنة بين آراء الإباضية مع غيرها من آراء المذاهب الإسلامية الأخرى.

الفصل الثاني خصصته لنظرية مسالك الدين عند الإباضية وهي نظرية سياسية اجتماعية، تحدد مواقف الإباضية من الأوضاع التي تعترضهم كما تحدد نوع الإمامة وطبيعة كل سلطة سياسية تختلف باختلاف المراحل الأربع لمسالك الدين وهي:

1- الظهور.

2- الدفاع عن الدين والدولة.

3- الشراء وعلان الثورة ضد الفساد والعدو الظالم.

4- الكتمان وفيه يبتعد الإباضية عن المجال السياسي ويتنازلون عن إقامة الدولة ليشتغلوا بالإصلاح الديني والاجتماعي.

الفصل الثالث: وهو خاص بالإمام في مرحلة الظهور، وتناولت فيه مسألة اختيار الإمام وتنصيبه وقبل ذلك شروط الإمامة ومؤهلاته، وموجبات عزله أو الخروج عليه. وبينت موقف الأمة من الإمام العادل. كما حددت واجبات الإمام الأساسية ومسؤولياته، ومنها الأمنية والإدارية والدينية والاقتصادية والاجتماعية.

الفصل الرابع: عرضت فيه جهاز الحكم المتكون - علاوة على الإمام - من مجلس الشورى والوزير والقاضي والولاة والحسبة والشرطة والجيش مع تحديد مهام وصلاحيات كل من يتولى هذه المناصب.

الخاتمة: استخلصت فيها نتائج البحث الأساسية، وأجملت فيها القول حول ديموقراطية السلطة في الدولة الإباضية بالمقارنة مع الآراء السياسية عند فلاسفة الإسلام.



## مدخل أهمية دراسة الفكر السياسي

لا يزال الصراع بين الفكر والواقع يشكل أهم ميزات العصر الحديث، حيث أصبحت الأفكار تحدد أهداف الإنسان وغاياته. وتوجه الجماعات في نمط من السلوك والممارسة ضمن مسيرة حضارية، وبالأفكار تتحد الشعوب أو تختلف، ويتخذها الساسة مطية للمحافظة على السلطة. وما نظم الحكم المختلفة إلا تجسيدات عملية للأفكار السياسية والاجتماعية أفرزها واقع الإنسان من خلال حاجاته الاجتماعية والقيم الروحية والمادية والتطلع نحو الأفضل. فانطلاقاً من جدلية الفكر والواقع، تتشكل المذاهب السياسية والاجتماعية والأخلاقية، وتختلف هذه باختلاف الغايات والاتجاهات وظروف الحياة التي يعيشها الإنسان إلا أنها تسعى جميعاً إلى التوفيق بين الجوانب الأساسية في حياة المجتمع وهي ثلاثة:

- الجانب الروحي متمثلاً في عقيدة تشكل القاعدة النظرية.
- والجانب المادي في شكل نظم اقتصادية.
- والجانب التنظيمي متمثلاً في جهاز والترتيب الإدارية. ولعل أهم هذه الجوانب هو الجانب الروحي إذ لا يقوم مذهب سياسي أو اجتماعي إلا على أصول عقائدية (دينية) أو فكرية فلسفية تستمد جذورها من مناخ عدة منها الواقع فتكون الأوضاع القائمة وما تفرزها الحياة البشرية من خبرات بمثابة الأصول التجريبية، التي يستخدمها إعلام الفلسفة السياسية في وضع تعاليم وصياغة آرائهم ومثال ذلك حضارة شرق آسيا التي قامت على مبادئ الكونفوشيوسية<sup>(1)</sup> كما كانت آراء هيجل<sup>(2)</sup>، ونيتشه<sup>(3)</sup> هي السند الفكري للحزب الاشتراكي الألماني (النازي) كما غدت آراء هيجل الدعامة الفكرية لكارل ماركس<sup>(4)</sup> ومن والاه من مفكري الاشتراكية<sup>(5)</sup>. أما عند المسلمين فتعود جذور الفكر السياسي لديهم إلى أصول العقيدة الإسلامية بالإضافة إلى حصيلة الآراء السياسية لمفكري الإسلام وفقهائه ونذكر - على سبيل المثال - الآراء السياسية التي وضعها المهدي ابن تومرت<sup>(ق12 م)</sup> وهي تشكل الإطار النظري والسند الفكري للدولة الموحدية<sup>(6)</sup> ولعل أهم ما يتميز به الفكر السياسي عند المسلمين أنه لا يفصل بين الدين والدولة فالعلاقة بين الجانبين ليست مصطنعة بل أصيلة تنبع من التعاليم الدينية ويفرضها الاجتماع المدني بحيث ينتقي التفاصيل بين الجانبين لأن الواحد منهما يكمل الآخر لتنظيم أحوال الدولة وسياسة الرعية.

إلا أن هذه العلاقة قد تتعرض إلى زعزعة فتعيد عن أصلها بفعل الاحتكاك الحضاري، وتغير الظروف وتعاقب الدهور. فإذا حدث شيء من ذلك، هيمن المضمون الاجتماعي والمصلحة الدنيوية على الجانب الروحي، وعندئذ تضعف فعالية القيم الدينية والتعاليم السماوية في غياب الوعي الإسلامي وفتور الوازع الديني. وهذا ما حدث في التاريخ الإسلامي بتفاوت بين الدول الإسلامية من حيث اتساع أو ضيق الهوة الفاصلة بين الجانب الديني والجانب

(1) نسبة إلى كونفوشيوس (نحو 551-379 ق.م) فيلسوف صيني لا يقر بالله.  
(2) فريدريك هيجل Hegel (1770-1831م) فيلسوف ألماني قال الكائن والفكر شيء واحد.  
(3) نيتشه Nietzsche (1844-1900م) فيلسوف ألماني يقوم مذهبه على إرادة القوة.  
(4) Marx (1817-1883م) من رجال السياسة والفلسفة الاجتماعية عاش في ألمانيا.  
(5) فؤاد محمد شبيل الفكر السياسي، القاهرة 1974م ج1، ص15.  
(6) دولة شيعية في المغرب والأندلس، أشهر سلاطينها: عبد الرحمن بن علي.

السياسي- الدنيوي- على أن هذا التفاوت قد نلاحظه في الدولة الواحدة بين فترات زمنية متباعدة.

وهذه الدراسة التي بين أيدينا تلقي ضوءاً على التجربة الإباضية في موضوع الحكم وهي تجربة إسلامية حاولت أن تبقى العلاقة بين الدين والدولة قائمة على أسس تضمن التوفيق بين الجانبين من أجل تحقيق المصالح الدنيوية في حدود الشرع.

## نشأة الفكر السياسي عند المسلمين

يتمحور الفكر السياسي عند المسلمين حول مسألة الخلافة أو الإمامة وهي خلافة النبي في إدارة شؤون المسلمين وتسييس الرعية، فصاحب هذه المهنة هو الحاكم الأعلى لجماعة المسلمين.

تولى الخلافة أولاً أبو بكر (رضي) فالتزم بالكتاب والسنة وحرص على تطبيق العدالة الاجتماعية بعيداً عن العصبية، والتميز العنصري فخلاً عهده من الاقتراق، ثم تلاه عمر بن الخطاب (رضي) فاتسمت سياسته بالعدالة المطلقة، واجتهد في وضع القوانين والنظم في إطار الحدود الشرعية بحسب ما تقتضيه المصلحة العليا للأمة، التي اتسعت رقعتها وضمت ألواناً جديدة من الأجناس محملة برصيد فكري مميز وقيم أخلاقية واجتماعية لم يعهدها المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية، فعاش الجميع في ظل القيادة الإسلامية، لا فرق فيما بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

لكن باعتراف عثمان (رضي) عرش السلطة تغيرت الأوضاع وبدأ الضعف يدب في الساسة فضلاً عن العامة ونتج عن ذلك ظهور النعرة القبلية من جديد واستقل خطر العصبية التي أذابها الإسلام واستمر الوضع في ترد إلى حين قتل عثمان وخلفه علي (رضي) ولم يتمكن من رأب الصدع فتطور الخلاف إلى صراع مسلح، ومن ثم تخربت الأمة الإسلامية فصارت فرقا ومذاهب تدعي كل منها إن الحق بجانبها، وغيرها على ضلال، وكان الخلاف يبدو في ظاهره خلافاً فقهياً- دينياً- لكنه يعكس في حقيقته صراعاً بين الشرائح الاجتماعية والطبقات ذات السيادة. وبقي الحال على هذا النحو إلى أن استقر الحكم عند العباسيين، وفي خضم هذا الصراع حول منصب الخلافة ظهر كتاب مسلمون تناولوا هذه القضية بالبحث والدراسة والنظرية، من أجل إضفاء الشرعية للأحداث السياسية. وتأييد الزعماء القائمين برعاية المسلمين، أو نقد الأوضاع ومحاربة أصحاب السلطة لاحتكارهم مقاليد الحكم دون موجب شرعي وكان هؤلاء الفقهاء والمفكرون يعبرون في الغالب عن آراء الفرق التي ينتمون إليها. فآثرت الشيعة مسألة أحقية علي (رضي) وأبنائه في تولي منصب الخلافة الأمر الذي شجع الخوارج على الرد عليهم، كما فعل غيرهم من أهل السنة وكان مصدر التشريع هو القاسم المشترك والمنطلق الأول بين العلماء ومفكري الإسلام. غير إن الآراء اختلفت حول القضية نفسها وتباينت وجهات النظر بينهم فراح كل يؤول النص حسبما يميله اتجاهه السياسي ويفسر الأحداث من زاوية مذهبه.

ويمكن تحديد مواضع الخلاف السياسي في جملة من المسائل، لكل منها موقفان متعارضان ينتج عنها مجموعة محاور منا تتولد المذاهب السياسية عند المسلمين، ونعرض هذه المحاور على الشكل التالي:

المحور	الموقف الأول	الموقف الثاني
الأول	وجوب تنصيب الإمام	لا ضرورة لتنصيب الإمام
الثاني	جواز تعدد الأئمة	لا يجوز إلا إمام واحد
الثالث	تتحصر الخلافة في آل البيت	لا تتحصر في آل البيت
الرابع	يكون الخليفة قرشياً	لا يشترط القرشية
الخامس	الإمام معصوم	لا عصمة إلا للأنبياء
السادس	الخلافة تنتقل بالوصية والوراثة	لا تجب الوصية ولا الوراثة
السابع	تثبت الإمامة بالشورى والبيعة	لا وجوب للشورى والبيعة

الثامن	يجب الخروج على السلطان الجائر	لا يجب الخروج وقد يجوز
--------	-------------------------------	------------------------

ومن هذه المحاور تفاعلت الآراء وتبلورت النظريات لتسفر عن مبادئ أساسية قامت عليها تكتلات وأحزاب سياسية أربعة، نعرضها بالترتيب حسب ظهورها تاريخياً، ويوافق ذلك ترتيبها من حيث القوة والنفوذ.

أولاً- حزب بني أمية ويعتمد في الحكم على المبادئ الأساسية التالية- وجوب نصب الخليفة بالبيعة والشورى على أن يكون قرشياً عدلاً، طاعته واجبة والخروج عليه غير جائز "ومن هذا التكتل انبثقت مذاهب الأشاعرة والماتريدية" الأثرية والمعتزلة"<sup>(7)</sup>.

ثانياً- حزب بني هاشم، والمبدأ الأساسي الذي يقوم عليه في موضوع الحكم. إن الخلافة تنحصر في آل البيت وتنتقل بوصية الإمام لمن بعده ويكون معصوماً ومن هذا التكتل ظهرت فرق الشيعة.

ثالثاً- حزب عبدالله بن وهب الراسبي(المحكمة) كان ظهوره نتيجة للصراع بين الأحزاب المتقدمة. ويعتمد هذا الحزب في موضع الحكم على المبادئ التالية- البيعة والشورى والعدالة دون اعتبار الجنس فإن استوفى الإمام هذه المقاييس والتزم بها "وجب طاعته ولا يجوز الخروج عليه"<sup>(8)</sup>، أما إذا انحرف كان أمر الخروج عليه بيد أهل الحل والعقد وهو جائز وليس واجب. ومن هذا التكتل ظهرت فرق الإباضية.

رابعاً- الحزب المتطرف، وهو متفرع عن الحكمة الأولى من أهم مبادئه في السياسة أن الإمامة غير واجبة عند البعض، وعند آخرين من الحزب نفسه الإمامة مشاعة لكل المسلمين بشرط الكفاءة والعدل. وتتم بالاختيار المطلق، فإذا جار الإمام وجب أن يعزل ولا يحارب ويقتل. إلا إن هذا الحزب لم يدم طويلاً لانتهاجه الأسلوب الثوري وتطرف آرائه. ومنه انبثقت الخوارج.

على ضوء هذا العرض نستطيع تلخيص الآراء السياسية العامة التي تتبني عليها فلسفة الحكم عند المسلمين، فيما يلي<sup>(9)</sup>:

أ- الإمامة من قریش يعين بالبيعة، طاعته واجبة ولو جار (الحكم وراثي معتدل)  
ب- الإمامة في آل البيت فقط بالوصية وهي من أصول الدين والإمام معصوم.(الحكم وراثي متطرف).

ج- تعيين الإمام بالشورى والبيعة، سواء من قریش أو من غيرها، طاعته واجبة والخروج عليه جائزة إذا جار (الحكم ديمقراطي معتدل).

د- الإمامة حق لكل إنسان عن طريق الانتخاب الحر يطاع الإمام ما دام عادلاً، ويقتل إذا جار وقد لا تجب الإمامة (الحكم ديمقراطي متطرف).

بعد هذه المقدمة حول نشأة الفكر السياسي عند المسلمين، نعود إلى فرقة الإباضية لنركز البحث حول آرائها في السياسة من خلال مفكرها عامة وأثار قطب الأئمة ش. محمد بن يوسف اطفيش بصفة أخص.

وقبل ذلك، نعرف المذهب الإباضي، من حيث نشأته، وأصوله العقيدية وعلاقته بغيره من المذاهب، ثم نتعرض لحياة القطب وأثاره.

(7) علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ص403.  
(7) علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق، مكتبة وهبة، ط1 القاهرة 1976م.  
(9) نقلاً عن علي يحيى معمر الإباضية بين الفرق، ص404 (بتصرف).

الباب الأول  
المذهب الإباضي

الفصل الأول: نشأة المذهب الإباضي.

الفصل الثاني: الأصول العقيدية للمذهب الإباضي.

الفصل الثالث: الإباضية والفرق الإسلامية.

الفصل الرابع: الشيخ محمد بن يوسف اطفيش

(حياته وآثاره وفكره)

الفصل الأول  
نشأة المذهب الإباضي

أولاً: ظروف النشأة

ثانياً: أصل التسمية.

ثالثاً: الإباضية في المشرق.

رابعاً: الإباضية في المغرب

## نشأة المذهب الإباضي

أولاً: ظروف النشأة

إذا تعرضنا في هذا الفصل إلى الأسباب العامة والظروف الخاصة التي ساعدت على نشأة الفرقة الإباضية فليس ذلك من قبيل التعريف بالمذهب الذي نحن بصدد دراسته من الجانب السياسي، وعليه فإن الحديث سيكون مركزاً على الأحداث التاريخية ذات الصلة الوثيقة بظروف النشأة والتي تمثل الأسباب المباشرة لظهور الإباضية كفرية إسلامية مميزة بأصولها واتباعها. وما سوى ذلك من تفاصيل وجزئيات فنستتركها للراغب في التوسيع والتحقيق يلتمسها في المصادر والمراجع المعتمدة<sup>(1)</sup>.

يقول أ.علي يحيى معمر (1915-1979م): "المذهب الإباضي ليس مذهباً سرياً وليست أصوله التي ينبني عليها خافية أو مجهولة وليس اتباعه ممن يستترون أو يختفون"<sup>(2)</sup> وليس المذهب الإباضي سوى (تعاليم الإسلامية السامية وأصول المستقاة من نبعه الصافي كتاب الله وسنة رسوله ع الصحيحة روتها ثقة عدول ذوو عقول راجحة)<sup>(3)</sup>.

أما النشأة فتعود أسبابها إلى الظروف السياسية بالدرجة الأولى حينما اشتدت أزمتها في الثلثين الأخيرين من القرن الأول للهجرة بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي المتناقض<sup>(4)</sup> مما تولد عن ذلك اختلاف أمة محمد ع حول بعض القضايا في الفقه والسياسة..... وكان ذلك سبباً لاجتهاد العلماء من الصحابة والتابعين. ومن ثم تعددت الآراء وتباينت الأفكار فكثرت الجدل والمناظرات بين العلماء وبالتالي ظهور على الكلام عند المسلمين. ولما صار لكل عالم أتباعه وشيعته، تخربت الأمة الإسلامية، وصارت فرقا ومذاهب، تدعي كل فرقة أن الحق إلى جانبها وأن غيرها على ضلال، وأنها الوحيدة الناجية من بين الفرق التي أشار إليها الرسول ع في حديث الافتراق<sup>(5)</sup>. فبادر الخوارج بتسمية أنفسهم أهل الحق، وكانوا أول فرقة زعمت أنها على حق وما سواها على ضلال<sup>(6)</sup> في حين الذي بالغت

(1) للمزيد من التفاصيل حول نشأة الإباضية أنظر: رسالة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم إلى أهل طرابلس، ذكرها الشيخ بواب بن سلام في كتابه (شرايح الدين) مع نسخة الشيخ ناصر المرمروري، ص33 الشماخي، كتاب السير - الدرجيني طبقات المشائخ بالمغرب ج1 أبو القاسم البرادي، الجواهر المنقاة- أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص64- الحافظ بن كثير البداية والنهاية، ج7 صص 273-310- عبد الحلیم محمود التفكير الفلسفي في الإسلام صص 185-186- سليمان الباروني باشا، الأزهار الرياضية- سالم بن حمود السيابي، طلاقات المعهد الرياضي صص 79-علي يحيى معمر الإباضية في موكب التاريخ(جميع الحلقات) وكتابه: الإباضية بين الفرق الإسلامية- محمود إسماعيل، الحركات السرية في الإسلام صص 14-18- عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية- صالح بن أحمد الصواف، الإمام جابر بن زيد العماني صص 196.

Marcel Mercier, La civilisation urbaine au M,Zab , p.p14-61 marghoub belhadj ,Le development politique en Algerie p.14. Aicha Daddi- Addoun, Sociologie et Histoier des Algeriens Ibadites, p.p:103-14u, T. Lewicki, Encyclopedia de L Islame, nouvelle edition, tome3, G.P. Maisonneuve et la roue S.A, Paris, 1971 article: Al Ibadiyya, p.p.669-682

(2) علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ 669-682 الحلقة(1) نشأة المذهب الإباضي ط1، مط دار الكتاب العربي، مكتبة وهبة القاهرة، 1384هـ/1964م) ص5.

(3) عبد الرحمن بن عمر بكلي(3.10.1901م/ 13.1.1964م) فتاوي البكري مط العربية غرداية الجزائر 1983 ج1 ص357.

(4) ظهرت بوادر التناقض الاجتماعي بتكون الطبقة عندما تراكمت رؤوس الأموال لدى الأعيان في قریش من ناحية واحتكار بني أمية لمناصب السلطة من ناحية أخرى وذلك في عهد ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان (رضي) للمزيد من التوضيح راجع نشأة الفكر السياسي وأسبابه عند المسلمين في مدخل هذا البحث.

(5) عبد القاهر البغدادي (ت. 429هـ/1037م) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، ط5 دار الأفق الجديدة بيروت 1982، صص 4-6.

(6) محمد بن جرير الطبري(ت. 310هـ/922م) تاريخ الأمم والملوك، مط الحسينية، القاهرة 1336هـ، ج5، ص75.

(7) عمار طالبي آراء الخوارج الكلامية، ش.و.ن.ب. الجزائر 78، ج1، ص33.

(8) اجتماع الصحابة (مهاجرون وأنصار) إثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة سنة 11هـ/632م، للنظر في شأن خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم.

(9) أ. محمد الشيخ بالحاج، معاصر، مقابلة شخصية، صيف 1984.

(10) د. عمار طالبي آراء الخوارج الكلامية، ش.و.ن.ب. الجزائر 78، ج1، ص44.

الشيعية وكذا الأمويون في تكفير الخوارج واتهامهم بالزيغ والضلال، وعتوهم بالمارقة وأهل الأهواء، (ولم يتورعوا من وضع الأحاديث في ذم الخوارج، كما وضعت أحاديث في ذم القدرية والمرجئة(7)).

وفي هذه الظروف المتوترة، لم يكن الصراع الفكري وحيدا في إذكاء نار الفتنة بل تقاوم الوضع وتحول الخلاف من حرب كلامية إلى صراع مسلح، وكان الخليفة الثالث عثمان بن عفان(رضي) أول ضحية في هذا الصراع، ثم تطورت الأحداث بعد ذلك، واشتد الخلاف، وتقاتل المسلمون في معركة الجمل(سنة 36هـ/657م) وفي وقعة صفين سنة(37هـ/657م) وما حدث بعدهما من فتن وانقسامات.

أما الإباضية كفرقة مستقلة، مميزة فإنها لم تظهر جليا في تلك الظروف ولم تكن آراؤها قد تبلورت نظرا للتغير السريع في مجريات الأحداث، فلم يستقر الوضع آنذاك جيدا لتتضح الأفكار وبالتالي تتميز الفرق عن بعضها، ولذلك اختلفت المؤرخون في تحديد تاريخ معين لظهور الإباضية كفرقة إسلامية ذات استقلال فكري وأصول واضحة ومبادئ محددة ورجال معينين.

وفي سبيل تحديد الأصول التاريخية لنشأة الإباضية نورد بعض ما قيل في الموضوع من أجل الخلوص إلى رأي واضح في ذلك.

يقول أ.محمد الشيخ بالحاج(معاصر): (إن الأصول السياسية للإباضية ظهرت في اجتماع السقيفة(8) وان لم يسموا بذلك الاسم كما تسمى بقية الفرق آنذاك بأسمائها)(9)، ويشاطره الرأي د.عمار طالبي (معاصر) فيرى إن (أصلا من أصول الخوارج وريا من آرائهم كان موجودا إبان اجتماع السقيفة)(10). والمقصود بالأصول السياسة مبدأ الشورى، والديموقراطية المتمثلة في حرية اختيار الخليفة، ومبدأ أحقية كل مسلم في الوصول إلى هذا المنصب بقطع النظر عن جنسه ولونه وانتماؤه الطائفي، وهذا ما صرح به ابن عبادة الخزرجي(ت16هـ/637م) مع جماعة من الأنصار قالوا- في اجتماع السقيفة- بجواز الإمامة في غير قریش، ولعل هذه أول مسألة يختلف حولها المسلمون بعد وفاة الرسول إذن فالخلاف السياسي نتج عنه ظهور جماعة تطالب بتطبيق القيم الإسلامية المطلقة، كالعدل والمساومة وحرية إبداء الرأي، وطالبت بتطبيقها، كما تبنتها الإباضية والتزمت بها عمليا.

وهل يمكن القول بعد هذا إن جذور نشأة الفكر السياسي عند الإباضية، وبالتالي نشأة الإباضية تعود إلى ظهور المطالبين بتطبيق هذه المبادئ؟! الواقع أنه لا يمكن الفصل بسهولة في هذا الشأن. خاصة والأمر يتعلق بظهور فرقة لا يمكن عزلها بظهور الخوارج، وترتبط نشأتها بنشأة الخوارج، حسبما تؤكد المصادر التاريخية- إباضية كانت أم غيرها- فإن د.عمار طالبي يرى(إن النزعة الخارجية، وأن أصل الخوارج نبت في عهد النبي نفسه، ومن ثم فهو سابق للثورة على الخليفة عثمان(ت35هـ/656م) رضي الله عنه، وعلى معركتي الجمل(36هـ/657م) وصفين(37هـ/657م) وما لحقها من فتن(11)).

(11) م.س.ص35.

(12) حاول زعماء الخوارج استدراج عبدالله بن اباض للخروج معهم فامتنع وأخبرهم أنه لا يخرج على قوم يرتفع الأذان من صوامعهم، والقرآن من مساجدهم. علي يحيى معمر، الإباضية، مط العربية، غرداية، 1985، ص.35.

(13) للمزيد من التفاصيل حول الخوارج، راجع الفصل الثالث من هذا الباب.

(14) T. Lewicki, E.I, Ibadiyya, tom 3, p.669.

(15) من القعدة جماعة ظهرت في البصرة، في منتصف ق 1هـ -7م، من أشد رجالها أبو بلال مرداس بن أدية التميمي

(16) عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، ثاني أئمة الدولة الرستمية.

(17) حول أحداث صفين راجع: الحافظ بن كثير، البداية والنهاية ط3، مكتبة المعارف بيروت لبنان، 1981، ج7، ص.273-310.

(18) رسالة الشيخ عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، ذكرها بواب بن سلام في كتابه، شرائع الدين (مخ) نسخة الأستاذ الشيخ ناصر المرموري، ص.25.



ومهما كان الأمر فالمسألة تتعلق بظهور الإباضية أما علاقتها بالخوارج، فسيأتي تفصيل ذلك في فصل لاحق. وإذا عدنا إلى ظهور الإباضية وتحديد تاريخ نشأتها فأننا نجد المستشرق تادوز لويسكي يذكر في دائرة المعارف- اعتماداً على المؤرخين المعاصرين إن ظهور الإباضية كان سنة 65هـ-684م عندما انفصل عبدالله بن إياض(12) عن المتطرفين الخوارج(13) بمناسبة الموقف الذي يجب اتخاذه تجاه أهل التوحيد الآخرين(14)، لكنه يستبعد هذا التحديد ليؤكد أن جذور الإباضية أقدم من ذلك فهو يلحق تاريخ نشأة هذه الفرقة بظهور جماعة القعدة(15).

أما الإمام عبد الوهاب(16) فيعتبر إن وقعة صفين(17) هي الحدث الأول الذي نتج عنه ظهور فرقة الإباضية إلا أن الإمام لم يسم هذه الفرقة بالإباضية باعتبار أن التسمية حادثة يقول في رسالة له أهل طرابلس: "لما اشتدت الحرب وارتاب المبطلون وحكموا الحكمين... اختلفت الأمة... وصار الناش شيعتين... فاختلف المسلمون بالحق الذي تمسكوا به فاختلفت عليهم كلمة المختلفين يقاتلونهم على دين الله الحنيف والملة الصادقة"(18) ويعني الإمام بالمسلمين المختفين بالحق، جماعة المحكمة(19) كما سميت هذه الجماعة بالخوارج لخروجهم عن علي (رضي)(20). وهذه تسمية أطلقها عليهم مخالفوهم في الفكرة ومعارضوهم في الرأي سواء من أصحاب علي أو من أتباع معاوية. وحين نزلوا حروراء(21) سموا بالحرورية وكان عددهم آنذاك حوالي 12 ألفاً(22) ثم نعتوا بأهل النهروان لما خرجوا من الكوفة إلى النهروان(23).

وفي أثناء ذلك لم تتميز عن غيرها في شكل فرقة مستقلة بآرائها إلا بعد الانفصال الذي حدث بين أهل النهروان، بعد الهزيمة التي حلت بهم على يد أصحاب علي(رضي) وحينئذ ثار البعض ممن بقوا فعزموا على الانتقام بالعنف بينما فضلت جماعة منهم الالتزام بالهدوء والروية والجنوح إلى المسألة خاصة وأنهم يشكلون أقلية ضعيفة لا يقدر على الدفاع عن أنفسهم فضلاً عن تغيير الوضع لذلك قررت هذه الجماعة السفر إلى البصرة(24). وبانتقال هذه الجماعة وتمركزها في البصرة أصبحت تشكل فريقاً تحول "من حزب علني معارض إلى حزب سري يتطلع إلى الوصول إلى السلطة"(25) وإقامة دولة إسلامية جمهورية.

وبعد وفاة أبي بلال انتقلت زعامة الفرقة إلى عبدالله بن إياض(26) الذي انفصل عن الخوارج(27) سنة 65هـ ومكث بالبصرة مع أصحابه بعد خروج المتطرفين منها. يذكر هذه الحادثة عبدالله بن إياض نفسه(28) "وهكذا بدأت الفترة الأولى من الإباضية التي يمكن تسميتها

19) سموا بذلك لرفضهم تحكيم علي(رضي) الحكمين ورضاه بما نتج عن ذلك راجع: عوض خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ط2، مط الشارقة، سلطنة عمان د.تأ، ص0  
209) أنظر الحافظ بن كثير، البداية والنهاية، ط3، مكتبة المعارف بيروت، لبنان 1981، ج7 صص 273-310. عمار طالبي آراء الخوارج الكلامية، ج1 ص87، صالح بن أحمد الصوافي: الإمام جابر بن زيد العماني وأثاره في الدعوة مط ووزار التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1983.  
21) حروراء قرية بناحية الكوفة.

22) ابن جرير الطبري، الأمم والملوك، دار القلم بيروت، ص33.  
23) صالح بن أحمد الصوافي، الإمام جابر بن زيد العماني وأثاره في الدعوة، مط وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان 1983م، ص212، نقلًا عن القلناني في الكشف والبيان، تح د.سيدة الكاشف، ج2، ص252.  
24) قررت الجماعة المعتدلة ممن تبقى بعد وقعة النهروان الرحيل إلى البصرة تحت زعامة أبي بلال مرداس بن أذية التميمي الذي نصب إماماً للشراة فيما بعد.  
25) عوض محمد خليفات(معاصر) التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان سلطنة عمان، د.تأ، ص4.  
26) كثير من المؤرخين وكتاب المقالات بحسبون إن عبدالله خرج في أيام مروان وأنه قتل في معركة تبالة وهو خطأ تاريخي لأن عبدالله بن إياض الذي تنسب إليه الإباضية توفي في أواخر أيام عبد الملك، ونسب إليه المذهب لأنه كان أكثر ظهور في الميدان السياسي عند الدولة الأموية.  
27) هم أتباع نافع بن الأزرق- في نظر الإباضية.  
28) في رسالة كتبها إلى عبد الملك بن مروان (65-86هـ).

بمرحلة الكتمان<sup>(29)</sup> فيكون- إذن- مكوث غيرها من المتطرفين الخوارج، ومن ثم يمكن اعتبار هذه الحادثة من الناحية التاريخية سببا مباشرا لظهور فرقة الإباضية.  
إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أن التأسيس الحقيقي للفرقة كان على يد الإمام جابر بن زيد الأزدي العماني<sup>(30)</sup> الذي انضم إلى جماعة أبي بلال مرداس بن أدية التميمي بعد مجيئه إلى البصرة<sup>(31)</sup>. فكان لانضمام جابر إلى هذه الجماعة أثر بالغ في نشأة الإباضية وتحديد معالم أفكارها وآرائها، ولعل أهم شيء يجعل الإمام جابر يميل نحو جماعة بلال موقف هؤلاء من الأوضاع السائدة آنذاك حيث يرون أن القتال بين أتباع العقيدة الإسلامية أمر لا يقبله العقل ولا الدين.

ولذلك آثرت هذه الجماعة الدخول في الكتمان<sup>(32)</sup> على هذا الاختيار اجتهد الإمام جابر في نشر دعوته سرا حتى لا يتعرض لكل ما يؤذيه ويبيد أتباعه، وهذا ما شجع المعتدلين من بقية المحكمة على الالتفاف حوله والاستزادة من علمه، ولم يلبث أن أصبح رئيس الجماعة والمؤسس الحقيقي للحركة<sup>(33)</sup> وحظي الإمام بمكانة عالية وثقة واسعة في مجتمع البصرة بفضل ثقله العلمي وموقفه الاعتدالي؛ كما لعب العراق، الحجاج بن يوسف الثقفي<sup>(76-95هـ/695-714م)</sup> ودامت العلاقة بين جابر والحجاج في غاية من الثقة والود مدة طويلة<sup>(34)</sup>.  
وفي الحقيقة إن هذه السياسة التي كان الإمام جابر ينتهجها والتي تقوم على مبدأ الاعتدال والابتعاد ما أمكن عن بؤر التوتر وعدم الجهر بالرأي في وجه المخالفين، فضلا عن استعراض الناس، والالتجاء إلى العنف لإثبات رأي أو دفاع عنه. كانت هذه السياسة هي الوسيلة الناجحة للمحافظة على التواجد الإباضي في وسط مفعم بالخلاف كثير الفتن، لا يرحم فيه أصحاب السلطة كل من شذ عن الرأي العام الذي تسيطر عليه الأسرة الأموية- آنذاك- وكان هذا النوع من التعامل السياسي يفرض على الإباضية- ومنظريها بالخصوص- الاحتكاك المباشر مع المخالفين وإظهار الرضى والود، لكن ليس على حساب المبادئ الأساسية للمذهب. وتذكر المصادر أن جابر كان " يشترك مع الخوارج المتطرفين في مناقشات سياسية"<sup>(35)</sup> وكان عبدالله بن إياض- من قبله- ينتهج الأسلوب نفسه في سياسة اللين مع الخليفة الأموي عبد الملك عن طريق المراسلات... وقد سجل التاريخ رسالتين لعبدالله بن إياض تدل على العلاقة الودية بينهما<sup>(36)</sup> كما كان عبدالله بن إياض صاحب مناظرات كلامية مع الخوارج.

وجملة القول أن ظهور الإباضية ونشأتها تعود جذورها إلى التجمع العام لطائفة المحكمة في النهروان سنة 37هـ/685م بعد الذي وقع في وقعة صفين، من تحكيم الحكمين، وقد رفعت هذه الطائفة شعارها " قبلت الدينية ولا حكم إلا الله"<sup>(37)</sup>.

أما ظهور الإباضية كفرقة مستقلة بآرائها معينة باتباعها وأعلامها، فكان ذلك تدريجا وفي مراحل استلزمت عقدا من الزمن انتهى بإعلان عبدالله بن إياض صراحة رفضه الخروج من

T. Lewicki, E.I,2e edi tom 3, article: EI- Ibadiyya, p.669.T. (29)

(30) حول شخصية الإمام جابر، راجع: صالح الصوافي، الإمام جابر بن زيد.

(31) عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ص6.

(32) حول مفهوم الكتمان، راجع: الفصل الثالث من الباب الثاني من هذا البحث.

(33) عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ص6. أنظر كذلك: صالح الصوافي، الإمام جابر بن زيد ص197 وانظر: Lewicki, E.I., p670

(34) نقلا عن الشماخي في السير ص47

(35) م.س. ص670، نقلا عن الشماخي في السير ص76.

(36) م.س. ص670،

(37) عبدالله السالمي في هامش كتاب: إن لم تعرف الإباضية للشيخ محمد اطفيش، علي يحيى معمر. الإباضية بين الفرق الإسلامية، مط و هبة ص338،

ظافر القاسمي، نظام الحكم في الشريعة، ص310، فرحات الجعيري(معاصر) نظام العزابة عند الإباضية ص18، عوض محمد خليفات، الأصول

التاريخية للفرقة الإباضية، ص5، صالح بن أحمد الصوافي، الإمام جابر بن زيد العماني ص669 Lewicki, E.I., p169

البصرة مع المتطرفين من الخوارج وذلك سنة 65هـ فكانت هذه الحادثة الإعلان الرسمي لظهور الإباضية وتميزها عن بقية المذاهب.

ثانياً: أصل التسمية.

يحدد الشيخ محمد بن يوسف اطفيش<sup>(38)</sup> الصيغة الصحيحة لتسمية أصحاب جابر بن زيد ويقول: "الإباضية بكسر الهمزة على أنها الأصح"<sup>(39)</sup>، إلا أننا نجد الإباضية- بفتح الهمزة- تستعمل عادة في المشرق كما في المغرب، وقد استعملها البرادي في كتابه الجواهر المنتقاة<sup>(40)</sup>. ومهما يكن فالتسمية بالإباضية حادثة أطلقها الأمويون على أصحاب عبدالله بن إياض نسبة إلى أبيه إياض بن تميم اللات بن ثعلبة التميمي، يقول البرادي عن الإباضية "إمامهم عبدالله ونسبوا إلى أبيه إياض لأنه أعرف من عبدالله وأشهر منه"<sup>(41)</sup>. لكن الإباضية لا يعتبرون عبدالله إماماً لهم ولا يضعونه في مرتبة الإمام جابر بن زيد من حيث العلم والتفقه في الدين، فعبدالله- إذن- "لم يكن إمام مذهب خاص أخذ به أتباعه، وقلدوه فيه.. فلم يكن هو من الشيوخ المؤسسين للمذهب"<sup>(42)</sup>. أما عن الداعي إلى نسبة المذهب إلى عبدالله ابن إياض دون غيره من مشاهير الإباضية، فلأن عبدالله كان كما يقول سالم السيابي (ق 14 هـ): "أثقل على زعماء أهل الباطل من الصخرة"<sup>(43)</sup> ومما حصل الأمويين على نسبة المذهب إلى عبدالله بن إياض أن الأخير كانت كل مقاصده "لله وفي الله فكانت له بذلك شهرة أضفت عليه لباس زعامة دينية تبعه عليها أهل الحق فأضيفوا إليه وعرفوا به فكان سورهم المنيع من جانب السلطان"<sup>(44)</sup> وأكثر من ذلك كان عبدالله يمثل همزة وصل بين جماعة الإباضية والسلطة القائمة.

ويمكن القول من ناحية أخرى أن السبب الأول في عدم نسبة المذهب إلى مؤسسه الحقيقي الإمام الفقيه جابر بن زيد أن الظروف فرضت على جابر أن يعمل في الخفاء، بعيداً عن أعين المخالفين، لأن أي أمر يكشف انتماءه للإباضية وولاءه لجماعة أبي بلال مرداس، فإنه يعرضه- لا محالة- إلى خطر يعود عليه وعلى المذهب بالضرر، خاصة وأن جابراً يحظى بمكانة محترمة لدى العامل الأموي الحجاج بن يوسف فنظراً لذلك اختار الإمام جابر سياسة التأقلم حسب الظروف فهو- من جهة يعمل لإرساء أسس المذهب وتوطيد أركانه سرا عن طريق عقد حلقات دروس لتكوين رجال المذهب الذين سيكلفون بنشر المذهب في بلاد الإسلام. ومن ناحية أخرى لم يكن الإمام جابر في معزل عن المجتمع ولم يكن يعيش على هامش الأحداث، بل سعى إلى ربط أوامر الأخوة الإسلامية مه ممثل الخليفة في البصرة، حتى لا يتعرض إلى العيون المتربصة.

ومن ثم فإن تسمية المذهب بالإباضية لا تغني أن عبدالله بن إياض هو الزعيم الروحي للمذهب وغيره تابع له- كما يدعي بعض المؤرخين وكتاب المقالات، ونستدل على ذلك باجماع المؤرخين الإباضيين" على أن عبدالله بن إياض كان يصدر في كل أقواله وأفعاله عن جابر بن زيد"<sup>(45)</sup>، كما كان يفعل أبو بلال مرداس بن أديّة.

(38) أنظر حياة محمد اطفيش في الفصل الرابع من هذا الباب.

(39) أنظر الشيخ محمد اطفيش، الرسالة الشافية... الجزائر د.ت.أ، ص 49

(40) Lewicki , E.I., p669

(41) أبو القاسم البرادي، الجواهر المنتقاة..

(42) سالم بن حمود السيابي، إزالة الوعناء عن أتباع الشعثاء تحقيق وشرح د. سيدة إسماعيل كاشف. مط سجل العرب، ص 57.

(43) سالم بن حمود السيابي، طلاقات المعهد الرياضي ص 77.

(44) سالم السيابي، إزالة الوعناء عن أتباع الشعثاء ص 57.

(45) عوض محمد خلسفات، الأصول التاريخية للفرقة الإباضية ص 9.

ومما يثبت هذا أن التسمية بالاباضية لم يخترها اتباع هذه الفرقة بل أطلقها عليهم مخالفوهم<sup>(46)</sup> فظل الاباضية يقاومون هذه التسمية، لكنهم "مع مرور الزمن وإصرار مخالفهم على تسميتهم بهذا الاسم، قبلوا به خاصة وأنهم لم يجدوا فيه ما يؤذيهم أو يسيء إلى سمعتهم"<sup>(47)</sup>. يقول السيابي تأكيداً لذلك: "وهذه التسمية جاءتنا من مخالفينا فقبلناها غير متبرمين منها...."<sup>(48)</sup>. فالاباضية إذن- قديماً وحديثاً يجمعون على أن الاسم الحقيقي لمذهبهم ليس الاباضية وإنما التسمية المفضلة لديهم هي أهل الاستقامة<sup>(49)</sup> أو "أهل الدعوة أو جماعة المسلمين أو أهل الاستقامة والحق"<sup>(50)</sup>، ويبدو أن هذه التسميات التي اختارها الاباضية لأنفسهم كانت مقصودة يهدف منها تمييز مجموعة خاصة انبثقت من جماعة المحكمة التي تتفق معها الاباضية حول الموقف السياسي الراض للتحكيم. وبما أن المحكمة انقسمت إلى فرق فإن الاباضية اختارت لنفسها تسمية أهل الدعوة والاستقامة لأمرين:

الأول: لا ينبغي أن تكون التسمية بانتساب جماعة معينة إلى شخص معين، فالأصل في الانتساب أن يكون للدين الذي وحد الشعوب وأذاب الطائفية في أمة واحدة هي أمة الإسلام، وعلى هذا يؤكد الاباضية بأنهم لا يتمذهبون مذهباً غير الحق<sup>(51)</sup> حتى "إذا جرى الاباضية المؤرخين وانتسبوا إلى عبدالله بن اباض واتخذوا لهم اسماً كسائر الفرق فلا يعني أنهم يقلدون الرجال ويقدمون أقوالهم، إنما أمامهم الحق الذي لا يهتدون بغير هدية ولا يقلدون سواه هو محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ليس لغيره حق في الإمامة إلا بالأسوة الحسنة"<sup>(52)</sup>.

الثاني: التسمية بأهل الاستقامة تشير إلى تخصيص جماعة دون غيرها تتميز بالمحافظة على تعاليم الشريعة التي لا تقبل التبدل والتغيير. والالتزام بأصول العقيدة الإسلامية، إذن فنعت الاباضية بهذه الصفة يقتضي وجود فرق أخرى حدثت عن سواء السبيل، ولم يلتزم بالمنهج الذي يرتضيه الله تعالى، أو- على الأقل- لا تتفق مع الاباضية حول مسائل تتعلق بالأصول فضلاً عن الفروع. وترمي الاباضية من وراء ذلك أن تتميز- خاصة- عن الخوارج الذين أحدثوا ما لم يكن من الشرع.

ومهما يكن من أمر التسمية فإن العبرة بالمبادئ ومدى حرص الرجال بالالتزام بالأصول والعمل بإخلاص وفق ما يرتضيه الخالق، وما كان الإيمان يوماً بالانتساب والتمني.

ثالثاً: الإباضية في المشرق.

إذا سجلنا تاريخ نشأة الاباضية بظهور عبدالله بن اباض على الساحة السياسية في البصرة وبالتحديد في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ) فأنا نستطيع رصد الحركة الاباضية في المشرق انطلاقاً من البصرة على يد الامام جابر بن زيد الذي اتبع سياسة عبدالله بن اباض تجاه السلطة فكانت الفترة الأولى من زعامة جابر ذات مردود جيد لصالح الاباضية لدخوله في علاقات سلمية مع الحجاج- بواسطة زيد بن أبي مسلمة كاتب الحجاج<sup>(53)</sup> واستطاع أثناء ذلك أن ينشط في نشر الدعوة سرا، وفي مأمن من مكر السلطة. وانطلق في ذلك أولاً من قبيلته (أزد) العمانية، فوجه إليها كل عنايته، وبحكم مركزه بين أقاربه فإنه لم يتلق صعوبة في

46) أنظر علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، حلقة- ص6، وكذلك سالم السيابي، إزالة الوعناء... ص49.  
47) عوض محمد خليفات التنظيمات السياسية والإدارية عند الاباضية في مرحلة الكتان، مسقط، سلطنة عمان، د.ت.أ، ص5.  
48) سالم السيابي، إزالة الوعناء ص49.  
49) نور الدين السالمي في هامش: ان لم تعرف الاباضية لمحمد اطفيش ص26.  
50) عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الاباضية، ص5.  
51) سالم السيابي، إزالة الوعناء عن أتباع أبي الشعثاء، ص49.  
52) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة 1، لله 6.  
53) نقل عن الشماخي في السير، ص71-74 والميرد في الكامل ص56.

إقناعهم، ولدرايته الجيدة بأبناء عمومته وبهذا انضم إليه عدد وفير كان لهم الفضل في نقل تعاليم المذهب إلى أماكن عديدة من الجزيرة العربية.

ومن أسباب نجاح جابر في دعوته ما كان يتمتع به من مكانة علمية ودراية واسعة بعلوم القرآن الكريم والحديث وحتى "شهد له الكثير من أهل العلم بالضبط والفظانة والصدق والأمانة فنقلوا آثاره في مؤلفاتهم واحتجوا بأقواله في أحكامهم" (54)، وقد تتلمذ عليه مشايخ كثيرون عرفوا فيما بعد بعلماء السنة الأمر الذي جعل ياقوت الحموي يعده من أئمة السنة (55) ومن أبرز تلاميذه وأكثرهم علما أبو عبيد مسلم بن أبي كريمة (56) الذي انتهت إليه رئاسة المذهب بعد وفاة جابر (57) الذي وطد أركان الدعوة الإباضية حتى أصبحت حركة سياسية شاملة اجتذبت عناصر من قبائل وأجناس متعددة (58). فكان على الزعيم الجديد أن يجتهد ما استطاع للمحافظة والدفاع عن المذهب وإن يسعى في الوقت نفسه لنشر الدعوة في كل جهة من البلاد الإسلامية وكل ذلك من دون إثارة غضب السلطة أو التعرض للمخالفين بأذى.

وبالفعل، استطاع أبو عبيدة أن يشكل حكومة سرية تتكون من خيرة المشايخ ورجال العلم منهم: جعفر بن السماك وصحار العبيدي، من الطبقة الثانية (50-150هـ) وضمام بن السائب وأبو نوح، من الطبقة الثالثة (100-150هـ).

ومن أجل ضمان استمرارية الدعوة الإباضية في مأمن من الفتن وضع أبو عبيدة تنظيمًا خاصًا للمجالس السرية تختلف باختلاف مهامها وبرامج عملها، وترتيب طبقاتها ويمكن أن نصنف هذه المجالس إلى ثلاثة أنواع (59).

**(أ) المجالس العامة:** تضم كل شخص ينتمي إلى أهل الدعوة الإباضية تعقد هذه المجالس عادة في بيت أحد المشايخ أو بيوت العجائز، حيث يطمئن المجتمعون، ويبتعدون ما أمكن عن أماكن الريبة، ويعيدا عن عيون السلطة. ومهمة هذه المجالس هي نشر الدعوة عن طريق المواعظ والدروس التي يلقيها المشايخ حول عقيدة المذهب وتعاليمه، وقد يكلف المجتمعون بأوامر يجب تنفيذها.

**(ب) مجالس الأعيان:** وهي خاصة بعلماء الدعوة وزعمائها يجتمعون في سرية تامة ويبحثون في شؤون الدعوة وقضايا السياسة ودراسة الأوضاع، ثم يقررون خطة العمل التي يجب الالتزام بها، وتعتبر هذه المجالس بمثابة الهيئة العليا لحركة سرية تدرس وتخطط وتنظم وتقرر ثم تشرف على تنفيذ التوصيات.

**(ج) مجالس العلم:** وهي حلقات للدراسة، يحضرها طلبة العلم الذين يفدون إلى البصرة من جهات مختلفة، ومن جنسيات متعددة، يتلقون العلم وأصول العقيدة ويتدربون على منهجية الدعوة وكل ذلك عن الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة.

وكانت تعقد هذه الحلقات في سرداب بناحية البصرة (60) لا يعرفه إلا رواده من المشايخ والعلماء والدعاة الإباضيين المعروفين بحملة العلم. واستطاع أبو عبيدة أن يجعل من البصرة

(54) سالم السيابي، إزالة الوعاء عن أتباع أبي الشعثاء، ص 15.

(55) ياقوت الحموي معجم البلدان، مجلد 2، ص 243.

(56) حول شخصية الإمام أبو عبيدة بن مسلم راجع سير الشماخي ص 83 وانظر طبقات الدرجيني ج 1 و ج 2، البرادي الجواهر المنتقاة

(57) اختلفت الروايات حول تاريخ وفاة الإمام جابر والغالب بين سنة 93هـ و 96هـ أو 103هـ هو الأرجح سنة 93هـ، راجع الجواهر المنتقاة ص 155، بواب بن سلام، شرائع الدين (مخ) ص 38، سير الشماخي ص 77.

(58) عوض خليفات، التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان ص 5.

(59) للمزيد من التفاصيل حول تنظيمات المجالس راجع عوض محمد خليفات في التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية... ص 6-7، وانظر الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، للمؤلف نفسه، ص 36-41.

(60) أنظر أبو زكريا يحيى بن أبي بكر (ت. 471) كتاب سير الأئمة وأخبارهم تح: إسماعيل العربي، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1982 ص 55-

65، الدرجيني، طبقات المشايخ بالمغرب تح، إبراهيم طلاي ج 2، ص 21، الشماخي السير، ص 142، علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ حلقة 3، ص 13-15.

مركزاً لنشر الدعوة الاباضية فمنها كان (حملة العلم) يتخرجون ويتوزعون في كل أنحاء البلاد الإسلامية وكان هؤلاء تربطهم بالمركز علاقات قوية حتى انه اذا استجد أمر واستعصى النظر فيه عادوا بالقضية إلى مشائخ البصرة.

ولما توطدت دعائم الحركة واتسعت ميادين نشاطها اقتضى الحال ان يتخذ الامام أبو عبيدة مستشاراً له فعين حاجب الطائي مساعداً له " فكان مسؤولاً عن الشؤون العسكرية والمالية والدعوة خارج البصرة" (61).

وبفضل السياسة الرشيدة المبنية على مبدأ اللين والتسامح- وفي الوقت نفسه- العمل في سرية ويجد لإرساء دعائم الدعوة، تمكن أبو عبيدة أن يكسب ود السلطة ويحظى بثقة لدى الحكام الأمويين إلا أن العلاقة بين السلطة الحاكمة وجماعة الاباضية لم تكن دائماً في حالة جيدة، فكثيراً ما شابها الحذر والتخوف من الجانبين وخاصة عندما يعين عامل جديد على البصرة أو يستلم خليفة جديد مقاليد السلطة المركزية، فيسعى الاباضية مبادرين بإرسال الوفود إلى السلطة بقصد إيجاد سبل التفاهم والتقارب، وهذا ما حدث- مثلاً- في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ) فقد أرسل إليه أبو عبيدة حينما اعتلى العرش وفداً بقيادة جعفر بن السماك وسالم الهلالي ( الطبقة الثاني 50-100هـ) وقد تكرر إرسال هذا الوفد لدى الخليفة عمر عندما توفي ولده عبد الملك بن عمر (62)

وفي عهد يزيد بن عبد الملك (101-105هـ) بظهور فرقة متطرفة في الأوساط الاباضية، تنادي بالثورة ضد الحكم فتصدى لها الجيش الأموي وقضى عليها في معركة العقر سنة 102هـ وقتل فيها يزيد بن المهلب- زعيم الثورة- (63). فكانت هذه الحادثة بمثابة نقطة تحول حاسمة في سياسة الحركة الاباضية، فقد تأثر المهالبة وقادة الأزدي بما يقع، فغضب الاباضية على العمال الأمويين، وطالبوا بضرورة الانتقام وتغيير الوضع يجعل حد للحكم الأموي ولسياسة القمع التي ينتجها ولاية البصرة.

وأمام هذه الأوضاع كان الامام أبو عبيدة يجتهد في تهدئة الثوار ويدعو إلى التريث والتزام الهدوء بل " كان معارضا لأي تصرف مباشرة" (64) لتمسكه بمبدأ اللين وكسب الخلفاء إلى جانبه ومع كل ذلك وجد الامام نفسه ملزماً بإعادة النظر في سياسة الحركة، وشرع في التفكير العميق إيجاد مخرج مناسب يتماشى والتعاليم الأساسية للإباضية، وبعد استشارة المشائخ وزعماء المذهب اضطر إلى تغيير موقفه خوفاً من وقوع انقسام داخل صفوف الاباضية، علماً أن الأغلبية كانوا يطالبون بضرورة الانتقال من مرحلة الكتمان إلى مرحلة الظهور (65). إلا أن ذلك لم يكن بالأمر الهين، فالمسألة تتطلب الكثير من التعقل والاستعداد الجيد، خاصة وأن الامام أبو عبيدة يرى أن القضية يتوقف عليها مصير الحركة الاباضية فهو يعتبر جيداً بما آلت إليه الحركات الخارجية المتطرفة من تشريد وإبادة وبناء على ذلك تبني وجهة نظر معقولة تضمن له تحقيق دولة إباضية في حالة الظهور وبأقل كلفة وتتلخص نظريته فيما يلي:

1- لا يمكن "أن يخرج الاباضية من البصرة لإقامة إمامة مستقلة في ضاحية من ضواحي البصرة كما فعل نافع بن الأزرق وأتباعه" (66)، لأن ذلك يؤدي إلى صراع مع السلطة الحاكمة، وإمكانات الاباضية غير كافية لرد العدو والدفاع عن النفس.

(61) عوض خليفات، الأصول التاريخية الاباضية، ص 41.

(62) T. Lewicki, En, Is., p671

نقلا عن الشماخي في السير ص 79-80، وأبي الحسن في السير العمانية ص 111.666.667.

(63) عوض خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الاباضية ص 43-44.

(64) T. Lewicki, E. Is., p670

(65) م.س، ص 671، نقلا عن الشماخي في السير ص 83.

(66) م.س. ص 671.

2- يستحسن البدء- أولا- بإقامة حكومة مؤقتة سرية داخل البصرة تتولى تنظيم الحركة الاباضية داخل وخارج العراق ومن مهامها الأساسية تكوين الدعاة تكويننا دينيا واجتماعيا وسياسيا ثم تكليفهم بإقامة دولة اباضية في جهات مختلفة من الوطن الإسلامي، كبداية لإقامة إمامة اباضية شاملة على أنقاض الدولة الأموية.

وبفضل هذه السياسة خرجت الحركة الاباضية من البصرة لتنتشر في أرجاء العالم الإسلامي فوصلت إلى الكوفة والموصل وبقية أنحاء العراق، ودخلت مكة والمدينة ووسط الحجاز ثم اتجهت نحو الجنوب لتستقر في اليمن وحضرموت.

وفي عمان وجدت الدعوة الاباضية تربة صالحة لتنمو وتزدهر، الأمر الذي أتاح لعمان أن يلعب دورا هاما في تاريخ الاباضية حتى قيل: "بدأ العلم بالمدينة وفرخ بالبصرة وطار إلى عمان"<sup>(67)</sup> وهذا ما أكدته التاريخ حيث أصبحت الديار العمانية المركز الروحي للإشعاع الاباضي خاصة بعد انتقال مشائخ البصرة إليها كما يعود الفضل إلى عمان في انتقال الاباضية نحو الهند والصين عبر جزيرة ابن كعوان (كيشم)<sup>(68)</sup>. كما انتشرت الدعوة كذلك في خراسان بالفرس عن طريق حملات العلم التي وجهها أبو عبيدة إلى تلك المناطق.

وعلى غرار انتشار الاباضية جنوبا وشرقا فقد واصلت سيرها نحو المغرب عن طريق مصر التي أصبحت هي الأخرى مركزا مهما للدعوة الاباضية.

رابعا: الإباضية في المغرب

يقول الامام عبد الرحمن بن رستم<sup>(69)</sup>: "أول من جاء يطلب مذهب الاباضية ونحن بالقيروان- أفريقيا- سلامة بن سعد<sup>(70)</sup> قدم علينا من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن العباس(ت 107هـ)...فسلامة يدعو إلى مذهب الاباضية وعكرمة يدعو إلى مذهب الصفرية"<sup>(71)</sup> ويبدو أن مجيء هذين الرجلين إلى المغرب كان بدافع نشر الدعوة، ولا يكون ذلك إلا ضمن خطة مدروسة وضعها الامام أبو عبيدة فقد كان يرسل "بعض الدعاة لاستطلاع أحوال الناس في المغرب ومعرفة اتجاهاتهم ودراسة عاداتهم وتقاليدهم وطرق معيشتهم ومقدار تطورهم الفكري والحضاري ودرجة ولائهم للسلطة الحاكمة"<sup>(72)</sup> ليسهل على الامام اختيار الأشخاص الذين يستطيعون تحمل أعباء الدعوة وسياسة الرعية، وتنفيذ أحكام الله بالعدل، وتحقيق المساواة بين الناس دون اعتبار للنسب أو الجنس أو اللون، فوقع المأمول ونجح سلامة بن سعد في مهمته بإيجادها أرضا بكرًا وشعبا مطواعا فنالت دعوته إقبالا واسعا" ولم يكد يمضي على دخوله إلى المغرب عشرون سنة حتى تكونت جماعة معتبرة من الاباضيين في طرابلس يتزعمها رجل يدعى: عبدالله بن مسعود التجيبي<sup>(73)</sup> الذي أزراه قبيلته هواره التي اعتنقت المذهب الاباضي ثم تبعته زنانه في شرق طرابلس، ونفوسة في الجبل- الذي يحمل إلى اليوم اسم جبل نفوسة- وبفضل هذه القبائل البربرية انتشر المذهب الاباضي في شمال أفريقيا.

وبعد مقتل عبدالله بن مسعود التجيبي على يد عامل طرابلس<sup>(74)</sup> اجتمع أهل الحق والاستقامة" لما أنسوا من أنفسهم القوة والمنعة وانتخبوا الامام الحارث الكندي<sup>(75)</sup>.... فقام

(67) نور الدين السالمي، اللع، ص183.

(68) توجد بالقرب من سواحل كيرمان مقابل رأس مسندم.

(69) مؤسس الدولة الرستمية في تيهرت سنة 160هـ، أنظر الدرجيني طبقات المغرب ج1 ص21، تاريخ أبي زكريا تح إسماعيل العربي ص71.

(70) شيخ من البصرة ظهر في مطلع ق 2هـ بالقيروان.

(71) الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب ج1 ص11، الشماخي، السير ص98.

(72) عوض خليفات، التنظيمات السياسية والإدارية عند الاباضية، ص7.

(73) إسماعيل العربي في مقدمة تحقيقه لكتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا يحيى بن أبي بكر، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت ص16.

(74) م.س، ص16، نقلا عن ابن الحكيم، فتوح مصر ص224.

بالأمر وساس البلاد خير سياسة(.....) فكان أول إمام بويغ بالمغرب هذا الامام<sup>(76)</sup> لكن بعض الدارسين المعاصرين<sup>(77)</sup> يرون أن الزعامة كانت مشتركة بين الحارث وصاحبه عبد الجبار بن قيس المرادي، ووقع بينهما خلاف حول الحكم حتى انتهى بهما الأمر إلى القتال فطعن أحدهما الآخر.

لكن المصادر الاباضية تنفي هذا القول، وتؤكد أن الامامة كانت للحارث بينما تولى عبد الجبار مهمة القضاء<sup>(78)</sup> أما قصة موتها فهي مسألة غامضة لم يستطع المؤرخون الوصول إلى معرفة الحقيقة وتفسير ما حدث. وإن غلب على ظن الاباضية إن العملية كانت من تدبير الأعداء لإثارة الخلاف بين أتباع المذهب وتفكيك وحدتهم<sup>(79)</sup> وهذا ما يؤكد ابن خلدون في تاريخه، ويذكر أن مقتل الحارث وعبد الجبار كان على يد عبد الرحمن بن حبيب<sup>(80)</sup> الذي زحف إليهما سنة 131هـ في قتل البربر<sup>(81)</sup>.

بعد موت الحارث وعبد الجبار تولى إسماعيل بن زياد النفوسي الذي مات بعد ولايته مباشرة سنة 132هـ، وبموته انتهت الدولة الاباضية وحافظوا على أصول المذهب.

وفي هذه الأثناء كانت البعثة العلمية على وشك الرجوع من المشرق، أما عن هذه البعثة فتتكون من خمسة رجال اختيروا للسفر إلى البصرة والالتحاق بمعهد أبي عبيدة. ومما يلاحظ في هذه الجماعة أنها لم تكن خاصة لقبيلة دون أخرى، أو جنس دون غيره بل تضم عناصر مختلفة تجمع بين العربي والبربري والفرسي، كيف لا؟ والإسلام أذاب هذه العناصر في أمة واحدة قائدها الرسول ودستورها القرآن والسنة. وأعضاء الجماعة هم على التوالي: أبو درار إسماعيل بن درار الغدومي (من ليبييا- حليا-) وأبو درار القبلي النفاوي (من مدينة نفاوة جنوب تونس) وعاصم السدراتي (من سدراته بالقرب من وارجلان جنوب الجزائر، وعبد الرحمن بن رستم (أصله فارسي أقيم في القيروان) وأخيرا أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعفاري (عربي من اليمن). اتصل هؤلاء بالإمام أبي عبيدة، ومكثوا في حضرته أعواما عديدة يتلقون العلم وأصول العقيدة ومنهج الدعوة، وبعد استكمالهم الدراسة أمرهم الامام بالعودة إلى وطنهم وأصدر لهم تعليمات بتكوين إمامة اباضية مستقلة في طرابلس.

وهناك في الغرب اجتهد أعضاء البعثة في تبليغ أمانة الدعوة، وعملوا كل ما في وسعهم لتحقيق أهدافهم ونشر مبادئهم وقد ركزوا في ذلك- خصوصا على "المبادئ العامة البسيطة التي يفهمها عامة الناس... مثل المساواة في الحقوق والواجبات بين المسلمين، وأحقية كل مسلم في الوصول إلى أعلى مراتب السلطة، على أن هذا الأمر ليس مقصورا على قریش ولا على العرب وأعلنوا أنهم سيطبقون العدل والحق... ولقيت هذه الشعارات تجاوبا سريعا لدى البربر الذين اشتكوا طويلا من ظلم الولاة ومن فقدان العدل والمساواة مع أقرانهم من العرب المسلمين"<sup>(82)</sup> وكانت النتيجة أن تكلفت مجهودات هؤلاء الدعاة بإعلانهم الدخول في مرحلة

(75) ويدعى الحارث بن تليد الحضرمي، وجد قتيلا مع صاحبه عبد الجبار بن قيس المرادي وسيف أحدهما في رقية الأخر سنة 131 أو 132هـ، وحول هذه المسألة نشأ خلاف فقهي- عقدي تنبى إشكالية على الولاية المعينة هل تنتقل الى الوقوف أم لا؟ واليقين هل يدفعه الشك أو لا يدفعه الا اليقين، راجع طبقات الدرجيني تح إبراهيم طلاي، مط قستطينية الجزائر د.نا. ج1، ص24-25.  
(76) أبو اسحاق إبراهيم اطفيش في هامش كتاب الوضع لأبي زكريا يحيى بن أبي الخير، مط الفجالة الجديدة، القاهرة د.تا.ص8.  
(77) إسماعيل العربي في مقدمة كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا ص16 وأنظر كذلك:

T. Lewicki, En .Is. p. 677

Pierre Cuperly, Introduction a l'etude de l'Idadisme et de sa theologie O.PU .Alger. 1984, p.p 293-294

(78) أبو اسحاق إبراهيم اطفيش في تقديمه لكتاب الوضع لأبي زكريا. ص8.

(79) م.س، الصفحة نفسها، وأنظر الدرجيني، الطبقات ج1 ص24.

(80) عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن. عامل جعفر بن المنصور في أفريقيا قتله عبد الملك بن جعفر سنة 140هـ.

(81) ابن خلدون كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...ج6. ص223

(82) عوض خليفات، التنظيمات السياسية والإدارية عند الاباضية، ص9.



الظهور فأسسوا إمامة مستقلة رئيسها أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح الذي أخذ زمام الأمور بجد، حتى تمكن الإباضية بقيادته الاستيلاء على مدينة طرابلس بانقلاب أبيض، لم تسل فيه قطرة دم، ثم واصل أبو الخطاب في توسيع رقعة نفوذه، لتشمل جزيرة جربة، ومدينة القيروان التي كانت تحت سلطة الصفرية من قبيلة ورفجومة، وبهذا تكونت دولة إباضية كبرى شملت ليبيا وتونس وشرق الجزائر<sup>(83)</sup> إلا أن القدر لم يكتب لهذه الدولة أن تعيش أكثر من أربع سنين، فقد تصدى لها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (95-158هـ)<sup>(84)</sup> وبعث بجيش للقضاء عليها تحت قيادة محمد بن الأشعث<sup>(85)</sup> الذي تقابل مع أبي الخطاب وأصحابه (بموضع يقال له "تورغا" قرب مدينة طرابلس<sup>(86)</sup>)، وهناك أستشهد أبو الخطاب ومن معه من أصحابه، ولما بلغ الخبر عبد الرحمن بن رستم<sup>(87)</sup> وهو في طريقه بمدد من الرجال إلى أبي الخطاب- تفرق من معه فتوجه برفقة ابنه عبد الوهاب إلى بلاد المغرب الأوسط، وهناك اعتصم مع من اجتمع حوله من قبائل البربر بجبل "سوفجج" بالقرب من مدينة تاهرت<sup>(88)</sup> ولما كانت سنة 160هـ اجتمع أعيان القبائل الإباضية بعد أن قويت شوكتهم وأنسو من أنفسهم القوة والطاقة فأرادوا التولية فنظروا في عامة القبائل فوجدوا في كل قبيلة رأسا أو رأسين كل يصلحون للإمارة فاشتتروا فيما بينهم....فاتفق رأيهم جميعا على تولية عبد الرحمن رستم ومبايعته، فبايعوه على الامامة...<sup>(89)</sup>.

وكانوا قد شرعوا في بناء تاهرت ليتخذوها عاصمة لدولتهم<sup>(90)</sup> وبالفعل أصبحت مركزا مهما للنشاط الإباضي في شمال أفريقيا حتى سميت بأمر العسكر<sup>(91)</sup>.

ازدهرت الحياة واستقرت الأوضاع في عهد الرستميين، "وبلغ المذهب الإباضي أوج عظمته العلمية والسياسية حيث كان أساسا لحضارة لم يشهد المغرب الأوسط مثيلا لها من قبل<sup>(92)</sup> غير أن الأحداث تغيرت فدخلت الدولة الرستمية في طورها الثاني، ولم يكن بأحسن مما يريده الإباضية. فقد ظهرت فيه بوادر الضعف والانقسام، خاصة بعد احتلال الأغلبية الشريط الفاصل بين طرابلس وتيهرت سنة 224هـ. وما أحدثه النكار<sup>(93)</sup> والواصلية<sup>(94)</sup> من

83) للمزيد من التفاصيل حول نشأة الخطابية راجع: الدرجيني طبقات المشائخ ج1، ص24. أبو زكريا، سير الأئمة وأخبارهم تح إسماعيل العربي، صص57-65، الشماخي، كتاب السير، ص131. وانظر

Aicha Daddi- Addoun, Sociologie et histoire des Algeriens Ibadites, Im, EL-Arabia, Ghardaia, 1977, P.103, T. Lewicki E.L.P 675, Gerard Dangel L'Imamat Ibadite de Tahert p.37.

84) هو عبدالله بن محمد بن علي بن عباس اشتهر بحبه للفلسفة والعلوم الفقهية والآداب. نقل عاصمة العباسيين الى بغداد راجع الكامل لابن أثير ج5 ص172.

85) محمد بن الأشعث الخزاعي، أكبر قواد العباسيين في عهد أبي جعفر المنصور ت.148هـ في غزوة للروم. راجع سيرته في الكامل للمبرد ج5، ص317.

86) أبو زكريا يحيى، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح إسماعيل العربي ص82.

87) كان عبد الرحمن بن رستم حينئذ عامل أبي الخطاب في القيروان.

88) يذكر الدرجيني في الطبقات ج1، ان الإمام عبد الرحمن بن رستم لما تحصن بجبل سوفجج لحقه هناك ستون شيخا من شيوخ الإباضية من طرابلس.

89) أبو زكريا، سير الأئمة وأخبارهم، تح إسماعيل العربي، صص82-83.

90) يذكر ابن خلدون عبد الرحمن بن رستم ببيع بالخلافة سنة 144هـ ثم شرع في بناء مدينة تاهرت لينصب عليها كرسي الإمارة، راجع ابن خلدون كتاب العبر ج6، ص247 وهذا لما أوردته المصادر الإباضية التي تؤكد أن عبد الرحمن ببيع سنة160 أو 162هـ وبعد ان تم بناء تاهرت فتأمل؟

91) تاريخ أبي زكريا، تح إسماعيل العربي ص84.

92) إسماعيل العربي في مقدمة تحقيقه لكتاب تاريخ أبي زكريا، ص19، وللمزيد من التفاصيل حول تاريخ الدولة الرستمية راجع: تاريخ أبي الربيع الوسياني، ابن الصغير، تاريخ الأئمة الرستميين، الدرجيني طبقات المشائخ بالمغرب ج1، ص21 وما بعدها، بواب بن سلام، شرائع الدين مخ، باحاز الدولة الرستمية.

T. Lewicki E.L. P.p 675-676, Gerard Dangel L'Imamat Ibadite de Tahert p.37.

Aicha Daddi- Addoun, Sociologie et histoire des Algeriens Ibadites, p.p 113-140.

93) النكار أو النكارية، جماعة أنكرت إمامة عبد الوهاب سنة 171هـ يترجمها يزيد بن فندي.

94) الواصلية، أتباع واصل بن عطاء الغزال، رأس المعتزلة أبعده الحسن البصري عن مجلسه لما علم موقفه من مرتكب الكبيرة، وهو ان الفاسق من هذه الأمة لا هو مؤمن ولا هو كافر فيجعل الفسق بين منزلتي الكفر والإيمان راجع: عبد القاهر البغدادي(ت.429هـ) الفرق بين الفرق الناجية منهم تح لجنة إحياء التراث العربي ط5 دار الأفاق بيروت، 1982م.

شفاق وتمرد على السلطة بالإضافة إلى تحريات القبائل المعارضة للنظام، ومطالبة العمال بالاستقلال عن السلطة المركزية، وما نتج عن الخلاف العقائدي من نزاع وصراع كل ذلك ساهم في أضعاف الدولة وفقد الأئمة القوة على التحكيم في الأوضاع، ثم كانت معركة "مانو" سنة 283هـ بمثابة الضربة القاضية للنظام الرستمي، فلم تستطع تيهرت سنة 296هـ - 909م أن تقوى على رد الأعداء فسقطت أمام جيوش أبي عبد الله الشيعي، وفر أبو يوسف يعقوب- آخر الأئمة الرستميين- مع أفراد أسرته وأعيان دولته إلى سدراته قرب وارجلان، وهناك حاول الاباضية تأسيس دولة جديدة، لكن الظروف لم تكن مناسبة ولم تتحقق هذه الأمنية منذ ذلك التاريخ. وبهذا دخل الاباضية في مرحلة الكتمان، من جديد، وهي الوسيلة الفضلى للمحافظة على كيانهم، وبلوغ الأهداف العليا والمتمثلة في نشر الدعوة- ولو سرا- وتحقيق الوحدة بين أتباع المذهب وتخفيف حدة التوتر بينهم وبين مخالفيهم من السنين والشيعية ولأجل ذلك اعتمد الاباضية على أمرين في طور الكتمان.

أولاً: تنظيم هيئة خاصة بمتابفة السلطة، تقوم مقام الامام أو الخليفة، في مرحلة الظهور، وتتكون هذه الهيئة من العلماء وأعيان القبائل تشرف على هيئات أخرى تفرعت عنها تدعى بمجالس العزابة<sup>(95)</sup> وتتواجد هذه الأخيرة في كل تجمع للإباضية وإليها يرجع النظر في كل الأمور التي تخص الاباضية سواء في الحياة الدينية أو الاجتماعية. ولا يزال هذا التنظيم قائماً على سوقه، معمولاً به لدى اباضية الجزائر في وادي ميزاب. وقد اهتدى الاباضية إلى وضع هذا التنظيم في بداية القرن الخامس الهجري على يد الشيخ أبي عبد الله محمد ابن بكر<sup>(96)</sup>.

ثانياً: الابتعاد- ما أمكن- عن مواطن المخالفين والالتجاء إلى الأماكن النائية التي يقل ارتيادها فالاباضية يعتقدون أنه بانزواتهم بعيداً عن أعين الأعداء يستطيعون حفظ مذهبهم وكيانهم وتحقق وحدتهم وتماسك جماعتهم. فاعتماداً على ذلك شرع قسم من الاباضية يغادرون وارجلان و"واد ريغ" ليستقروا في وادي ميزاب حيث أسسوا هنالك مدناً في ظروف طبيعية قاسية، ولا يزالون في تلك المناطق إلى اليوم.

أما اباضية طرابلس فقد التجأوا إلى جبل نفوسة ومدينة زوارة الواقعة على الشاطئ الغربي لليبيا وقسم آخر منهم استقر في جزيرة جربة التونسية<sup>(97)</sup> حيث لا يزالون حتى اليوم.

وتجدر الإشارة ونحن في صدد الحديث عن الاباضية في المغرب، إلى دور هذه الفرقة الإسلامية وإسهامها في نشر الاسلام بين أهالي السودان<sup>(98)</sup> عن طريق التجارة، وقد شهدت الفترة الرستمية بشكل خاص نمواً خاصاً في نمو العلاقات الاقتصادية بين الاباضيين والبلدان المتاخمة للدولة الرستمية جنوباً. فقد أوفد الامام أفلح بن عبد الوهاب (205-582هـ) سفيراً له إلى بلاط ملك غانة أو "قاو"<sup>(99)</sup> كما تشير المصادر الاباضية إلى أن عدداً من التجار الاباضيين كانوا ينتقلون بين الجريد وغانة خلال القرن الرابع والخامس الهجري<sup>(100)</sup>، وهذا مما يؤكد إسهام الاباضية في خدمة الإسلام بشمال أفريقيا.

(95) حول العزابة راجع: (الكتمان في الفصل الثاني من الباب الثاني).

(96) عاش في القرن 5هـ، أخذ العلم عن شيخه أبي نوح سعيد بن رنغيل القطراري. وانتهت إليه مشيخة الاباضية بوادر ريغ وإليه يعود الفضل في انتشار المذهب الاباضي في واد ميزاب. في أوائل ق 5هـ/11م.

T. Lewicki E.L. P.p 677 (97)

(98) يعني بالسودان جنوب الجزائر، وتشمل موريطانيا والنيجر ومالي والسينغال وغانا وفولتا العليا.

T. Lewicki E.L. P.p 678 (99)

(100) م.س. ص 678.

**الفصل الثاني**  
**الأصول العقيدية للمذهب الاباضي**

**أولاً: الأصول التسعة**

- 1- التوحيد
  - 2- العدل
  - 3- القضاء والقدر
  - 4- الولاية والبراءة
  - 5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
  - 6- الوعد والوعيد
  - 7- المنزلة بين المنزلتين
  - 8- لا منزلة بين المنزلتين
  - 9- الأسماء والأحكام
- (مفهوم الايمان والاسلام والدين)

**ثانياً: بعض المسائل الخلافية**

- 1- نفي الرؤية
- 2- مسألة الخلود
- 3- خلق القرآن
- 4- حكم الاباضية على مخالفيهم ومن أحدث في الدين
- 5- رأي الاباضية في الصحابة

لا يختلف اثنان في إن الاباضية فرقة إسلامية لا تحيد أصولها العقيدية عن النبع الصافي للشريعة الإسلامية، الكتاب والسنة. لكن الخلاف قد يقع حول بعض الآراء في المسائل الخلافية بين المذاهب. فيكثر الجدل حول هذه الآراء من حيث صحتها أو فسادها، ومن حيث قربها أو بعدها عن أصول العقيدة الإسلامية.

وحيث إن الفرق إنما يتميز بعضها عن بعض بما تحدده من آراء اجتهادية تختلف باختلاف وجهات النظر لدى كل فرقة، فإنه من تمام التعريف بالمذهب الاباضي يحسن بنا أن نعرض آراء هذه الفرقة في المسائل الإلهية والإنسانية معتمدين على ما توفر لدينا من مصادر<sup>(1)</sup>.  
أولاً: الأصول التسعة:

اجتمع علماء الاباضية<sup>(2)</sup> على إن المسائل التي وقع عليها اختلاق الناس تسعة، وهي التوحيد، والعدل، والقضاء والقدر، والولاية والبراءة، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، وإن لا منزلة بين المنزلتين، والأسماء والأحكام. تلك هي الموضوعات التي أثارت الجدل والمناظرات بين المتكلمين وكتاب المقالات. ولما حدد الاباضية موقفهم منها واتضح آرائهم حولها غدت أصولاً للعقيدة عند الاباضية. كما تحددت عقيدة المعتزلة بأصولها الخمسة على أن الخلاف بين الاباضية والمعتزلة لم يكن حاداً حول هذه الأصول حتى إن الباحثين في الفلسفة الإسلامية أثبتوا توافقاً في الآراء بين الاباضية والمعتزلة، منها الصفات عن الله تعالى، وخلق القرآن، ونفي الرؤية<sup>(3)</sup> "كما تقترب العقائد الاباضية وآراءهم السياسية والدينية بصفة عامة في كثير من المسائل الهامة بعقائد أهل السنة"<sup>(4)</sup>.

#### 1- التوحيد:

وهو أفراد المعبود بالعبادة، والتصديق بوحداية الخالق ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً والإقرار بوجود واحد الموجودات، وهو الله الذي لا إله إلا هو، متعال عن صفات المخلوقات فلا أول ولا آخر، وهو شيء لا كالأشياء<sup>(5)</sup> لأن أوليته سابقة لكل شيء مخلوق وأخريته باقية بع فناء كل مخلوق فسبق الله لا بداية له وبقاء الله لا نهاية له، فلازلية لله وحده لأن ما سواه مخلوق والمخلوق موجود بعد عدم حيث لا زمان ولا مكان لأن العدل انتقاء الشيء أصلاً إلا الله وكذا الأبدية لله وحده لأن كل شيء هالك إلا وجهه، وهلاك الشيء هو فناء الموجود بعد الوجود وهو حال عدم حيث كون الله ولا شيء.

واعتباراً بهذا فلا يصح التوحيد إلا بأفراد الخالق عن المخلوق في "ذاته وأقواله وأفعاله وأحكامه وعبادته وصفاته وسائر كمالاته"<sup>(6)</sup>، فلو تشابه مع الخلق - كما تزعم المشبهة - في أقل قليل لدخل عليه العجز منه ولا جناح إلى ما احتاجوا "فليس هناك ذات تشبه ذاته تعالى. ولا

(1) الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري (ت 170هـ)، الجامع الصحيح، نا دار الفتح للطباعة والنشر بيروت ومكتبة الاستقامة، مسقط عمان، مطبعمومية دمشق، 1 رمضان 1388هـ، ج 1 ص 19-20، ج 3 ص 26-29، أبو زكريا يحيى بن الخير الجناوي، الوضع ص 11-16، تبغورين بن عيسى الملوثاني، نخبة المتين من أصول تبغورين، ضمن كتب مختارة، مط العربية، غارداية، د.ت. ص 175-200. أسماعي الجيطالي (أبو طاهر) (ت 750هـ) قواعد الإسلام، تح مر، ش. بكلي عبد الرحمن، ط 1، مط العربية غارداية، أبريل 1976م، ج 1 ص 31-34، أوب عمار عبد الكافي (ق 6هـ) الموجز، تح د. عمار طالبي، ش. و. ن. ب. الجزائر 1978م، ج 1 ص 429-430، ج 2 ص 91-92، ص 104-106، ص 116-117، عبدالله بن حميد السالمي (ت 1914) مشارق أنوار العقول، تح أحمد بن حمد الخليلي، ط 2 مسقط عمان 1978م، ص 175، 198، 295، عمر بن جميع ابو حفص، مقدمة التوحيد وشروحيها، القاهرة 1353هـ، ص 21-26 أحمد بن سعيد الدرجميني (أبو العباس ت. 670هـ)، طبقات المشائخ بالمغرب، تح إبراهيم طلاي، مط البيعث، قسطينية د. ت. ج 2 ص 246، محمد بن يوسف اطفيش (ت 1914م) الذهب الخالص، تح وتو أبو اسحاق إبراهيم اطفيش، مط البيعث، قسطينية، 1980م، ص 22-26، علي يحيى معمر (ت 1979م) الاباضية في موكب التاريخ حلقة 1 ص 68-92، بكلي عبد الرحمن فتاوي البكري ج 1 و 2.

(2) من اباضية المغرب: ش عامر بن علي الشامخي (92هـ/1390) ش تبغورين بن عيسى الملوثاني (ق 6هـ)، ش. عمر التلاتي ش. عبد العزيز الثميني (ق 19م)

(3) راجع د. عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، ج 1 ص 140.

(4) T. Lewicki E.L

(5) ش. محمد بن يوسف اطفيش، الذهب الخالص، مط السلفية القاهرة 1343م، ص 7.

(6) ش. عمر بن رمضان التلاتي، نخبة المتين من أصول تبغورين، ضمن كتاب تحت عنوان "كتب مختارة" مط العربية غارداية د. ت. ص 175.

تقبل ذاته الانقسام ولا تشبه صفاته الصفات، ولا يدخل أفعاله الإشراف فإن الفعل له سبحانه خلقا وان ينسب إلى غيره كسبا"<sup>(7)</sup>

وأهم مبحث في التوحيد هو صفات الله تعالى وقد كان موضوع خلاف كبير بين المتكلمين، أما الإباضية فالصفات عندهم ثلاثة أنواع:

أ) صفات وجبة لله- كالوجود والأزلية والأبدية والحياة والعلم.  
ب- صفات جائزة لله يوصف بها حين يفعلها، ولا يوصف بها إذا لم يفعلها لجواز فعلها أو تركها. وتنقسم الصفات الواجبة إلى قسمين، ذاتية وفعلية أما صفات الفعل فأنها "تجامع ضدها في الوجود عند اختلاف المحل"<sup>(8)</sup> ومثاله أن يهب الله للواحد ذكرا وللآخر أنثى، أو أن يعطي العلم لفلان ويخلق الجهل للآخر، وصفات الأفعال قديمة أزلية كصفات الذات فيوصف الله بأنه خالق في الأول اعتبار ما سيخلق، وإنه عالما بما كان قبل أن يكون. أما صفات الذات كالعلم والقدرة والإرادة فأنها لا تجامع ضدها في الوجود ولو اختلف المحل، فلا يقال قدر الله على فعل شيء وعجز عن فعل شيء. وصفات الذات أنور اعتبارية لا وجود لها في ذاتها ولا في ذاته تعالى وإنما المقصود بها نفي أصدادها المستحيلة في حق الله تعالى فوصف الله بالعلم نفي الجهل عنه بينما الصفات عند الأشاعرة وهي "معاني بالإباضية قائمة بذاته تعالى زائدة عليها"<sup>(9)</sup> فهي عند الأشعري حقيقة أزلية لكنها ليست كصفات البشر وهي عند الحشوية والمشبهة حقيقة ثابتة شبيهة بصفات الإنسان، أما الإباضية فتري أن الصفات هي عين الذات<sup>(10)</sup> والمراد بهذا أن ذاته تعالى كافية في الانكشاف والتخصيص والتأثير والاستلزام، فكون الله عالما بذاته يعني أن ذاته منكشف لها جميع المعلومات انكشافا تاما من غير قيام صفة قديمة مقتضية لذلك الانكشاف فالله غني عن كل معنى قديم زائد عليه قائم به للانكشاف.

وكون الله في كل مكان إنما بالحفظ والقدرة وكونه في الأشياء ومعها على معنى العلم بها والإحاطة لها بالزيادة وبالنقصان لا على الحلول والتمكن<sup>(11)</sup> واستواء الله على العرش وعلى كل شيء غير معقول<sup>(12)</sup> لقصر عقل الإنسان عن إدراك ذات الله وصفاته، ويقتضي هذا أن يؤول العرش بالسلطان واليد بالقدرة والوجه بالوجود وهذا مذهب المعتزلة في التأويل وإنكارهم لزيادة الصفات عن الذات يوافقهم في ذلك الإباضية وهو عين ما حققه السيد الجرجاني في شرح المواقف<sup>(13)</sup> خلافا للمشبهة والحشوية والتمسكين بظاهر النص، فأثبتوا حلول الله على العرش وجلسه على الكرسي تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

2- العدل:

أجمع المسلمون على أن الله عدل لا ينسب إليه الجور ولا يوصف به، سواء في أحكامه أو أفعاله<sup>(14)</sup> وإنما الخلاف بين المتكلمين يتركز حول الحرية الإنسانية وهي مرتبطة بالعدل الإلهي هل الإنسان حر في تصرفاته أي خالق لأفعاله؟ أم أن الخلق لله ولا طاقة للعبد في اختيار ما يريد؟ اختلف الخوارج حول هذا فافتقرت الرافضة إلى أربع فرق<sup>(15)</sup> في القول بالاستطاعة، ومن الخوارج من بالغ في مسألة العدل الإلهي حتى زعموا أن الله لا يقدر أن يظلم

(7) نور الدين السالمي، مشارق أنوار العقول، ط2، مط العقيدة، عمان 1978، ص150.

(8) نور الدين السالمي، مشارق أنوار العقول، ص173.

(9) ش.عمر بن رمضان الثلاثي، نخبة المتين من أصول تبغورين ص178.

(10) راجع صالح الصوافي، الإمام جابر بن زيد، ص234، 235.

(11) عبد العزيز الثميني، معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين (مخطوط) ورقة 353.

(12) ش.علي بن عامر الشماعي، متن الديانات، ضمن كتب مختارة، ص47.

(13) عبد العزيز الثميني، النور، شرح القصيدة النونية، ص105.

(14) عامر بن علي الشماعي، متن الديانات ص47، أبو زكريا يحيى بن أبي الخير الجناوني، كتاب الوضع، نشر وتعليق إبراهيم اطفيش، ط1، مط الفجالة

القاهرة، د.تا. ص22.

(15) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، تحقيق محمد محي الدين، ط2، دار الحداثة 85، ج1، ص111.

"فكان الله عدل محض لا يوصف بالقدرة على الظلم فضلا عن ان يصدر عنه أو أن يخلقه"<sup>(16)</sup> ويفسر صاحب متن الديانات، ش. عامر بن علي الشماخي (ت 792هـ)، قوله تعالى:

[ إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ]<sup>(17)</sup>، بأن الله لا يؤاخذ الناس بما لم يكتسبوه من عمل كما لا يعذبهم على ما لم يقترفوه من فعل<sup>(18)</sup> ما دام الله لا يجبر أحدا على فعل خلافا للمجبرة<sup>(19)</sup> التي زعمت أن الله أجبر الناس على أفعالهم التي زجهم عنها ثم عذبهم عليها<sup>(20)</sup> وليس الجهمية وحدهم يقولون بالجبر فالخوارج أيضا منهم من يقول بذلك وقد ذكر ابن حزم الأندلسي أن طائفة من الأزارقة ترى الجهم بن صفوان<sup>(21)</sup>.

أما الإباضية فيدينون بأن الأفعال خلق الله تعالى وهي في ذات الوقت كسب الانسان وبهذا تتأكد حرية العبد وقدرته على الاختيار من دون أن يتعارض ذلك مع مشيئة الله وإدارته في الخلق الذي يتفرد به دون غيره، أما الاستطاعة هي التخليية، وان الاستطاعة لا تبقى توقنتين، وهي كل شيء غير استطاعة ضده<sup>(22)</sup> فالاستطاعة على فعل يستوجب استطاعة على عدم فعل الشيء هذا رأي الإباضية أما الرافضة من الشيعة فتري ان الاستطاعة قبل الفعل وليس معه وهي الصحة وبها يستطيع المستطيع فكل صحيح مستطيع<sup>(23)</sup>. كما اختلفت الزيدية من الشيعة<sup>(24)</sup> في الاستطاعة فمنهم من يزعم ان الاستطاعة مع الفعل والأمر قبل الفعل ومنهم من يرى ان الاستطاعة قبل الفعل وهي مع الفعل مشغولة في حال الفعل<sup>(25)</sup> القول في العدل أنه وضع الأشياء في مواضعها واعطاء كل ذي حق حقه وتنزيل كل شخص منزلته<sup>(26)</sup> وان الله في جميع أحكامه وأفعاله وأنه ليس بظلام للعبيد.

3- القضاء و القدر:

كل شيء بقضاء الله وقدره، فالقضاء هو إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه، فأرادته لا حدود لها في الأزل وعليه فإن كل شيء داخل تحت قضائه تعالى، لأن قضاءه سابق للأشياء، والقدر هو علم الله بمقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها<sup>(27)</sup> يوجد ما سبق في علمه ان يوجد. فكل حادث صادر عن علمه وقدرته وإرادته وهذا لا يتعارض مع إرادة العبد في اختيار أعماله، فأفعال العبد مكتسبة له مخلوقة لله، وحيث أن الله خالق لكل شيء وعالم بكل شيء ومريد كل شيء، فإن القدر خيره وشره من الله فنقضت القدرية<sup>(28)</sup> قولهم بزعمهم ان الله تعالى لم يخلق أفعالهم القبيحة لأن الله لا يصدر منه ما لا يرضى<sup>(29)</sup> لقوله تعالى:

16) عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، ش.و.ن.ت. الجزائر 1978م، ج1، ص153.

17) سورة بونس، الآية44.

18) عامر بن علي الشماخي، متن الديانات، ص47.

19) أصحاب جهم بن صفوان، الذي قال بالإجبار والاضطرار الى الأعمال، وانكر الاستطاعة كلها... وقال لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق ص199، ويقال لهم الجبرية أو المجبرة لقولهم بالجبر، الى ان الانسان مسير لا مخير في جميع أفعاله.

20) أبو زكريا يحيى، كتاب الوضع ص22.

21) ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والنحل، ج3 ص22.

22) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين ج1، ص174.

23) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين ج1، ص112.

24) أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان المرجئة لا يفضلون أحدا على زيد بن علي فهو إمامهم وصاحب الفضيلة على من سواه، للمزيد من التفاصيل حول الزيدية، انظر، مروج الذهب للمسعودي، تج، محمد محي الدين عبد الحميد، ج3، ص218، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج1، ص315، وانظر ابن الأثير في تاريخه الكامل، مطب بولاق ج5، ص90.

25) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج1، ص140.

26) ش.عمر الثلاثي، شرح متن الديانات ضمن كتب مختارة، مط العربية غرداية، دتا، ص52.

27) المرجع السابق ص52.

28) القدرية من المعتزلة أصحاب واصل بن عطاء (ت 131هـ) سمو بالقدرية لاجتماعهم على ان العباد يفعلون أفعالهم بالقدرة التي خلقها الله فيهم، وزعم منهم ان القدرة فعل الجسم القادر بها وليست من فعل الله تعالى، عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص96.

29) أبو زكريا يحيى بن أبي الخير الجنائوني، كتاب الوضع، ص22.

#### [والله خلقكم وما تعلمون]

ويستدل الشيخ محمد اطفيش (ت 1914م) على ذلك بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم يقول فيه: "الأمور كلها خيرها وشرها من الله تعالى"<sup>(30)</sup>. وفي حديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى فيهم قضاؤه وقدره فإذا مضى أمره رد إليهم عقولهم ووقعت الندامة"<sup>(31)</sup>

4- الولاية والبراءة:

الولاية هي القرب والمحبة والولاء والرضى وهي "القيام للغير بالأمر والنصر، والاهتمام بالمصالح والحفظ والاتصال...." وشرعا الترحم والاستغفار للمؤمنين لإسلامهم وطاعتهم والثناء عليهم مع الحب في القلب"<sup>(32)</sup>، والولاية واجبة على المسلمين فمن أنكرها ولم يوال جملة المسلمين فقد أشرك وقيل منافق من تركها أو جهلها. والبراءة لغة البعد عن الشيء والتخلص منه، فهي واجبة أيضا على المؤمنين بأن يظهرُوا البغض وعدم الرضى للكافر لكفره بل وشتمه ولعنه فواجب عند الإباضية براءة الأشخاص لوجود علة براءة الجملة وهي فعل الكبيرة أو الإصرار على الصغيرة وكل مظاهر الشرك والكفر، لقول عمر رضي الله عنه "من رأينا فيه شرا تبرأنا منه"<sup>(33)</sup>

ووجوب ولاية الجملة وبرائة الجملة لا يعني ولاية كل الناس أو البرائة منهم جميعا. "واصل الولاية الموافقة في الحق، فالمتوافقان فيه متواليان ولو لم يعلم أحدهما بالآخر، أو تبرأ منه بظاهر الحال والبراءة بالعكس"<sup>(34)</sup>. وبين الولاية والبراءة توجد حالة الوقوف، وهي واجبة فيمن لم يعلم عنه شيء عن حاله ولم يظهر منه موجب الولاية ولا موجب البرائة لقوله تعالى:

#### [ولا تقف ما ليس لك به علم]<sup>(35)</sup>

وقوله صلى الله عليه وسلم: "قف عما لا تعلم"<sup>(36)</sup> وقد يجب إبقاء الشخص على ما هو عليه من وقوف أو براءة أو ولاية، إذا فعل ما لم يعلم حكمه. وولاية الله لأوليائه ورضاه عنهم، وعلمه بما يستوجبون من ثواب وتوفيقهم لطاعته وتتعيمهم، وعداوته لأعدائه سخطه عليهم وعلمه بما يستوجبون من العقاب، وخذلانهم وعدم توفيقه لهم على الطاعة، وتعذيبهم لهم، "وولاية وعداوته لا تغيران الأزمان ولا تقلبان بتقلب الأحوال"<sup>(37)</sup> كما يزعم النكار<sup>(38)</sup> والشيعية<sup>(39)</sup>. فالسعيد في ولاية الله ولو في حال معصيته والشقي في براءته ولو في حال وفائه<sup>(40)</sup> فانه قد سبق في علمه "ما كان وما يكون وما لم يكن ان لو كان كيف كان يكون"<sup>(41)</sup> بالنسبة لتعلق علم الله بالمعدوم، فهو على علم بمستقبل أطفال المشركين قبل وجودهم ولذلك

(30) رواه الطبري في الأوسط، ذكره ش. محمد اطفيش في جامع الشميل في حديث خاتم الرسل طبع جري بخط اليد في 436ص، جاء في نهاية الكتاب قد يم طبع هذا الكتاب بإعانة الملك الوهاب في غرة شهر ذي الحجة سنة ألف وثلاثمائة وأربعة، على ذمة المطبعة البارونية، مصر، ص252.

(31) المصدر السابق ص251، رواه الديلمي عن أنس.

(32) ش. محمد اطفيش، الذهب الخالص، ص32.

(33) المصدر السابق، ص45.

(34) المصدر السابق، ص42.

(35) سورة الاسراء، الآية 36.

(36) المصدر السابق، ص58.

(37) ش. عامر بن علي الشامخي متن الديانات ضمن كتب مختارة، ص48.

(38) فرقة تفرعت عن الإباضية في زمن الدولة الرستمية وانقرضت، أنكرت إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي، فاصل افتراقهم سياسي، ومن أسماء هذه الفرقة: النكاث، واليزيدية، والنحوية.

(39) يقولون بتقلب ولاية الله وعداوته، وهذا القول مستمد من اليهود، وهم يقولون بأن الله تعالى تبدو له البدوات، إبراهيم اطفيش في هامش كتاب الوضع، ص22.

(40) ش. محمد اطفيش، الذهب الخالص، ص54.

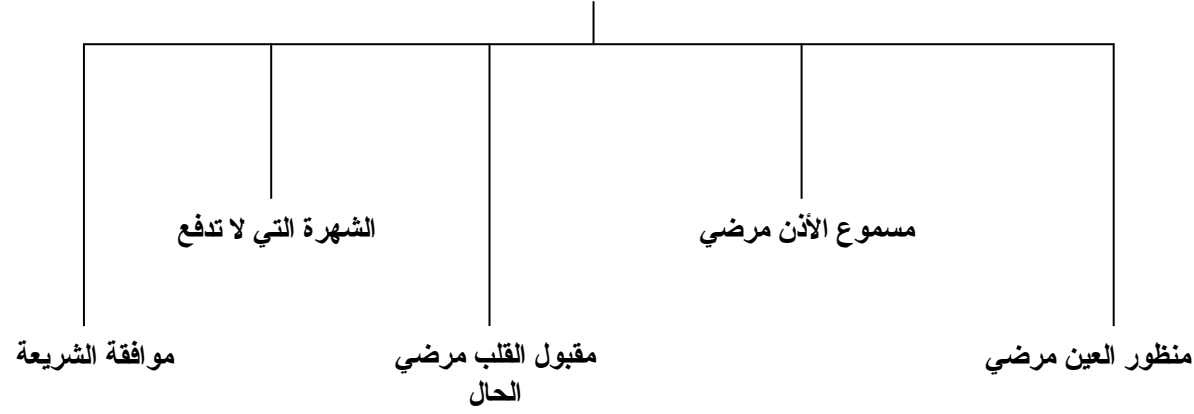
(41) أبو زكريا يحيى بن أبي الخير الجنائني، كتاب الوضع، ص22.

يدين الاباضية بالوقوف في أطفال المنافقين والمشركين، خلافا للصفرية من الخوارج والأزارقة والنجدية حين استباحوا قتل الأطفال تبعا لأبائهم.

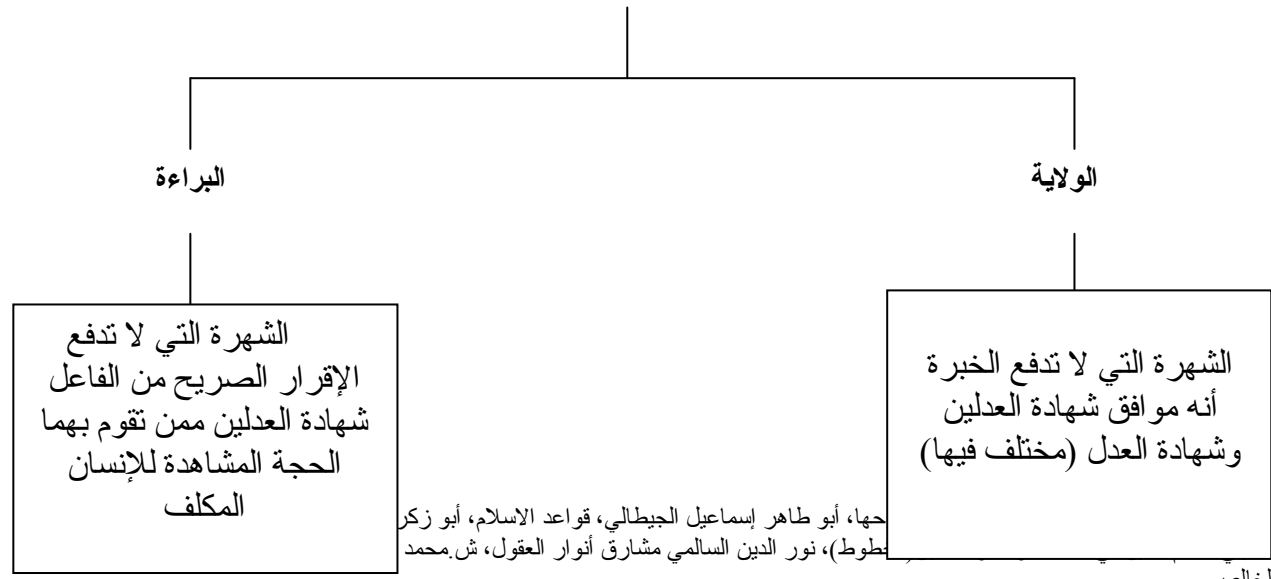
ولعل الولاية والبراءة من الأصول التي درسها الاباضية بعمق وانفردت عما سواها من الفرق بالقول بولاية الشخص وبراءة الشخص بحكم الظاهر، ولذلك نجد دراسات مستفيضة لفقهاء الاباضية وعلمائها<sup>(42)</sup> حول مسألة الولاية والبراءة والوقوف، ففصلوا القول في شروط الولاية والبراءة ووجوبها، وبينوا بشكل دقيق الجهات التي تتم بها كل من الولاية الشخصية والبراءة الشخصية، كما حددوا بدقة من تجب فيه الولاية والبراءة سواء في الجملة أم الشخص، وتجدر الإشارة إلى أن اهتمام الاباضية بهذا الجانب لم ينحصر في نطاق الاجتهاد الفقهي والنظر العقلي فحسب وإنما تعداه إلى الميدان العملي والتطبيق الفعلي فتجسدت هذه الآراء والأحكام في واقع الحياة اليومية داخل المجتمعات الاباضية.

ويمكن توضيح أصل الولاية والبراءة وشروطها والجهات التي تتم بها وفيمن تجب فيه بواسطة الجداول التوضيحية التالية<sup>(43)</sup>.

### شروط وجوب الولاية



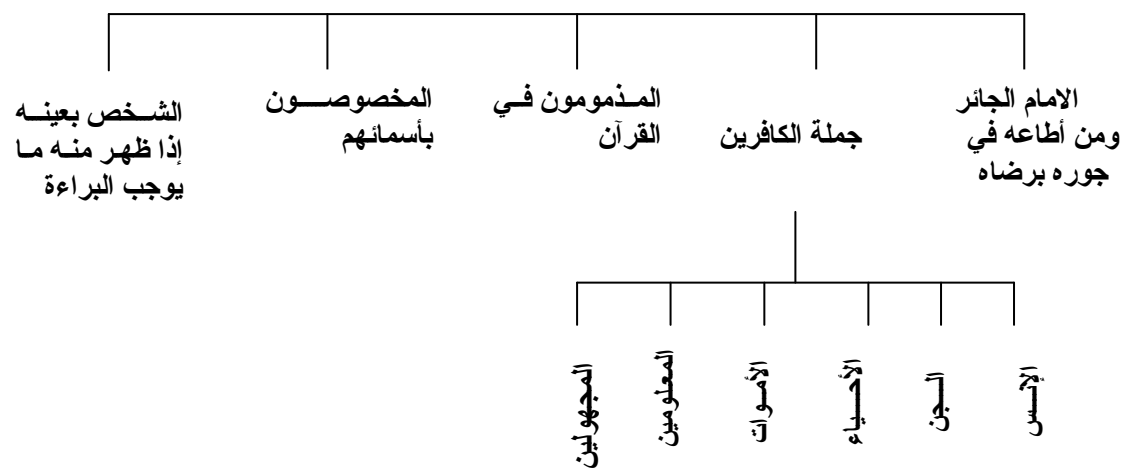
### الجهات التي تتم بها الولاية والبراءة



الخالص...  
 (43) استخلصنا مادة الجدول من المصادر التالية: أبو زكريا: كتاب الوضع ص32-34. إسماعيل الجبطلاي قواعد الإسلام ج1، ص45-83. الشيخ أطفيش، الذهب الخالص ص. 32-57. نور الدين عبدالله ابن حميد السالمي، مشارق أنوار العقول، علق عليه وصححه أحمد بن حمد الخليفي، ص. 336-355.



## من تجب فيه الولاية



### 5- الأمر والنهي:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم في كل زمان ومكان، على قدر الاستطاعة. وتجسد هذا الأصل إذا قويت الروح الإسلامية في السلوك الإنساني ضمن علاقاته الاجتماعية لأن الكافر بدين الله لا تقوى عزمته على فعل الخير والنصح لصالح المجتمع وفي سبيل الله، فمتى كانت علاقة العبد بربه مرضية فيأتمر بأوامر الخالق وينتهي بنواهيته فإن ذلك ينعكس على سلوك الإنسان وعلاقته بينه وبين غيره ممن يعيش في محيطه، فمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الأصول الاجتماعية والأخلاقية ونجد الاهتمام نفسه عند المعتزلة حيث "أجمعت على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإمكان والقدرة، باللسان واليد والسيف كيف قدروا على ذلك"<sup>(44)</sup>. وعلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيني الأباضية حكمهم على وجوب الإمامة لأن المسلمين لا تستقيم أمورهم إلا بتعيين سلطان يتولى أمرهم وينفذ حكم الله بالعدل بين الناس وقد وردت في ذلك نصوص كثيرة تحت على ضرورة نصب الإمامة، وتحرض الناس على الامتثال لأوامر الله ورسوله وأولي الأمر، ووجوب طاعتهم.

### 6- الوعد والوعيد:

وهما من اختصاص الله تعالى، وقد اتفق الموحدون على ان الله صادق في وعده ووعيده، إلا المرجحة زعمت أن الله لا يخلف وعده وقد يخلف وعيده<sup>(45)</sup> إكراما منه ورحمة وإشفاقا على عباده.

ووعد الله هو أخباره تعالى عباده الصالحين بالخير وتبشيرهم إياه بالثواب في الآخرة في قوله تعالى:

[إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا] <sup>(46)</sup>

أما الوعيد فهو الأخبار بالشر والعقاب لأعداء الله من مشركين وكافرين ومنافقين في الآخرة كما في قوله تعالى:

[إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدون فيها أولئك هم شر البرية] <sup>(47)</sup> فمصير أهل الوعد هو الخلود في الجنة ومصير أهل الوعيد هو الخلود في النار، والجنة

(44) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج1، ص311.

(45) أبو زكريا يحيى بن أبي الخير الجناوني، كتاب الوضع، ص23.

(46) الكهف الآية 107.

والنار دائمتان لا تقنيان وكل من الثواب والعقاب في الآخرة مغير للثواب والعقاب في الدنيا(48) وحيث أن الله صادق في وعده ووعيده(49) فإنه منفذ حكمه على المؤمن والكافر كما وعد وأعد فلا يمكن تصور خلف الله لأقواله، لأن المسألة تتعلق بالعدل الإلهي في أفعاله والصدق الإلهي في اختباره وعدله يقتضي إثابة المطيع وعقاب العاصي وصدقته يقتضي عدم خلفه لأقواله وكلام الله لا تبديل له ولا تحويل لقوله تعالى:

[إن الله لا يخلف الميعاد](50)

وحكم الله لا معقب له لأنه ثابت لا يتغير، فلو حدث ذلك لكان الله قد تراجع عن أحكامه وهذا مستحيل على الله، بدليل النصوص الصريحة في ذلك. أما عن آيات الرحمة والعفو فهي فوق العدل، وهي خاصة للتائبين والمستغفرين والنادمين على معاصيهم لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

7- المنزلة بين المنزلتين:

قد لا يكون العبد مؤمنا كما لا يكون مشركا في ذات الوقت، فهو في منزلة بين قطبين متناقضين هما الايمان والشرك. وهذه المنزلة هي النفاق(51)، وهذه المنازل الثلاث يستحيل الجمع بينها، (فالمتمصف بواحدة منها لا يوصف بالأخرى(52)). وقد فرق الله بينهما في قوله تعالى:

[ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات] (53).

فالمنافق ليس بمشرك لأنه موحد وليس بمؤمن لأنه عاص لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يزني حين يزني وهو مؤمن".

وهذا خلافا للأشعرية التي تعتبر أن ظاهرة النفاق عرفت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقط ولا وجود لها بعد ذلك والذي يظهر الإيمان ويبطن الشرك يعتبر عندهم مشركا، بينما الإباضية يرون ان النفاق متوقف على الفعل لا على الاعتقاد، وزعمت المرجئة(54) أن لا منزلة بين منزلة الشرك والإيمان وجعلوا الايمان كله توحيدا وجعلوا الكفر كله شركا(55).

8- لا منزلة بين المنزلتين:

الإيمان والكفر(56) ضدان لا يجتمعان كالحركة والسكون والحياة والموت فلا يعقل أن يكون العبد مؤمنا وكافرا في وقت واحد فهو إما مؤمن أو كافر ولا منزلة بين الكفر والإيمان كما أنه لا توجد منزلة بين التوحيد والشرك فيما أن يكون العبد موحدا وأما أن يكون مشركا. إن وحد وعصى فهو موحد لا مشرك، كافر لا مؤمن ليس له حالة ثالثة لقوله تعالى:

[وهو الذي خلقكم فممنكم كافر ومنكم مؤمن] (57)

(47) البينة الآية 6

(48) عامر بن علي الشماخي، متن الديانات، ضمن كتب مختارة ص49.

(49) عبد العزيز الثميني، معالم الدين (مخطوط) ورقة 355، عامر بن علي الشماخي، متن الديانات، ص48، أبو زكريا، الوضع، ص23

(50) آل عمران الآية 6

(51) النفاق هو الاعتقاد والإقرار ثم الخيانة في العمل، وقد بينه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "ثلاث من كن فيه هو منافق ولو صلى وصام وزعم أنه مسلم، من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان".

(52) معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين، عبد العزيز الثميني(مخطوط) ورقة 355.

(53) الأحزاب الآية 73.

(54) المرجئة ثلاثة أصناف: صنف منهم جمعوا بين الأرجاء في الايمان وبين القدر على المذاهب والمعتزلة، فهؤلاء مرجئة قدرية، وصنف قالوا بالإرجاء والجبر على مذهب جهم فهم معدودون في الجهمية، والصنف الثالث منهم مرجئة خالصة عن القدر والجبر، وسموا بالمرجئة لتأخيرهم العمل على الايمان وقيل لأنهم تركوا القطع على عقاب من لم يتب عن كبيرة حتى، البيهقي، كتاب الملل والنحل، ص139.

(55) أبو زكريا يحيى بن أبي الخير الجنائوني، كتاب الوضع، ص24.

(56) الكفر هنا كفر نعمة لا كفر جحود وشرك وهذا مصطلح إباضي خاص.

(57) الغابن، الآية 2.

وقوله تعالى: [إما شاكرا وإما كفورا] (58)

هذا ما اجتمع عليه الإباضية على غير مذهب المعتزلة حين جعلوا الفسق منزلة بين الإيمان والكفر (فقالوا انه كالأبلق لا يسمى لما به من السواد أبيض ولا يسمى لما به من البياض أسود) (59).

وبهذا تنفرد الإباضية بالقول بأن لا منزلة بين المنزلتين خلافا للأشاعرة فأصل الخلاف إذا حول مصير صاحب الكبيرة فقالت الأشعرية: انه مؤمن بتوحيده لكنه فاسق بكبيرته وحيث أنه مؤمن فتوابه الجنة ولو عصى، أي انه لا يخلد في النار، أما أصل (ت 131 هـ) (60) فلم يرض بهذا واعتبر صاحب الكبيرة فاسقا ووضع في منزلة بين الإيمان والكفر، واستتبع هذا بالحكم على الفاسق بالتأبيد في النار ان لم يتب على قول الإباضية، إلا أن الإباضية أوجبوا له الخلود لأنه كافر غير تائب بينما المعتزلة أخرجوه من الكفر "وقالوا لم نسمه مؤمنا لأن هذا من أسماء المدح" (61) وليس بكافر لأنه موحد، وفيه بعض الإيمان، وصاحب طاعات كثيرة وقالت الأزارقة من الخوارج انه مشرك كافر.

#### 9- الأسماء والأحكام:

وهذا أصل يختص به الإباضية دون غيرهم، قالوا به حين عدم الاتفاق بين المتكلمين وكتاب المقالات وفقهاء الفرق حول إطلاق الأسماء المناسبة على مسمياتها ووصف الموصوفات بأوصافها الحقيقية وإطلاق الأحكام الصحيحة على ما تستحق تلك الأحكام ويقصد بالأسماء الألفاظ والصفات التي تطلق على العبد وقد تدل هذه على المعاني الحسنة كالمؤمن والتقوي والصالح والموحد... وقد تدل المعاني القبيحة كالكافر والفاسق والمشرك أما الأحكام فهي " الأمور المحكوم بها على العباد كالولاية والبراءة والسبي والقتل والجزية..." (62) وسائر أحكام الله سواء حسنة كالثواب بالنعيم في الجنة أو قبيحة كالجزاء بالعقاب والخلود في النار وأكثر اختلاف الفرق انما جاء من قبيل الأسماء وتحديد ما نسميه بالمصطلحات، فنجد عدة معاني وتأويلات للاسم الواحد، وهذا الاختلاف في تحديد معنى الاسم ينتج عنه اختلاف حول الحكم الذي ينطبق عليه.

ومن أجل ذلك اجتهد الإباضية في تحديد المصطلحات وحرصوا على تحري الدقة في تفسير معاني الأسماء وانطلاقا من ذلك وضعوا القاعدة الأساسية، وهي "ان الأسماء تابعة للأحكام" (63). فأحكام الموحدين - مثلا - ليست كأحكام المشركين والعكس صحيح لأن الموحد والمشرك اسمان مختلفان لمسلمين تمام الاختلاف واختلافها في الاسم يقتضي اختلافها ما في الحكم وقد يبدو هذا واضحا ومقبولا - عقليا - لكنه لم يسلم من اختلاف المتكلمين حوله، فقد زعم عيسى بن عمير، وأحمد بن الحسين أن أهل الكتاب ليسوا بمشركين، وتحريمهما منهم ما يحرم من المشركين. وإذا كان الخلاف حول حقيقة الشرك والتوحيد أمرا واقعا فإن الاختلاف حول بقية الأسماء أمر لا مناص منه وذلك أنهم اختلفوا في الطاعة والإيمان والمعصية والكفر، فقال بعضهم ان الطاعة والإيمان كلاهما توحيد وغير توحيد، والكفر كله شرك، والمعصية منها شرك وغير شرك، وقال بعضهم - الطاعة كل ما قارنه الأمر من توحيد أو غيره، والمعصية

(58) البلد، الآية 10.

(59) علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، مكتبة وهبة، ط1 القاهرة 1976م، ص315، نقلا عن ش. تيغورين بن داود بن عيسى.

(60) أصل بن عطاء الغزالي الأبلق كان في أول أمره مع الأشاعرة لكنه اعتزل عنهم بقوله بالمنزلة بين المنزلتين، فسمي أتباعه بالمعتزلة.

(61) عبد القادر البغدادي (أبو منصور) الملل والنحل، تح. د. البير نصر نادر، ط2، دار الشروق بيروت 1970م، ص83.

(62) ش. عمر التلاتي، شرح متن الديانات لعامر الشماخي، ضمن كتب مختارة ص53.

(63) ش. عامر بن علي الشماخي، متن الديانات، ص49، أبو زكريا، كتاب الوضع، ص25، ش. عبد العزيز الثميني، معالم الدين (مخطوط) ورقة 353.

كل ما قارنه الثواب من توحيد أو غيره، والمعصية كل ما قارنه النهي من شرك أو غيره، والمعصية كل ما قارنه العقاب من شرك أو غيره، وهذا القول الأخير هو قول الإباضية<sup>(64)</sup> وعلى هذا يكون التوحيد هو كل ما قارنه الأفراد وترك المساواة والشرك ما قارنه التساوي ووصف الخالق بصفة المخلوق والنفاق ما قارنه الخلف والكذب وكتمان الشيء مع إظهار خلافه.

### مفهوم الإيمان والإسلام والدين

حقيقة الإيمان عند الإباضية هو التصديق بما يجب التصديق به شرعا من نحو وجود الله وكلماته وبعث رسله ورسالة محمد وحقيقة ما جاء به من عند الله، واللفظ بالشهادة شطر الإيمان لا شرط في كماله حيث لا يكتمل الإيمان إلا بالعمل الصالح بالطاعة والعبادة والإسلام لغة الخضوع والانقياد وفي الشرع أعمال الجوارح والقلب بجمع المأمورات<sup>(65)</sup> وهو مركب من قول وعمل فلا يوصف العبد بالإسلام إلا إذا أقر بالتوحيد وعمل الفرائض. والدين ما أمر الله به عباده أن يطيعوه به من كل قول وعمل وهي العبادات المعتبرة<sup>(66)</sup> والواقع ان كلا من الإيمان والإسلام والدين أسماء تصدق من حيث الشرع على شيء واحد وان اختلفت المعاني وهو عبادة الله بتوحيده قولا وتنفيذ مأموراته بالعمل الصادق، لقوله تعالى:

[وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين] <sup>(67)</sup>

وقال: [إن الدين عند الله الإسلام] <sup>(68)</sup>

وللدين قواعد وأركان ومسالك ومجاري وحدود وإفراز وإحراز ، لا بد من معرفتها للتمييز بين الإسلام والكفر والتفريق بين المؤمن والمنافق والمشرك، وفيما يلي بيان ذلك في الجداول الآتية:

الدين (الإسلام)						
القواعد	العلم	العمل	النية	الورع		
الأركان	الاستسلام	الرضى	التوكل	التقويض		
المسالك	الظهور	الدفاع	الشراء	الكتمان		
الأسهم	الصلاة	الزكاة	الصوم	الحج	العمر	الجهاد
					بالأمور بالمعروف عن المنكر	النهي
المجاري <sup>(69)</sup>	الكتاب	السنة	الرأي			

(64) أبو زكرياء يحيى بن أبي الخير الجناوني، كتاب الوضع، ص25.

(65) بدر الدين أبو العباس أحمد الشماخي، شرح مقدمة التوحيد لعمر بن جميع، صححها وعلق عليها أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، القاهرة 1353هـ، ص25.

(66) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(67) البيهقي، الآية5.

(68) آل عمران، الآية 19.

(69) المجاري بمعنى: مصادر التشريع، والذي في كتاب الوضع لأبي زكرياء ص29، (ومجارية ثلاثة، الكتاب والسنة والإجماع) اقتصر على الإجماع لأن القياس مستمد من الكتاب والسنة، وفي عقيدة التوحيد ص44: الرأي عوض الإجماع، وهو أعم لأنه يشمل القياس والإجماع، ويضيف أ.محمد الشيخ بالحاج ضمن الرأي بعض أنواع الاستدلال خاصة المصالح المرسله وسد الذرائع، والخروج من الخلاف، والاستصحاب والعرف والقواعد الفقهية العامة،

الحدود	علم ما لا يسع جهله	فعل ما لا يسع تركه	ترك ما لا يسع فعله
الإقرار <sup>70</sup> (	وفاء المؤمن	تضييع المنافق	جحد المشرك
الإحراز) <sup>71</sup>	ولاية المؤمن الموفي	براءة المنافق والمشرك	الوقوف عند المجهول

الكفر				
الأركان	الرغبة	الرغبة	الشهوة	الغضب
القواعد	الجهل	الحمية	الكبر	الحسد

### ثانياً: بعض المسائل الخلافية

#### 1- نفي الرؤية:

رؤية الله تعالى- وهي الإبصار بالعين المجردة- عند الإباضية كما عند المعتزلة مستحيلة على الإنسان في الآخرة فضلاً عن الدنيا، لأدلة عقلية صريحة وعقلية قاطعة. أما عند الأشاعرة فالرؤية جائزة لكن ليس بالإبصار الذي يعرفه الإنسان في الدنيا، لأن حكم تلك الدار ليس كهاته. فالله يرى عند جمهور الأشاعرة بالأبصار لكن بدون حلول وكيف وجد، والإباضية لا يقتنعون من تأويل الفخر الرازي وأبو حامد الغزالي (ق 5هـ/11م) الرؤية بالعلم لأن حقيقة الله تعالى لا تعلم وإنما تعلم صفاته فقط، وذلك أنه لا بد للشيء المعلوم أن يتصور في ذهن العالم به وحقيقة الله تعالى لا تتصور<sup>(72)</sup>. أما المعتزلة فأجمعت على أن الله لا يرى بالإبصار لكن اختلفت هل يرى بالقلوب- فقال أبو الهذيل العلاف (135-235هـ) وأكثر المعتزلة ان الله يرى بقلوبنا<sup>(73)</sup> - ويقصدون معرفة الله بالقلب وهذا تأويل مقبول لدى الإباضية والخوارج وطوائف من المرجئة والزبدية، أما الحشوية فتعتقد برؤية الله في الآخرة كما ترى جميع الأشياء المرئية في الدنيا. على ان الإباضية والمعتدلين منهم خاصة (لا يمتنعون أن يكون معنى الرؤية هو كمال العلم به تعالى) ومعرفة الله بالبصيرة القلبية فإذا كانت هنالك حالة لا تدخل تحت قيود الإدراك

محمد الشيخ بالحاج: الاجتهاد في المذهب الإباضي ص19، والواقع ان الإباضية من أشد الفرق تمسكا بالسنة والإجماع الى درجة أنهم يدينون بتكفير من أنكر الرأي والسنة، انظر عامر بن علي الشماخي متن الديانات ص49، أما القطب فيحكم بالشرك على من أنكر واحداً من الثلاثة: القرآن والسنة والإجماع، وهن أصل القياس، محمد اطفيش شامل الأصل والفرع، مط السلفية القاهرة 1348هـ، ج1، ص9. وبهذا يكون المستشرق (موتيلينسكي) قد أخطأ- رغم درايته الواسعة بالعقيدة عند الإباضية- حين أشار في مقال له في دائرة المعارف الإسلامية، ان الإباضية لا تعتمد الإجماع والقياس وتكتفي بدلا من ذلك بالرأي، ولم ينته الى ان الرأي يتضمن الإجماع والقياس اللهم الا ان يكون قد أطلع على مقالة السكاكية- وهي إحدى الفرق الشاذة عن الإباضية في المغرب- تنكر السنة والرأي زاعمة ان القرآن وحده كاف للتشريع أخذاً من قوله تعالى: (وما فرطنا في الكتاب من شيء) الأنعام 38، فنسب المستشرق هذه المقالة الى مجموع الإباضية.

70) الإفراز: جمع فرز وهو عزل الشيء عن غيره، والفرز المقصود هنا التمييز بين المؤمن والمنافق والمشرك فلكل حكمه عند الله.

71) الإحراز: جمع حرز وهو حفظ الشيء وصيانته.

72) نور الدين السالمي، مشارق أنوار العقول، ص186.

73) الأشعري مقالات الإسلاميين، ج1، ص265.

الإنساني عن طريق حاسة البصر المعهود لدى الإنسان ولا تؤدي إلى التحديد والتنشيبه فلا مانع من ذلك، وهذا ما لم يثبت النص ولا سلم به العقل.

2- مسألة الخلود:

مسألة الخلود متعلقة بالعدل الإلهي وهذا متعلق بالوعد والوعيد وما ينتج عنه من ثواب وعقاب فالجزاء عند الله نوعان لا ثالث بهما لقوله تعالى:

[فأما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك فعال لما يريد، وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ]<sup>(74)</sup>

وقال تعالى:

[فريق في الجنة وفريق في السعير]<sup>(75)</sup>

وبناء على هذا يكون مصير العبد الذي مات على كبيرة ولم يتب منها تعنتا وعصيانا جهنم خالدين فيها أبدا، وإذا كان من معاني الخلود طول المكوث فإن الأبدية تعني اللانهاية. ودفعاً للالتباس أكد الله تعالى طول المكوث في النار بالبقاء الأبدي في آية الجن حيث يقول:

[ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا]<sup>(76)</sup>.

والله لا يخلف وعده ولا وعيده كما لا تبدو له البدوات، يوافق الإباضية في هذا الرأي الخوارج والمعتزلة بينما يرى الأشاعرة أن العدل الإلهي يقتضي التمييز بين الموحد العاصي الذي خلط عملا سيئا مع أعمال حسنة وبين المشرك الذي لم تصدر عنه حسنة واحدة، وعلى ذلك فلا يعقل أن يجتمع الموحد والمشرك تحت حكم واحد ويخلدان في العذاب معا إلى الأبد، ومخرج ذلك أن ينال العاصي نصيبه من العذاب إلى أن يستوفي مقدار ذنبه ثم يلتحق بالسعداء في الجنة، وأيا كان نوع النعيم الذي سيلتحق به فإنه حكمه تغير - كان من زمرة أهل النار وأصبح مع أهل النعيم في الجنة، وهذا مالا يرضى به الإباضية، أما المرجئة "فتترك القطع على عقاب من لم يتب عن كبيرة حتى يموت"<sup>(77)</sup> فيتولى الله أمره إن شاء عذبه وإن شاء نعمه.

3- خلق القرآن:

يدين الإباضية بخلق القرآن ويوافقهم في ذلك المعتزلة، والقرآن - كما يعتقد الإباضية- هو كلام الله ووحيه، وتنزيله، وكتابه، واستقر في قلب محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الوحي بواسطة جبريل عليه السلام وهو آخر الكتب المنزلة ومهيمنة عليها، جاء بلسان عربي مبين وهو الدستور الإلهي للشرعية الإسلامية.

وأدلة الإباضية على خلق القرآن كثيرة، عقلية وعقلية نذكر على سبيل المثال ما قاله الإمام أفلح<sup>(78)</sup> في رسالة له حول مسألة خلق القرآن، ويقول: "إذا ثبت أن كلام الله شيء لم يخل من أحد ثلاثة أوجه، أما أن يكون هو الله، أو يكون بعض الله كالجزم من الكل أو يكون غير الله فإنه هو الله ضاهوا اليعقوبية<sup>(79)</sup>، فيكون الكلام هو المعبود، ويكون هو السميع البصير... وأجمعت الأمة أيضا ألا يوجد كلام إلا وثم متكلم قبل الكلام، ولو لم يكن المتكلم قبل الكلام ولم يكن المتكلم أولا بأن يكون مكلما من الكلام فيكون الكلام إذا هو المتكلم، والمتكلم هو

(74) هود الآية 108.

(75) الشورى، الآية 7.

(76) الجن الآية 23.

(77) عبد القاهر البغدادي، الملل والنحل ص 139.

(78) أفلح عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي ثالث الأئمة الرستميين (190-240هـ).

(79) اليعقوبية طائفة من النصارى تزعم أن عيسى عليه السلام هو الله.

الكلام، والكلام مكلما مخاطبا، والكليم مكلما مخاطبا، فلم يجز أن يكون الكلام هو المكلم والمكلم هو الكلام ثبت ان هذا غير هذا.... وثبت وجوب الحدوث الثاني... وفي هذا إيجاب الخلق وإثبات وحدانية الصانع<sup>(80)</sup> ومن الأدلة الكثيرة ما يلي:

- كل صفات القرآن دالة على الحدوث وكل حادث مخلوق.
- الله وحده يوصف بالقدم فلو كان القرآن قديما لما كان الله متقدرا بالقدم.
- الكتب السماوية المنزلة ليست قديمة والقرآن واحد منها فهو ليس بقديم.
- القرآن كلام محفوظ منزل متلو ومكتوب، ممكن فناؤه فهو حادث ممكن عدمه.

يعرض الجدول التالي بعض الآيات التي ذكر الله فيها القرآن مقرونا بأفعال الحدوث، يقابلها الأفعال نفسها الدالة على الحدوث في غير القرآن من الأشياء

الفاعل	ما قاله في القرآن الكريم	ما قاله في غير القرآن من الأشياء
أنزل	* إنا أنزلناه في ليلة القدر : القدر 1 * إنا نحن نزلنا الذكر : الحجر 9	* وأنزلنا فيه بأس شديد : الحديد 25
جعل	* إنا جعلناه قرآنا عربيا : الزخرف 3	* وجعلنا الليل والنهار آيتين : الاسراء 12
صفة	* أو يحدث لهم ذكرا : طه 113 * أفمن هذا الحديث تعجبون : النجم 59	* ومن الناس من يشتري لهو الحديث لقمان 6
الحفظ	* وأنا له لحافظون : الحجر 9	* وحفظناها من كل شيطان رجيم : الحجر 17
صفة التشابه	* كتابا متشابها : الزمر 23 * فيتبعون ما تشابه منه : آل عمران 7	* والنخل والزرع مختلفا أكله والرمان متشابها وغير متشابهه: الأنعام 141
التفصيل	* كتاب فصلت آياته : فصلت 3	* وكل شيء فصلناه تفصيلا : الاسراء 12
السمع	* انا سمعنا قرآنا عجبا : الجن 1 * وانا سمعنا الهدى : الجن 13	* لقد سمع الله قول الذين قالوا : آل عمران 181 * الذين يستمعون القول... : الزمر 18
الهدى	* وانا لما سمعنا الهدى آمنا به : الجن 13	* أولئك على هدى من ربهم : البقرة 5

(80) رسالة الامام أفصح ذكرها أبو القاسم البرادي في الجواهر المنقاة (مخطوط).

#### 4- حكم الاباضية على مخالفيهم ومن أحدث في الدين:

دماء الموحدين حرام، ودارهم دار توحيد وإسلام إلا معسكر السلطان<sup>(81)</sup>.  
لا تحل غنائم المسلمين المحاربين إلا الخيل والسلاح وكل ما فيه قوة في الحروب، "أما الذهب والفضة فتزد إلى أصحابها عند الغنيمة"<sup>(82)</sup> على خلاف موقف الخوارج الذين أجازوا الاستعراض وأحلوا دماء المخالفين وسبي نسائهم وقتل ذراريهم، ولعل هذا أوضح دليل على الاختلاف الذي يميز الاباضية عن الخوارج علما أن الاباضية يجيزون شهادة مخالفيهم ومناكحتهم والتوارث بينهم، أما دماء المخالفين فحرام في السر بل حتى في العلانية إلا في حالة حرب ودفاع عن النفس، وهذا ما لا تقول به الخوارج.

#### - موقف الاباضية ممن أحدث في الدين

لا فرق بين الاباضي وغيره إذا أحدث حدثا في دينه مما يقدر في إسلامه فحكم الاباضية واحد يطلق على كل موحد عاص وإنما اختلاف الحكم من قبيل نوع الحدث ودرجة المعصية. فإن كان الحدث انكارا لله وللقرآن وللنبي عليه السلام خرج المحدث من ملة الإسلام، وصار مشركا حلال الدم والمال وتحرم مناكحته وموارثته، ويسمى بالملة التي دخل فيها ان كان يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا ويلحقه حكمها.

وان كان حدثه معصية أوجب له النار وهو مقر بالقرآن فيجري عليه حكم بقدر معصيته، وقد انتقضت ولايته، فإن تاب قبلت منه توبته، وإلا برئ المسلمون منه وإن كان حدثه في شبهة أو تأويل شبهة امتنع بحدثه صار باغيا يقاتل حتى يفى إلى أمر الله، لا يتعدى عليه ولا يغنم ماله ولا تسبى له ذرية ولا تتكح له زوجة ما كانت في عدته ما أقر القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم وليس المنكر بالتأويل منكرا بالقرآن والنبي صلى الله عليه وسلم فإن ذلك لا يعد خروجا من ملة الإسلام والحكم فيه حكم نبي الله صلى الله عليه وسلم في ملته من أهل الانكار والتكذيب..."<sup>(83)</sup>

هذا مجمل رأي الاباضية فيمن أحدث من الأعمال أو الأقوال ما يمس به عقيدته أو يهدم به أعماله، وهو موقف وسط بين التسامح الأشاعرة وغلو الخوارج.

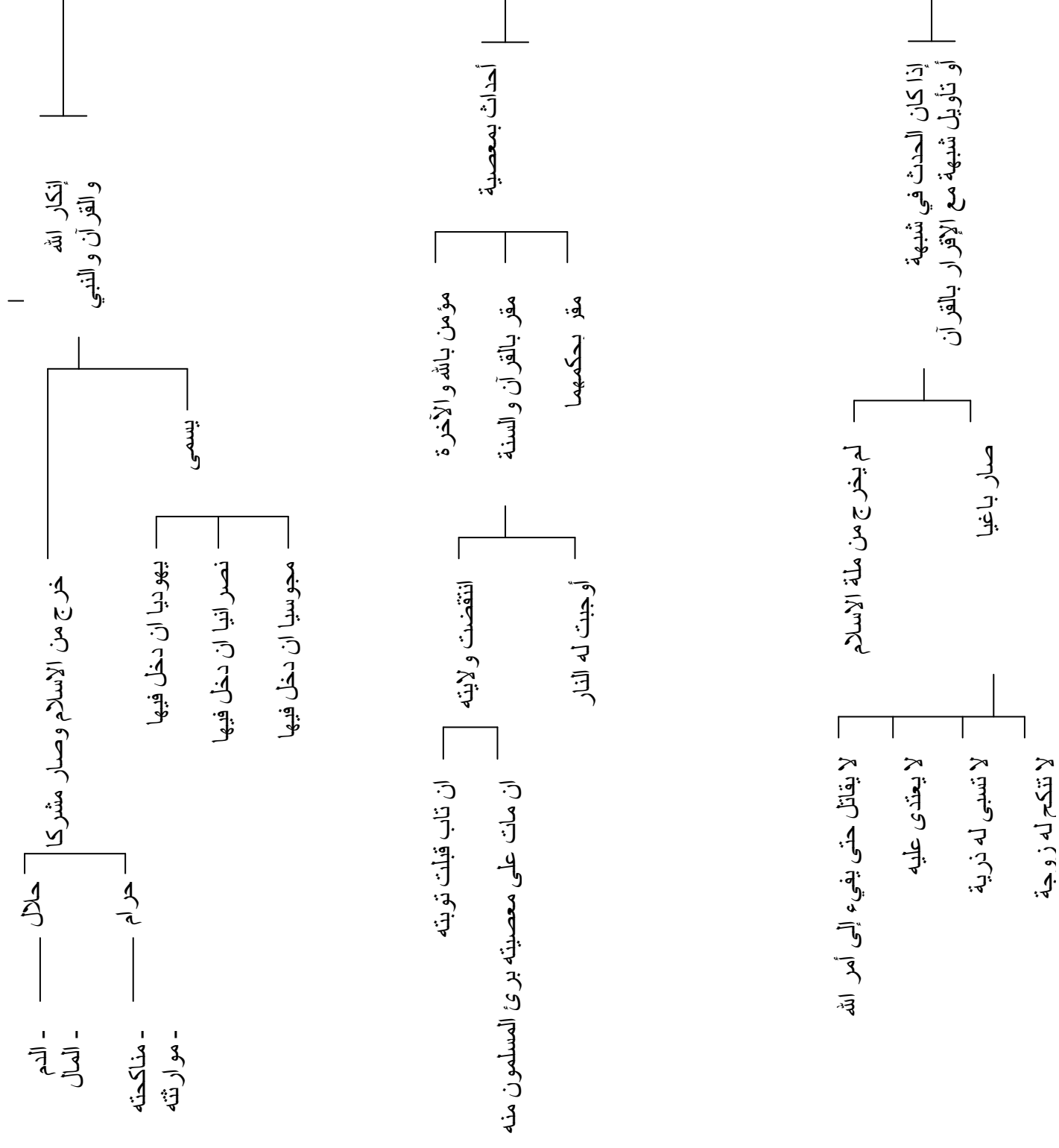
81) سنن عريض للحديث بالتفصيل عن موقف الاباضية من معسكر السلطان في الفصل الثاني من الباب الثاني.

82) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 83.

83) اكتفينا برأي الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم في موقف الاباضية ممن أحدث في الدين وهو يعبر عن رأي المذهب، أنظر تفصيل ذلك في رسالة للإمام عبد الوهاب لأهل طرابلس، ذكرها بواب بن سلام في كتابه شرائع الدين، (مخطوط) توجد نسخة مصورة منه عند الشيخ الناصر المرموري، الفرارة ولاية غرداية، السالة في ص: 26-27.



## حكم الاباضية على من أحدث في الدين



## 5- رأي الاباضية في الصحابة:

يقرر الاباضية المعاصرون بالإجماع<sup>(84)</sup> أن الحث في أحداث من سبقنا كفتنة الصحابة مثلا ليس من ورائه فائدة ولا أثر محمود ينفع الأمة، بل لا يزيد لها إلا تشتيتا) وعليه فالخير كل الخير للمسلم الذي يستبرئ لدينه وعرضه، أن لا يفني عمره في التنقيب عن هنات أشخاص أصبحوا في ذمة التاريخ<sup>(85)</sup>.

ولعل أحسن تعبير عن رأي الاباضية في الفتن بين الصحابة، ما قاله العلامة خلفان بن جميل السيابي من علماء عمان 0 توفي 1392هـ) خلاصة قوله: "إن دماء الفتن طهر الله منها أيدينا فلنظهر منها السننتنا:

[تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون]

فالصحابة كلهم عدول في الولاية قبل الافتراق أما بعد الافتراق فمن توقف ولم يدخل في الفتنة فهو على حاله في الولاية، وأما الذين دخلوا الفتنة... فأصحابنا الأولون حكموا على كل ما عاينوه<sup>(86)</sup> ولذلك نجد في بعض كتب الاباضية الأوائل أخبار عن أحداث الفتن يروونها كما سمعوها عن أسلافهم بكل انصاف دون غلو ولا مبالغة كما يفعل غيرهم.

فهذا أبو يعقوب الوارجلاني يذكر زلة عثمان بن عفان (رضي) ويعدها في أربعة أمور هي: استعمال أقاربه وصرفه لأموال الفيء في أقاربه وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطرفه في يوم الدار<sup>(87)</sup> مع العلم أن الوارجلاني لم يكتب بالنظر إلى مأخذ عثمان فقد ذكر حسناته وامتدحه في أيامه قبل أحداثه في الدين، والشيء نفسه بالنسبة إلى الخليفة الرابع علي بن أبي طالب (رضي) فكتب عنه بأمانة مبينا ما له وما عليه، ويذكر من زلاته التحكيم، وقتله لأصحاب النهروان وقد نهوه عن التحكيم، وفيهم المحق والمبطل<sup>(88)</sup> فالوارجلاني لم يكفر هنا الصحابة ولا أتباعهم كما يفعل الخوارج ثم أنه يعترف بوجود المحق والمبطل بين أهل النهروان.

أما الشيخ محمد يوسف اطفيش (توفي 1914م) فيصرح بأن الصحابة كلهم عدول لأنهم ليسوا كغيرهم لما ورد في حقهم من نصوص صحيحة، وقد أحسن حين اختار الوقوف فيمن أدرك عثمان أو عليا وحضر ما انتقم عليهما فيه إلا أن صوب الخطأ أو خطأ صوابه<sup>(89)</sup> فالواجب على من لم يدرك الحق أن يقف كما وقف أبو عبيدة مسلم وشيخه جابر بن زيد عن الخوض في فتن الصحابة.

أما عن التهم التي توجه إلى الاباضية لأنهم يقدحون في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من كرامتهم فأنها لا تخلو من الغلو والمبالغة ذلك ان الاباضية ليسوا وحدهم في هذا المجال ولم يكونوا الوحيدين من الذين كتبوا عن الصحابة وأحداث الفتن فقد شاركهم في ذلك الكثير من الكتاب والمؤرخين، وقد اتسم موقف الاباضية بتحري الحقيقة ولم يزيدوا على ان بينوا ما حدث سواء في عهد عثمان أو علي رضي الله عنهما بكل انصاف.

ويصف الشيخ أحمد بن حمد الخليلي (معاصر) ما كتبه الاباضية انه "يتسم بالأدب والحشمة وتعظيم مقام الامام علي واحترام قرابته من النبي صلى الله عليه وسلم حتى في مقام

84) من الاباضية المعاصرين نذكر: ش. نور الدين السالمي، أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، ش. بيوض إبراهيم بن عمر ش. أبو اليقظان إبراهيم، ش. عبد الرحمن بكلي، ش. علي يحيى معمر، ش. أحمد بن حمد الخليلي.

85) أبو إسحاق إبراهيم اطفيش، تعليق في هامش كتاب قواعد الاسلام للجيطالي ج1، ص84.

86) أبو إسحاق إبراهيم اطفيش في هامش كتاب قواعد الاسلام للجيطالي، ج1، ص85، نقلا عن خلفان بن جميل السيابي (لم يذكر المصدر).

87) أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، الدليل والبرهان، مط البارونية، القاهرة 1306هـ، طبع مجري، ص14.

88) المصدر السابق، ص15

89) محمد بن يوسف اطفيش، الذهب الخالص، ص43، أنظر كذلك كتاب: ازهاق الباطل بالعلم الهاتل، طبعة حجرية الجزائر 1318هـ، ص31.

العتاب"<sup>90</sup>) ومع ذلك فالاباضية- كما يصرح به الشيخ الخليلى "مستعدون أن يطووا صحائف تلك الفتن التي حدثت في عهد صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ينبسوا فيها ببنت شفة، ولا يخطون فيها حرفا واحدا ولكن لا بد من احترام أهل النهروان أيضا وعدم النيل منهم، فيجب على المسلمين جميعا أن يتساعدوا (... ) حتى تعود للمسلمين وحدتهم، ولا يثيروا أشياء حدثت قبل 14 قرنا هم في ألف غنى عن إثارتها في هذا العصر الذي هم فيه أحوج ما يكونون إلى ما يجمع الشمل ويؤلف بين القلوب"<sup>91</sup>) وبهذا تتضح نوايا الاباضية الطيبة، وموقفهم من الاتهامات الباطلة.

---

90) أحمد بن حمد الخليلى، استجاب أجرته معه مجلة جبرين أبريل 1984م ص33.  
91) المصدر السابق، نفس الصفحة.

الفصل الثالث  
الاباضية والفرق الاسلامية

أولاً: الاباضية والأشعرية

ثانياً: الاباضية والمعتزلة

ثالثاً: الإباضية والشيعة

رابعاً: الإباضية والخوارج

- آراء الاباضية في الخوارج  
خامساً: دعوة الاباضية إلى التقارب ونبذ الخلافات

## أولاً: الاباضية والأشعرية

يبدو أن الخلاف لم يكن حاداً بين الاباضية والأشعرية خاصة في المسائل التعبدية أما العقيدة فقد حاول أبو يعقوب الوارجلاني حصر مواطن الخلاف بين الفرقتين فوجدها تنلخص فيما يلي: (1)

أطلقوا- أي الأشعرية- على الباري صفات لها معاني قديمة ليست هي ذات الله فأوجبوا التغاير، وبمقتضى هذه المعاني كان الله موصوفاً بها فبالعلم كان عالماً وبالقدرة كان قادراً، فهي قائمة بالذات بينما عند الاباضية هي عين ذات الله سبحانه وليست زائدة عنه. وصفوا الله بالوجه واليدين وأرأس والعينين، والقبضة والساق والاستواء والميل.... بينما ينزه الاباضية عن الله هذه الصفات والتشبيهات.

الكلام من المعاني التي وصفوه بها، وكذا الأمر والنهي المندرجين في الكلام والقرآن وسائر كتب الله المنزلة، كل ذلك من المعاني التي يوصف بها. العدل والاحسان والفضل والمن والأنعام صفاته تعالى لكنها أفعال محدثة، ويضيف الوارجلاني- أما الأشعرية لسنا مختلفين حول وحدانية الله وعدم حدوث المحدث وخصمنا جميعاً الدهرية الضالة.

وفي الحديث عن الأشعرية تشير إلى أن العلاقة بين الاباضية وأهل السنة حسنة وتشهد تقارباً ملحوظاً في الآراء والأفكار. إذا استثنينا بعض المسائل المختلف حولها كالخلود والقدرة، وخلق القرآن ولذلك نجد الكثير من الدارسين للفكر الإسلامي يثبتون هذا التوافق فلا يذكرون الاختلاف بين الاباضية وأهل السنة إلا أحياناً (2)

ويشير ش. محمد أبو زهرة إلى هذا التقارب فيقول عن الاباضية أنهم "أكثر الخوارج اعتدالاً وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تكبيراً. فهم أبعدهم عن الشطط والغلو" (3) إلا أنه كان من الأحرى أن يقول أقربهم إلى أهل السنة لأن في قوله "أقربهم إلى الجماعة الإسلامية" تلميح إلى أنهم ليسوا من الجماعة الإسلامية. وفي الواقع لا يحسن أن نرى الاباضية على أنها فرقة ليست من أهل السنة وإن لا علاقة لها بالسنة إلا من حيث الاقتراب، لأن المعروف عن الاباضية أنها تولي عناية خاصة وعظيمة جداً للسنة النبوية، وهذا ما يثبت أنه أحد الأساندة المنصفين حين يقول: إن المدقق في المصادر الفقهية الاباضية يجد أن أصحاب المذهب الاباضي من أكثر المسلمين اتباعاً للسنة الشريفة والاعتداء بها، أما ما تعلقه بهم بعض المصادر من تهم فإنما هو ناتج عن أحد أمرين الجهل أو التعصب" (4).

ومما يؤكد ذلك أن أئمة السنة الذين دونها واشتهروا بها إنما جاءوا بعد جابر بن زيد (إمام الاباضية) بمدة طويلة (5) فيكون جابر قد سبق علماء السنة ورواة الحديث ظهوراً ولذلك "أقبل عليه نقله السنة للأخذ عنه فروى عنه البخاري ومسلم في صحيحيهما" (6) أما الأمة الأربعة الذين هم أساس المذاهب الأربعة المشهورة (7) فإنهم جاءوا بعد جابر كذلك. وبيان ذلك أن الإمام أبا حنيفة لم يدرك من حياة الإمام جابر سوي ثلاث عشرة سنة (8).

(1) الوارجلاني، الدليل والبرهان، ج1، ص38.

(2) أجناس جولد تسيهر العقيدة والشريعة في الإسلام، ص173.

(3) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي القاهرة 1976، ج1، ص85.

(4) عوض محمد خليفات، الأصول التاريخية للفرقة الاباضية (الجامعة الأردنية عثان) ط2 وزارة التراث القومي والثقافة، مطب الشرقية، مسقط، دتأ، ص54.

(5) سالم السيابي (أبو هلال) (ق14هـ) إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، تحقيق وشرح الدكتور سيدة إسماعيل كاشف، مطابع سجل العرب، القاهرة 1979م، ص15.

(6) المصدر السابق نفس الصفحة.

(7) الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنبلية.

(8) ولد الإمام أبو حنيفة سنة 80 هـ وتوفي سنة 150 هـ (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص218).

أما لإمام مالك فلم يدرك الإمام جابر سوي عشر سنوات على أقصى تقدير - أو سنة واحدة على أقرب تقدير- نظراً للاختلاف حول تاريخ وفاة الإمام جابر، والمرجع سنة وهي السنة التي وُلد فيها الإمام مالك (9). أما مولد الإمامين الشافعي وأحمد بن حنبل فكان بعد ذلك التاريخ. وبهذا يكون الإمام جابر متقدماً على الأئمة الأربعة. إذاً فوجه الالتقاء بين الإباضية والسنة يتضح من شخصية الإمام جابر بن زيد الذي ينسبه ياقوت الحموي (ت 626هـ - 1228م) في معجمه إلى أهل السنة واعتبره "أحد أئمة السنة من أصحاب عبد الله بن عباس" (10) لكثرة ملازمته لعبد الله ورواية الحديث عنه كما روى "عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة وعائشة وغيرهم، وهو يعتبر من أبرز التابعين" (11).

هذا بعض ما يتعلق بالتقارب والالتقاء بين أهل الآخر لم يكن على خلاف كبير مع أهل السنة. وحسبه أن يحظى بثقة الأمويين ويرتبط بعلاقة طيبة مع الخليفة عبد الملك بن مروان على غرار العلاقة القائمة بين الإمام جابر بن زيد والحجاج بن يوسف وإن كان هذا الأخير لم يكن على علم بحقيقة الانتماء المذهبي لجابر. بينما عبد الله بن إياض "كان المجاهد علناً. المناضل في سبيل تحقيق الحقائق. وتصحيح قضايا العقول فيما أحدثه أهل المقالات. وكان شديداً في الله تعالى له مناظرات مع أهل النطس والتلفس" (12) وكانت أقاويله كما يذكر أبو العباس المبرد أقرب الأقاويل إلى السنة (13) ويمكن القول بعد الذي تقدم أن الخلاف بين الإباضية وأهل السنة لم يكن حول الأصول. بل تركز حول بعض الفروع الجزئية، يذكر منها الأستاذ أحمد أمين مسألة الزواج، فيقول عن الإباضية "أنهم لا يرون الزواج يصح إلا فيما بينهم" (14) وهذا غير صحيح لأنه لم يرد في مؤلفات الإباضية قول من هذا القبيل، وهو مستبعد اللهم إلا أن يكون الإباضية يشترطون شروطاً ذات طابع إسلامي لتمسكهم بالمبادئ الشرعية فيتعذر لغير الإباضي الالتزام بها، والواقع يثبت في موضع آخر من كتابه فجر الإسلام (15)، أن الإباضية "لم يغالوا في الحكم على مخالفيهم كالازارقة بل قالوا - يحل التزواج منهم ويتوارث الخارجي وغيره ونزعتهم أميل إلى المسالمة".

وفي مسألة الإمامة يتفق الإباضية مع أهل السنة في وجوب الإمامة، وإن (طريق عقد الإمامة هو الاختيار بالاجتهاد، وأنه ليس للنبيء صلي الله عليه وسلم نص على إمامة واحد بعينه خلاف قول من زعم من الرفض أنه نص على إمامة علي (رضي الله عنه) نصاً مقطوعاً بصحته) (16). إلا أن أهل السنة وضعوا النسب من قریش شرطاً للإمامة (17)، والإباضية لم يعتبروا القرشية شرطاً وإنما تقدم من باب الأولوية. واتفق الفريقان أيضاً على تفضيل أبي بكر وعمر وعلي وعثمان (رضي الله عنهم) وأنهم جميعاً عدول، خلافاً للشيعنة التي فضلت علياً عما سواه.

#### ثانياً: الإباضية والمعتزلة

يكاد يتفق المؤرخون ويجمع الدارسون للفكر الإسلامي علي أن التطابق الفكري والاتفاق حول أصول العقيدة حاصل بين الإباضية و المعتزلة في أغلبية آرائهم سواء المتعلقة بأصول

(9) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج1، ص555-556.

(10) راجع ياقوت الحموي، معجم البلدان المجلد الثاني، ص243.

(11) صالح الصوافي، الإمام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة رسالة ماجستير جامعة الأزهر، 1401هـ. سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة 1983م، ص198.

(12) سالم بن حمود السيابي إزالة الوعثاء عن أتباع أبي الشعثاء، ص50.

(13) أبو العباس المبرد، الكامل، مط التجارية الكبرى، القاهرة، 1355هـ، ص214.

(14) أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، ط10، دتأ، ج3، ص337.

(15) أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، ط11، بيروت 1979م، ص261.

(16) عبد القادر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص340.

(17) المرجع السابق، نفس الصفحة.

العقيدة أو الكلام، أو السياسة<sup>(18)</sup>. وفي كثير من الأحيان يؤدي هذا التقارب إلى عدم التمييز بين الفرقتين وهذا ما جعل المؤرخ البكري يصف الاباضية بالمعتزلة وسماهم الواصلية الاباضية .

أما ابن تيمية فيصف المعتزلة أنهم مغايب الخوارج<sup>(19)</sup> ذلك ان واصل بن عطا وافق الخوارج في تخليد أصحاب الكبائر في النار إذا ماتوا ولم يتوبوا<sup>(20)</sup>، ومن المسائل الكثيرة التي يتفق عليها الاباضية والمعتزلة نذكر منها: الوعد والوعيد، ويترتب عنها الاتفاق على الخلود في النار - كما أشرنا- وخلق القرآن. وان الله لا يرى في الجنة وان الله لا يغفر الكبائر إلا بالتوبة، وحصل الاتفاق على وجوب "العقل للواجبات والتكاليف بمجرد وباستقلال عن الشرع. وفي تأويل آية الاستواء والمنتشابهات عامة"<sup>(21)</sup> وفي مجال السياسة يتفق المعتزلة مع الاباضية في وجوب الامامة على الامة لحفظ الدين والمصالح الدنيوية وفي أحقية كل مسلم في منصب الامام.

ولكن هذا التوافق بين آراء الفريقين يجعلنا نتساءل عن التأثير بينهما وأيها أخذت عن الأخرى؟

يقول المستشرق الفونسو نيلينو: لاحظ جولد تسيهر<sup>(22)</sup> أن رسالة العقيدة الاباضية لعمر بن جميع التي نشرها موتيلينسكي تضعنا أما أقوال ذات طابع معتزلي واضح" ويورد شاهدا على ذلك المسائل الآتية:

- 1- ليس من الممكن رؤية الله تعالى في الآخرة.
- 2- تأويل بعض مسائل الحياة الأخرى تأويلا مجازيا (كالميزان والصراط).
- 3- كل تشبيه ظاهر وبخاصة استواء الله على العرش يجب تأويله تأويلا مجازيا<sup>(23)</sup>... ومما يشير التساؤل أكثر ان الجزء الأكبر من الاباضية في شمال أفريقيا يتبنون آراء المعتزلة بل هم معتزلون- كما يقول الفونسو نيلينو<sup>(24)</sup> لذلك يتساءل هل هم أخذوا مبادئ الاعتزال وهم في الشرق قبل أن ينزحوا إلى بلاد المغرب، أم هم تقبلوه في شمال أفريقيا تحت تأثير اتصالهم بالادارة من الشيعة؟... لكن كيف يغيب عن الأستاذ نيلينو أن أرض المغرب لم تشهد الاعتزال قبل نزوح الخوارج إليها؟!

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ألا يكون سبق الاباضية على المعتزلة دليلا على تأثير السابق في اللاحق؟ وليس العكس كما يرى المطلبي من أن الخوارج ظهر فيهم " مذاهب المعتزلة فمنهم من ترك مذهبه وقال بالاعتزال"<sup>(25)</sup> وان صح هذا الرأي فإنه ينطبق على الخوارج وليس على الاباضية، لأنه لم يرد عن الاباضية أنهم غيروا في آرائهم، اللهم ما ورد عن أبي كريمة وحمزة الكوفي وعطية والحارث أنهم أحدثوا في عهد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (خليفة جابر في إمارة الاباضية) بقولهم بالقدر على رأي المعتزلة فتصدى لهم أبو عبيدة وعزلهم عن المجتمع الاباضي وتبرأ منهم<sup>(26)</sup>

18) أنظر الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، المنيرية، القاهرة د.تا، ص32، 42، أحمد أمين، ضحى الاسلام، ج3، مهدي طالب هاشم، نشأة الحركة الاباضية في المشرق العربي، ص305، أجناس جولد تسيهر، العقائد، ص163، 281، وانظر كذلك نيلينو الفونسو في:

أنظر

كذلك تادوز لويسكي: T. Lewitcki, E.I. 2e ed T.3

19) انظر عمار طالي، أبو عمار عبد الكافي والنسق الكلامي، مقال في مجلة الأصالة العدد 41.

20) عمار طالي، آراء الخوارج الكلامية، ج1، ص184.

21) المرجع السابق نفس الصفحة

22) في مجلة تاريخ الأديان، مج رقم 52 سنة 1905م، ص232.

23) عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية، ص204.

24) المرجع السابق، نفس الصفحة.

25) عمار طالي، آراء الخوارج الكلامية، ج1، ص185، نقلا عن الأسفراييني، التبصير في الدين، ص54.

26) مهدي طالب هاشم، نشأة الحركة الاباضية في المشرق، ص305.

هذا في المشرق، أما في شمال أفريقيا فإن المصادر الاباضية تشير إلى الصراع الذي كان سائداً بين الاباضية والواصلية، وهو صراع يقوم على المناقشات الكلامية حول المسائل الخلافية بين المذهبيين - وان قلت - ولم تشر هذه المصادر إلى تأثير أحدهما في الآخر إلى حد أن يتخلى أحد الجانبين عن آرائه، والجدير بالذكر ان الصراع كان فكرياً في بداية الأمر ثم تحول إلى صراع مسلح (27) ويبدو ان الصراع الفكري بين المعتزلة والاباضية كان قديماً ففي عهد أبي عبيدة يذكر الدرجيني في طبقاته أن واصل بن عطاء المعتزلي كان "يتمنى لقاء أبي عبيدة ويقول لو قطعت قطع الاباضية..."

فلقية في الطواف يوماً فقال واصل: انت ابو عبيدة؟ قال: نعم، قال انت الذي بلغني انك تقول ان الله يعذب على القدر؟ قال أبو عبيدة ما هكذا قلت. لكن قلت أن الله يعذب علي المقدر، فقال أبو عبيدة أنت واصل بن عطاء قال نعم قال أنت الذي بلغني عنك أنك تقول: ان الله يعصى بالاستكراه، فنكس واصل رأسه فلم يجبه بشيء (...) وقال لأصحابه: ويحكم بنيت بناء منذ أربعين سنة فهدمه وأنا قائم فلم أقعد، ولم أبرح مكاني(28)، فيتضح لنا مما سبق ان الاباضية والمعتزلة تتفقان في كثير من المسائل الكلامية لكن ما قيل عن الاباضية أنها تأثرت بالمعتزلة وأخذت عنها وتبنت مقالاتها في نفي الصفات وخلق القرآن(29) يحتاج إلى مراجعة، بدليل أن هذه المقالات لم تكن مذاعة بين الناس قبل ظهور الجهمية(30) في أوائل المائة الثانية للهجرة، وعليه فإن الاباضية لم تكن آراؤهم في التوحيد قد تبلورت إلا في أوائل القرن الثاني، فإن هذا الرأي وان كان يبدو معقولاً لكننا لا نستطيع القطع به لأن القائلين به اعتمدوا على المصادر التاريخية وكتاب المقالات دون الرجوع إلى تصانيف الاباضية .

ولعل أحسن معتمد يمكن الرجوع إليه مسند الامام الربيع بن حبيب الذي أخذ العلم عن أبي عبيدة بن جابر بن زيد، الذي كرس حياته لخدمت العلم فكان يسأل عن دينه وعقيدته فضلاً عن مسائل العبادات والمعاملات، ولذلك نجد المسند مفعماً بالأحاديث النبوية التي تعالج أصول الدين ومسائل العقيدة، وقد رتبها الشيخ أبو يعقوب وجمعها وبلغ عددها 140 حديثاً حول الإيمان والتفكير والشرك والقدر، وتعظيم الله عز وجل، ونفي التشبيه والاستواء(31)... وبعد هذا فلا يمكن القول ان الاباضية لم يهتموا ببعض مسائل العقيدة حتى ظهرت مقالات الجهمية والمعتزلة فاطلعوا عليها ثم تبناها وإذا كان لا بد من التأثير فليكن من جانب المعتزلة كما يقول عثمان بن عبد العزيز الناصري الحنبلي (ق13 هـ) الذي يقرر ان المعتزلة أخذوا عن الخوارج فيقول: (وأما المعتزلة فغالبا مذهبهم في الأمة مكتسب من مذهب الخوارج)(32). وهذا الرأي أقرب إلى الاحتمال نظراً لتقدم الامام جابر بن زيد على رؤوس المعتزلة، وتبلورت الآراء الاباضية قبل ظهور مقالات الخوارج والمعتزلة والجهمية، وأهل السنة، وهذا ما أكده الامام الشيخ بيوض (ت 14 جانفي 1981م) عندما ناقش هذه المسألة حيث يقول: إذا كان واصل قد لزم

(27) راجع أبي زكريا يحيى بن أبي بكر، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي، ط2، دار المغرب الاسلامي، بيروت 1982م، ص101 وما بعدها، انظر كذلك أبو العباس الدرجيني طبقات المشائخ بالمغرب ج1، ص60. أما ابن الصغير (ق3هـ) لم يشر إلى الصراع مع المعتزلة راجع كتاب أخبار الأئمة الرسميين، تحقيق د. محمد ناصر إبراهيم، بحار المطبوعات الجميلة، الجزائر 1986م.

(28) الدرجيني، طبقات المشائخ، بالمغرب، ج2، ص246.

(29) أحمد أمين، ضحى الاسلام، ج3.

عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، ج1، ص185 نقلاً عن ابن تيمية.

محمد بلعراء، الحركة الاباضية في تاهرت، مجلة الأصالة العدد 41، ص44.

(30) أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال ونفي الاستطاعات كلها، عبد القادر البغدادي، الملل والنحل، ص145. وجهم بن صفوان الراسبي يكثر ذكره في التاريخ، قال عنه الطبري انه كان كاتباً للحارث بن سريع الذي خرج في خراسان في آخر دولة بني أمية (انظره في حوادث سنة 128هـ) وجهم من الجبرية الخالصة، ووافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء، انظر الملل والنحل للشهرستاني (1- 113) محمد محي الدين في هامش مقالات الأشعري ج1، ص224.

(31) راجع الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب، الجزء الثالث.

(32) عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، ج1، ص186.



مجلس الحسن البصري عشرين سنة قبل ان يعتزله كما ذكر الشيخ أبو يعقوب الوارجلاني<sup>(33)</sup>. مع أننا لا نعلم على وجه التحديد السنة التي اعتزل فيها واصل مجلس الحسن، إلا أنه استفاد من مجموع الروايات والتواريخ ان ذلك كان في أواخر أيام الحسن أي في أواخر القرن الأول للهجرة، وعلى ذلك يكون امام الاباضية متقدما كثيرا على امام الواصلية والمعتزلة، وتكون فلسفة الاباضية في الادارة الإنسانية والعدل الإلهي(القدر) قد تبلورت قبل أن يظهر واصل بن عطاء ومذهبه<sup>(34)</sup> بدليل ان الاباضية قد ناقشوا مسألة استحالة رؤية الله ومسألة الاستواء بحضور بعض الصحابة كعائشة وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمر، فهل يمكن القول: أن المعتزلة تأثرت بالاباضية وأخذوا رأيهم في مسألة الرؤية والاستواء مع ان الاباضية قد سبقوهم إليها؟ علما ان المعتزلة تستدل على مقالاتها بنفس حجج الاباضية- لا اعتقد ان منصفاً يقول ذلك. ورب قائل يقول: ان الاباضية لم تكن تمثل فرقة دينية تقوم آرائها على النظر العقلي والحجج المنطقية وانها لم تشغل بالدرجة الأولى بقضايا العقيدة، وأصول الدين كما اشتهرت بذلك المعتزلة التي تعد فرقة دينية لأنها نشأت من اشتغالها بأصول العقيدة فكانت آرائها تتعلق بالتفكير الديني بينما الاباضية والخوارج لا تمثل فرقا دينية لأنها نشأت حول التفكير في السياسة ولا شأن لها بالعقائد إلا بالعرض إذن حزب ديني كما يفضل د. عبد الحليم محمود<sup>(35)</sup>. لكن الواقع يثبت ان الاباضية لم تترك مسألة في الفقه والمعاملات والأخلاق العامة كما في السياسة فضلا عن مسائل العقيدة إلا وتناولتها بالبحث والدراسة وحددت رأيها فيها أما عن منهج التفكير المعتمد لدى الاباضية فهو لم يسلم من النقد فقد شاع لدى المؤرخين والباحثين أن الخوارج عامة ليس لهم منهج عقلي الا ان د. عمار طالبي يقرر بعد بحث مستفيض حول مقالات الخوارج فيقول: "ان الخوارج لم يكونوا من أهل الظاهر وانما كانوا من ذوي منهج عقلي وتأويل للنصوص بما يتفق مع أصولهم، فالمعتزلة ان هم إلا تصوير لأصول الخوارج الأولى"<sup>(36)</sup> علما ان د. عمار طالبي يعد الاباضية فرقة خارجية.

وجملة القول ان العلاقة بين الاباضية والمعتزلة متقاربة يجمع بينهما موافقة واسعة في أغلب مسائل العقيدة وأصول الدين، وليس ذلك غريبا ما دام المنهج واحد يعتمد على التفكير العقلي والأدلة المنطقية في حدود النصوص الشرعية.

#### ثالثا: الإباضية والشيعة

قبل وقعة صفين لم تكن الامة الاسلامية تعرف التحزب السياسي ولا الانقسامات المذهبية كان الجميع يعيش في وئام تحت قيادة رشيدة، وفي ظل الوحدة التي أذابت النعرات القبلية والعصبية الجاهلية، لكن هذه الوحدة لم يدم حالها بسبب الفتن ومنها وقعة صفين التي أفرزت شقين في صفوف الامام علي طائفة وقفت إلى جانبه تناصره وتبارك خطواته ومنها فرقة الشيعة، وطائفة نقت عليه ما أحدث بقبوله التحكيم ومنها فرقة الاباضية.

فأساس الخلاف بدا في ظروف سياسية، ثم شمل العقيدة فبالغت الشيعة في تقديس الامام علي- كرم الله وجهه- إلى درجة التأييد، واعتقدوا أنه معصوم من الخطأ لأنه وصي الرسول الكريم ففضلوه على غيره من الصحابة، وقالوا ان الامامة واجبة وهي حكر على نسل علي في آل البيت. في الحين الذي رفضت فيه الاباضية هذه المقالات على أنها ليست من الإسلام في شيء مع الاحترام الكامل للإمام علي رضي الله عنه والاعتراف بمكانته وفضله على الاسلام

(33) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، الدليل والبرهان، ج1، ص15.  
(34) إبراهيم بن عمر بيوض، في رسالة له إلى أمين سلطان، ذكرها الشيخ علي يحيى معمر في كتابه الاباضية بين الفرق الاسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث، مكتبة وهبة، ط1، القاهرة 1976، ص240.  
(35) د. عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الاسلام، ط3، دار النصر للطباعة، القاهرة 1968م، ج1، ص105 وما بعدها.  
(36) د. عمار طالبي، أبو عمار عبد الكافي والنسق الكلامي، الأصاله العدد44، سنة 1977م.

أما الإمامة مع كونها واجبة فهي ليست من اختصاص آل البيت دون غيرهم بل هي حق مشاع بين المسلمين لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى مع الاحتفاظ بالأولوية للقرشيين أن تساوا وانطلاقاً من المبادئ العامة لكل من الشيعة فإن احتمال الاتفاق والتقارب بين الفرقتين يبقى للتناقض الصارخ بين الآراء من جهة ولتعدد مواطن الاختلاف بين المذهبيين من جهة أخرى وإبرازها تمسك الإباضية بالمبدأ الشرعي الصحيح على حساب كل شيء مهما عظم ولو كان علي بن أبي طالب ويقابل هذا تمسك الشيعة بمبدأ الأفضلية للإمام وتعظيمه ولو على حساب النص الصريح.

وفي سبيل المقارنة بين مواقف الشيعة والخوارج يذكر ابن تيمية كثيراً من الأمثلة. مع ميله للخوارج- والإباضية منهم في رأيه- لأنهم لأقرب إلى الحد من الشيعة وأصدق وأعقل وأكثر اتباعاً للحق منهم<sup>(37)</sup> وهم أهل دين ظاهر وباطن وإن كانوا أصحاب ظلاله وجهالة ومروق- في نظره- ويذكر أن حجة الخوارج أقوى من حجة الشيعة، وأن تدينهم أصح لأنهم لا يكذبون<sup>(38)</sup>. بينما الشيعة- كما يقرر ابن تيمية- تكذب النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الصحابة كذبا كثيراً أما الخوارج فلا يفعلون ذلك<sup>(39)</sup>.

وهكذا نلاحظ أن أسباب الخلاف كثيرة ودواعي الاتفاق قليلة، ورغم ذلك لم يشهد التاريخ مشادات عنيفة بين الشيعة والإباضية كما لم يسجل التاريخ صراعات مسلحة بين الطائفتين ولعل السبب يعود في ذلك إلى وجود عدو مشترك ممثلاً في السلطة الحاكمة التي كانت تحارب باستمرار مذاهب الخوارج والشيعة على السواء. ولذلك توجه اهتمام المذاهب المضطهدة إلى التصدي للحكم القائم ومحاولة تغيير الأوضاع، وسواء نجحت في مسعاها أم فشلت فإن ذلك حال دون اقتتال الخوارج والشيعة فيما بينهم. وأكثر من ذلك نجد أخباراً تشير إلى قيام علاقات ودية بين الإباضية والشيعة، كذلك التي ذكرها الجاحظ عن هشام بن الحكم وعبدالله بن زيد الإباضي أنهما كانا متصاحبين وكانت بينهما شركة في التجارة<sup>(40)</sup>. وليس غريباً إذا علمنا أن الإباضية يكنون لأخوانهم في الدين كل التقدير والاحترام فهم لا يستعرضون ولا يبادرون بالقتل إلا في حالة الضرورة وبعد إقامة الحجة على خصمهم، حسبما عليه أصولهم ولدينا أمثلة في تاريخ الإباضية تشير إلى نواياهم الطيبة في التعايش السلمي مع مخالفيهم... ففي عهد الدولة الرستمية التجأت طوائف كثيرة من الشيعة إلى الدولة الرستمية ففتحت لهم هذه الأخيرة ذراعيها ورحبت بهم وأكرمتهم وعرفت لهم مقامهم الرفيع ومقام جدهم علي بن أبي طالب، وقد وجد العلويون- وهم أبناء محمد بن سليمان العلوي أخو إدريس الأكبر مؤسس الدولة الإدريسية- وجد هؤلاء في الدولة الرستمية- كما يقول أبو محمد علي دبوز<sup>(41)</sup> من الإجلال والتعظيم ما جعلهم سادة في المدن التي نزلوا فيها.

وليس غريباً عن الإباضية أن يعاملوا مخالفيهم بهذا التعامل الأخوي ما دامت تعاليمهم تحث على التقارب وجمع الشمل وقد سعى أئمة الإباضية منذ البداية على أن تكون دعوتهم عبارة عن حركة إسلامية شاملة. وبالفعل كانت كذلك فانتشرت شرقاً وغرباً واجتذبت عناصر مختلفة من قبائل وأجناس لا فرق بين مسلم وآخر. وهذا أبو حمزة الشاري يقف على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة يخاطب جموع الناس من مذاهب شتى ويقول: "الناس منا ونحن منهم

(37) عمار طالبي، آراء الخوارج، ج1، ص182، نقلاً عن ابن تيمية في منهاج السنة.

(38) المرجع السابق، نفس الصفحة، نقلاً عن ابن تيمية منهاج السنة ج2، ص197.

(39) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(40) المرجع السابق، ص183، نقلاً عن الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص54-55.

(41) أنظر محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ط1، 1963م، ج3، ص336-337.

إلا عابد وكفرة الكتاب وإمام جائر" وفي خطبته بالمدينة قال: الناس منا ونحن منهم إلا ثلاثة: حاكم بغير ما أنزل الله وتبع له وراض بعمله<sup>(42)</sup>.

وفي ضلال هذا الشعار تعايش الإباضية والشيعة في سلام. أما عن الخلافات الفكرية فيلخصها ش. عبد العزيز الثميني في ثلاثة أمور هي: "قولهم في الإمامة بالأولى مع تركهم التخطية لكل من ولي ثم تجويزهم لعلي تحكيم الحكمين وقولهم بتشريك أهل التأويل ممن زعم أن الله يرى يوم القيامة"<sup>(43)</sup> وفيما عدا ذلك يشترك الإباضية والشيعة دونما خلاف أما الخلافات الجزئية فلا تؤخذ مقياسا للتباين بين المذاهب وسببا للصراع بينها.

#### رابعاً: الإباضية والخوارج

من هم الخوارج؟ وما علاقة الإباضية بالخوارج؟ ما رأي الإباضية في الخوارج؟ هل الإباضية خوارج؟

أسئلة كثيرة تفرض نفسها في الموضوع، تعرض لها كل باحث في تاريخ الفرق الإسلامية، والمذاهب الكلامية رغم ذلك لم يحسم الخلاف بعد في مسألة الخوارج وعلاقتهم بالإباضية، ولا يزال الأشكال مبسوطاً للبحث والتحقيق، ما دام حول الموضوع آراء متضاربة، ان لم نقل متناقضة، وهذا ما يدعو إلى التساؤل عما دها المؤرخين وكتاب المقالات والمشتغلين بتاريخ الفلسفة الإسلامية أن يخلطوا إلى قول يفصل النزاع ويوحد الرأي خصوصاً وأحداث القضية لا تزال قريبة ومصادر تاريخها متوفرة.

والحقيقة أن مسألة كهذه لا أرى ما يلزم الوقوف عندها طويلاً فما أوجنا للبحث فيما هو أجدر بالاهتمام في تاريخ أمتنا وحاضرنا ومستقبلنا. وما أوج المسلمون اليوم إلى التعارف الكامل والتقارب ونبذ الخلافات المذهبية على أن المذهبية لا تزول بالقوة والغلبة إنما زوالها بالمعرفة والتعارف والاعتراف.

نتطرق في بحثنا لمسألة الخوارج، لما لها من علاقة وثيقة بموضوع البحث، ولا نزيد على أن نعرض باختصار أهم ما قيل في الموضوع مع إبداء فيه ثم استخلاص القول الأقرب إلى الحقيقة.

يقول د. عمار طالبي: ان الإباضيين المتأخرين ينكرون أن يمون مذهبهم مذهباً خارجياً أشد الإنكار ويتبرأون من الخوارج أشد البراءة معارضين في ذلك ما كتبه أصحاب المقالات وما كتبه المؤرخون.....<sup>(44)</sup> والواقع ان إنكار الإباضية تسميتهم بالخوارج لا يقتصر فقط على المتأخرين منهم لأننا نجد الأوائل كذلك يرفضون انتماءهم للخوارج، وأكثر من ذلك يتبرأون منهم ويكفرونهم. وهذا ما نستخلصه من رسالة عبدالله بن اباض الذي يحدد فيها موقف الإباضية من الخوارج ويتمثل الموقف في نقطتين:

أولهما اعتراف ابن اباض بموالاته للخوارج واتفاقه معهم من حيث المواقف السياسية فيقول: هذا خبر الخوارج يشهد الله والملائكة انا لمن عاداهم أعداء ولمن والاهم أوليا...<sup>(45)</sup> يقول هذا بعد أن ذكر المواقف السياسية للخوارج وتتلخص في إنكارهم لعثمان بن عفان ما أحدث، وإنكارهم للزبير وطلحة حين نكثا، وإنكارهم لمعاوية حين بغى، وإنكارهم لعلي حين رضي بالتحكيم.

(42) الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، 267، 269.

(43) عبد العزيز الثميني، معالم الدين (مخطوط) ورقة 342 في خاتمة المعالم.

(44) عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، ج1، ص203.

(45) عبدالله بن اباض، في رسالة كتبها الى عبد الملك بن مروان ذكرها البرادي في الجواهر

والموقف الثاني، يتلخص في انكار ما أحدثه ابن الأزرق بخروجه عن الجماعة ومروقه عن الدين، فقال: "غير أنا نبراً من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه"<sup>(46)</sup> ويقصد بالصنيع أحداثه في الدين وبالاتباع الخوارج. ونجد الرأي نفسه عند أبي يعقوب الوارجلاني في الدليل والبرهان، فهو يرفض إطلاق لفظ الخوارج على الإباضية رفضاً قاطعاً، والخوارج عندهم المارقة والمرجثة والقدرية<sup>(47)</sup> وفي ثنايا الكتاب يتهم على الخوارج كلما ذكرهم ويبين مواطن خلافهم مع الإباضية.

ونجد من جهة أخرى ان الإباضية (قديمًا وحديثًا) يتولون عبدالله بن وهب الراسبي، وعروة بن حدير وأخاه أبا بلال مرداس وحر قوص بن زهير السعدي وغيرهم ممن أنكروا التحكيم، ويتولون كذلك جميع الصحابة ممن شهد الفتنة أو لم يشهداها. أيجوز هذا أن نلحق الإباضية بالخوارج لأنهم يوالونهم ويتفقون معهم في بعض المسائل، كيف نسميهم خوارج وهم أخذوا أصول دينهم عن الصحابة الكرام والتابعين العدول؟ أو بعبارة أخرى هل يشفع في الإباضية مواقفهم المعتدلة والقريبة من آراء السنة لئلا يمنع إطلاق لفظ الخوارج عليهم رغم انحذارهم من طائفة المحكمة؟ علماً ان الاتفاق حاصل بين المؤرخين على ان المحكمة خرجت عن معسكر علي (رضي) لقبوله تحكيم الحكمين فسميت بالمحكمة لرفضها التحكيم وبالخوارج لخروجها عن سلطة علي.

ويبدو بعد الذي تقدم ذكره ان الأشكال ينحصر في لفظ- الخوارج- وما دام الأمر كذلك فان الامام سيتضح بتوضيح معنى الخروج وتحديد مصطلح الخوارج وبعد ذلك يسهل إطلاق الاسم على المسمى.

ينفق الكثير من المؤرخين على ان لفظه "الخوارج" تطلق على "المحكمة" الأولى الذين أنكروا التحكيم- كما رأينا- حين خرجوا عن علي (رضي) يوم صفين بعد انزاله وقد كانوا أقرب مناصريه خاصته، فلما حاربهم بالنهروان غدت هذه التسمية تطلق على كل من حضر النهروان- ضد علي (رضي) أو من قال برأيهم.

وذهب فريق آخر من الأصوليين وكتاب المقالات إلى ان الخوارج قوم من أمة الاسلام مرقوا من الدين وخرجوا عن الاسلام، بإنكارهم أصلاً من أصول الدين كحالة (ابن الأزرق وأشياعه).... فقد أحدث وارتد وكفر بعد اسلامه)<sup>(48)</sup> فرقع الخلط بين الخروج عن علي والخروج عن الدين، وأصبح أهل النهروان (المحكمة) في حكم الخارجين عن الدين، ولا يخلو هذا الحكم من الصدق باعتبار ان المارقين- أو الخارجين عن الدين- صادف أن ظهروا ضمن جماعة النهروان- فيما بعد- مما سهل على كتاب المقالات- في بلاط بني أمية وبني هاشم- أن ينعتوا أهل النهروان بالمارقين وذوي الأهواء وسموهم "خوارج".  
والقول الثالث في الموضوع يفسر الخروج (بالجهاد في سبيل الله)<sup>(49)</sup> استناداً إلى قوله تعالى:

[ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله]<sup>(50)</sup>

فإذا بحثنا في التاريخ بقصد إيجاد مكانة الإباضية ضمن المدلولات لكلمة الخروج وجدنا آراء متعددة لكنها تنحصر في النهاية بين موقفين أساسيين أولهما الحكم على الإباضية بأنها

(46) المصدر السابق.

(47) أبو يعقوب الوارجلاني، الدليل والبرهان، ج1، ص15.

(48) عبدالله بن اباض في رسالته الى عبد الملك بن مروان.

(49) علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ الحلقة 1، ص19.

(50) سورة النساء، الآية 100.

فرقة من الخوارج وثانيها ان الاباضية ليست من فرق الخوارج فأين المصيب من المخطئ في هذين الحكمين؟.

أما أتباع ابن اباض وخاصة المتأخرين منهم فإنهم يرفضون انتسابهم للخوارج، ويدافعون عن ذلك بقوة في حين نجد منهم من يغض الطرف عن ذلك ويقبل بالتسمية على ان المقصود بالخروج للجهاد في سبيل الله أو الخروج سياسيا لا خروجا عن الدين ومروقا منه<sup>(51)</sup>.

آراء الاباضية في الخوارج

نقتصر الكلام على ذكر آراء الاباضية في الخوارج لتحديد مواقفهم من القضية ولا نذكر مخالفاتهم لسببين: أولهما وضوح موقف المخالفين وأجماعهم عليه والمتمثل في أن كلمة الخوارج تطلق على الخارجين عن علي(رضي) <sup>(52)</sup> ومنهم الاباضية فهي فرقة من الخوارج. ثانيها ان المقام لا يتسع لمناقشة هذه المسألة لأتساعها وتشعبها إذ ليس بحثنا في التاريخ.

يقول عبدالله بن اباض<sup>(53)</sup> في تعريفه للخوارج: (هم أصحاب عثمان الذين أنكروا عليه ما أحدث من بدعته وفارقوه... وهم أصحاب الزبير وطلحة حين نكثا وأصحاب معاوية حين بغى، وهم أصحاب علي بن أبي طالب حين بدل حكم الله، فهم فارقوا هؤلاء كلهم وأبوا أن يقرؤا بحكم البشر دون حكم الله وكانوا يتولون في دينهم نبي الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ويدعون إلى سبيلهم فهذا خبر الخوارج نشهد الله اننا لمن عاداهم أعداء واننا لمن والاهم أوليا...) بالسنتنا وقلوبنا (...). غير اننا نبرأ من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه<sup>(54)</sup>. فقد أقر عبدالله بن اباض أنه يلتقي مع الخوارج حين خرجوا عن الأئمة الذين بدلوا حكم الله بحكم البشر، وفي نفس الوقت يعلن براءته ممن خرج عن الدين. فتفهم من كلامه أنه لم يحشر نفسه مع الخوارج فهو ليس منهم لكنه يوافقهم في رأيهم.

لكن الشيخ علي معمر (1915-1979) يخالف ابن اباض في رأيه وهو يرى أن مدلول الخروج لا يلاحظ فيه المعنى السياسي النوري ولذلك لم تطلق هذه الكلمة عن قتلة عثمان، ولا على معاوية وجيشه ولا علي ان فندين<sup>(55)</sup>. بل ويذهب إلى أكثر من ذلك وينكر أن تكون كلمة الخروج معرفة أيام صفين، حتى ان الفرق الخارجة عن الدين كالأزارقة والنجيدات لم تتميز حينذاك عن المحكمة، ويستدل في ذلك بحديث أم نافع بن خليفة: "إن الناس يومئذ على ثلاثة أصناف، صنف جبابرة وأتباعهم، وصنف فساق يشربون النبيذ ويضيعون الصلاة.... وليس هنالك صفرية ولا أزارقة ولا شكاك وانما الذين يسمون القراء....."<sup>(56)</sup>

ونجد الرأي نفسه عند الشيخ التعاريفي الجربي الوهبي (أوائل ق 14هـ) حين يقول ردا على الشيخ محمد ابن مصطفى مفتي طرابلس (أوائل ق 14هـ): "وقولك أنهم من جملة الخوارج باطل"<sup>(57)</sup> وهو يعني بالخروج السياسي لأنه يقول فيما بعد "ولا نقول بالخروج عن سلاطين الجور..."<sup>(58)</sup>.

وعن الخوارج- دائما يقول أبو يعقوب يوسف الوارجلاني(توفي 570هـ/1174م) "وزلة الخوارج نافع بن الأزرق وذويه حين تأولوا قوله تعالى [وان أطعموهم إنكم لمشركون] <sup>(59)</sup> فأتبثوا الشرك لأهل التوحيد..."<sup>(60)</sup>.

51) عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية، ج1 ص30.

52) المرجع السابق من ص15 إلى 30.

53) له مواقف كلامية وجدالية، ولد في زمن معاوية وتوفي في زمن عبد الملك.

54) عبدالله بن اباض في رسالته الى عبد الملك بن مروان، البرادي الجواهر المنتقاة.

55) ابن فندين أنكر إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، سنة 171هـ، علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، حلقة 1، ص33.

56) علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق، ص384.

57) سعيد التعاريفي، المسلك المحمود في معرفة الردود، ص34.

58) المرجع السابق ص34.

59) الأتعام، الآية 121.

وقد رأينا أن عبد الله من رأي نافع بن الأزرق لو كان القوم مشركين لكان أصوب الناس "قاتله الله، من رأي رأي نافع بن الأزرق لو كان القوم مشركين لكان أصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير إليه لكنه قد كذب وكذبنا فيما يقول" (61)

إذا فالخوارج في نظر الإباضية هم الأزارقة والنجيدات والصفيرية كانوا مع الإباضية فخرجوا عنهم بخروجهم عن الدين لما قالوا بتحليل الأموال والدماء بالمعصية. والحديث الوارد في الخوارج إنما كان المقصود منه هؤلاء لأن في آخر الحديث (يستحلون الأموال والدماء بالمعصية والإباضية لا تستحلها) (62)

أما الشيخ السالمي العماني (1286هـ-1332هـ) فإنه يقر بخروج الإباضية لكن بمفهوم الجهاد إلى سبيل الله يقول في هذا الصدد: "ولما كثر بذل نفوسهم- أي الإباضية- في رضى ربهم وكانوا يخرجون للجهاد طوائف... سمو بالخوارج جمع خارجة وهي الطائفة التي تخرج في سبيل الله أخذًا من قوله تعالى (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له...) فهذه هي أصل تسميتهم بالخوارج وهي تسمية محمودة وسبب مشكور، ولما فارقنا الأزارقة والصفيرية أخذوا عنا اسم الخروج "وانقلب المدح ذما واختصنا باسم أهل الاستقامة" (63).

هذه آراء الإباضية في الخوارج- مجملة باختصار- قد تبدو لأول وهلة مختلفة حينًا ومتوافقة حينًا آخر لكن سرعان ما يزول الاختلاف حينما نأخذ مدلول كلمة الخروج بعين الاعتبار حيث لا تتصرف عن هذه الدلالات الثلاث.

1- الخروج من الدين وهو انكار الثابت القطعي من أحكام الدين أو مخالفة المقطوع به من النصوص.

2- الخروج السياسي وهو نقض البيعة لأسباب مشروعة أو غير مشروعة.

3- الخروج في سبيل الله وعلان الثورة ضد الظلم والكفر اعلاء لكلمة الله امتثالًا لقوله تعالى:

[ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله..] (64).

ولو حكمنا العقل، للنظر في شأن الإباضية وما يناسبها من المدلولات السابق ذكرها لقلنا: أما الخروج بالمدلول الديني فإن التاريخ لم يثبت للإباضية مروقًا ولا فسوقًا فعقيدتهم وأصولهم ليس فيها ما قد يقدر وهي مدونة في أمهات الكتب فهم ليسوا خوارج إذن (\*).

أما الخروج بالمدلول السياسي فقد ثبت أن أهل النهروان فارقوا عليًا والإباضية منهم، وكان ذلك اجتهادًا منهم على أن البيعة قد سقطت عن أعناقهم بعد أن ظهر عجز الامام وفقده للحنكة السياسة وأصبح لا يتمتع بالأهلية والكفاءة ورضي بالتحكيم وما ينجم عنه، وليس في هذا الخروج مساس بالعقيدة. على "أن اطلاق اسم على مجموعة من الناس ليس بذي أهمية إذا كان هذا الإطلاق مجرد تسمية" (65).

أما الخروج للجهاد فمطلب عظيم وغاية شريفة ومن لا يتمنى أن يقع أجره على الله وهو خارج في سبيله ولذلك لم يدخر الإباضية جهدا في طلب الشهادة وقد خرجوا ورجبوا للخروج جهادا في سبيل الله.

(60) أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، الدليل والبرهان لأهل العقول، ج1، ص15.

(61) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الملوك والأمم، ج4، ص140.

(62) محمد بن يوسف اطفيش، الرد على العقبي، ص25.

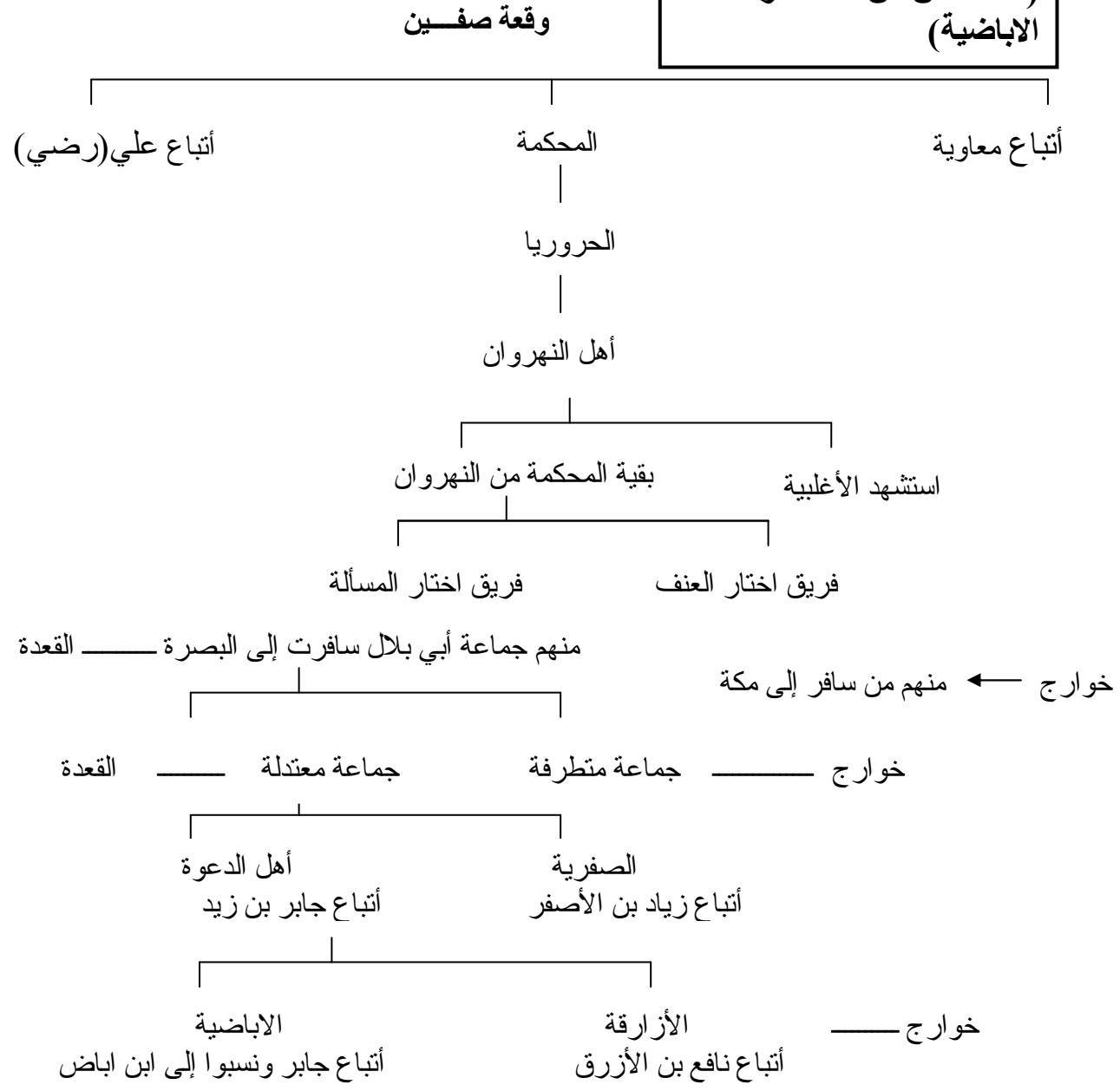
(63) نور الدين السالمي، في هامش الرد على العقبي للقطب، ص26.

(64) سورة النساء، الآية 100.

(\*) باعتراف الأئمة المخالفين.

(65) علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة 1، ص20.

مخطط انقسام جماعة المحكمة  
وظهور الاباضية والخوارج  
(مستلخص من المصادر  
الاباضية)



#### خامساً: دعوة الاباضية إلى التقارب ونبذ الخلافات

يغلب على ظن الكثير من الباحثين والدارسين للفكر الاسلامي ان الاباضية فرقة خارجية تفضل الانطواء والانغلاق حول نفسها وتؤثر العزلة على الاحتكاك بغيرها من الفرق (66) وقد وصف المؤرخون وكتاب المقالات أتباع الاباضية بأنهم أهل بدع وأهواء وضلال (67) ونعوتهم بالمروق والعلو والتعصب ولا غرابة في ذلك لأمرين: الأول: اعتماد المؤلفين على مؤرخي الفرق وكتابة المقالات، الذين يكتبون ويؤرخون انطلاقاً من موقف مبدئي الدفاع عن كيان الدولة والتأييد الدائم للسلطة الحاكمة سواء أكانت أموية أو عباسية. ولهذا ينبغي على الكاتب أن يتصدى لكل التيارات المعارضة لنظام الحكم القائم وعليه أن يثبت - بأي طريقة - أن الأقلية الخارجة عن السلطة هي كذلك خارجة عن الدين، وحيث ان الاباضية تقرر أصولها السياسية بأن الخلافة منصب مشاع بين الناس يحق لكل مسلم إذا توفرت فيه الأهلية والكفاءة أن يتولاه، وهذا يعني: المعارضة الصريحة لنظام الحكم القائم على الوراثة، ولأجل ذلك عاشت الاباضية حياة الاضطهاد في كثير من مراحل تاريخها مما اضطر أتباعها إلى الدخول في الكتمان واخفاء أمرهم إلى حين استجماع قوتهم مادياً وفكرياً ولعل هذا ما يفسره البعض بالانزواء والانغلاق.

الثاني: عدم اطلاع الدارسين على التأليف الاباضية والرجوع إلى مصادرهم والاكتفاء بتأليف المخالفين. ولعل السبب في ذلك يعود إلى نقص المصادر الاباضية وان صح هذا فسببه الظروف الصعبة التي كانت يعيشها الاباضية - كما أشرنا.

ومهما يكن من أمر فإن الباحث لا ينكر ما لاقتته الاباضية من اضطهاد من طرف الحكام أو ببغض وكره من طرف المذاهب الأخرى أو تحامل واتهام بالزيغ ونعت بالخروج عن الدين من طرف المؤرخين وكتاب المقالات ورغم ذلك كله يتقبل الاباضية ذلك بحسرة ولا يقابلون بالمثل إلا نادراً في حالة الدفاع عن النفس إذا كان الأمر اقتتالاً أو دفاعاً عن الدين إذا بلغ الأمر انتهاكاً لأصل من أصوله أو تعدد لحد من حدود الله.

وفيما عدا ذلك فالتسامح والتجاوز عن الهفوات وكظم الغيظ من شيم الاباضية حرصاً على التآلف والتقارب وجمع الشمل، أما الخلافات المذهبية فتراها الاباضية ناضجة عن الاجتهاد المشروع ومحاولة فهم الشريعة الاسلامية كتاب الله وسنة رسوله وهي المنبع الوحيد الذي تأخذ منه جميع الفرق، وانطلاقاً من هذا المفهوم يرى الاباضية والمعاصرون خاصة: أن عهد المذهبية قد ولى وزمان الصراعات بين الفرق الاسلامية قد فات أوانه، وأنه ينبغي الاعتراف "أن جميع الفرق والمذاهب الاسلامية تقف متساوية على صعيد واحد فليس فيها فرقة أفضل من فرقة ولا مذهباً خيراً من مذهب" (68)

"والحقيقة التي لا سبيل إلى إنكارها أن المسلمين في حاجة إلى التعارف الكامل في هذا العصر الذي تيسرت فيه وسائل اللقاء وفي حاجة إلى أن يطلعوا جميعاً على الحق الذي حمل كل فرقة جانباً منه" (69).

والواقع أن كل فرقة إسلامية قد ساهمت في خدمة الاسلام من زاوية معينة فلا ينبغي لفرقة أن تعتبر نفسها ممثلة الاسلام وغيرها تابع.

وبما أن الفرق نتجت عن اختلاف العلماء واجتهاداتهم فإن الآراء التي استخلصوها لا تخلو من الهفوات. ففي علم كل عالم مأخوذ ومتروك، وعليه فالأجدى بالمسلمين اليوم أن يبحثوا في

66) انظر أجناس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الاسلام، ترجمة محمد يوسف موسى عبد العزيز عبد الحق، علي حسن عبد القادر، دار الرائد العربي، بيروت، د.تا ص 174.

67) الأشعري، مقالات الإسلاميين، ص 156، عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 55، 82، وانظر كتاب الملل والنحل، ص 57، 79.

68) علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية، ص 5.

69) د.عمر خليفة النامي، مقدمة تحقيقه لكتاب قناطر الخيرات لإسماعيل الجبالي، ج 1، ص 4.



إيجابيات الفرق ويستثمرها ويغضوا الطرف عن سلبيات المذاهب ما دام الاشتغال بها يورث  
الفرقة والصراع ولا ينكر أحد أن لكل فرقة إسلامية حسنات على الأمة لخصها ش. علي يحي  
معمر فيما يلي<sup>(70)</sup>.

فضل الشيعة على الأمة جهدهم في إثبات حق آل البيت في الحياة وفي الحكم ولولا الشيعة  
لقضي جبروت بني أمية علي بني هاشم.

وميزة الخوارج كفاحهم المرير لما استنم المسلمون وسكتوا عن الانحراف بدولتهم من  
الخلافة إلى الملكية فقاوموا تسلط الديكتاتورية الملكية على الحكم في الإسلام وإخراجه من نظام  
الشورى إلى نظام الملك العضوض.

ولولا المعتزلة لكانت الفلسفة القديمة بما أوتيت من براعة الجدل وذكاء التمويه قد  
استطاعت أن تتحرف بعقيدة المسلمين عن الإسلام.

ولولا الإباضية لما كانت هناك حلقة في الاعتدال والتوسط بين الفرق المتطرفة فقد حاولت  
تقليل التباعد بين الآراء سواء في العقيدة أو السياسة.

ولولا أهل السنة الذين ناصروا الدولة الأموية ثم العباسية لما بلغ العرب ما بلغوا من  
حضارة قوامها الإسلام أعطت دفعا قويا للحضارة الإنسانية.

ولولا الظاهرية والحنابلة الذين تمسكوا بالنص واعتمدوا عليه دون العقل لما خدمت  
النصوص الإسلامية على هذا المستوى العلمي الدقيق الذي نفتخر ونعتز به.

ولولا النزعة العقلية المتحررة من الفقهاء المعتمدة على العقل والمنطق في مناقشة  
النصوص والآثار لبقى الفقه الإسلامي تحت أثقال من الركود والجمود.

هذا هو الإطار العام الذي يشمل الفكر الإسلامي وتتفق فيه الفرق الإسلامية كل واحدة بما  
تحمل من شعارات خاصة. فالكل متكامل والكل يخدم الوحدة الإسلامية. وهذا هو رأي الإباضية  
في طبيعة الفكر الإسلامي الذي ينبغي أن يكون حركة إنسانية شاملة تذوب فيها العصبية  
والطائفية لتحل محلها القناعات المذهبية التي تكمل بعضها البعض لتخدم الإسلام والمسلمين.

(70) علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص 373-375.

الفصل الرابع  
الشيخ محمد بن يوسف أطفيش  
(قطب الأئمة)  
(1236-1332هـ / 1818-1914م)

أولاً: حياته

- أ- نشأته وتعليمه
- ب- شخصيته
- ج- تلاميذه
- د- موقفه من الاستعمار الفرنسي

ثانياً: تأليفه

ثالثاً: فكره

- أ- المنحنى الكلامي
- ب- فلسفة العلوم
- ج- المنحنى الأخلاقي والجمالي

## أولاً: حياته

### أ- نشأته وتعليمه

في بلدة "أت يسجن"<sup>(1)</sup> إحدى قرى وادي ميزاب<sup>(2)</sup> ولد الشيخ محمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى أطفيش<sup>(3)</sup> سنة 1236 هـ / 1818 م<sup>(4)</sup>، توفي والده في كهولته فذاق الابن طعم اليتيم منذ سنة الرابعة، لكن أمه بالغت في الحنو عليه وعوضته برعايتها وحسن تربيته ما فقد من أبيه<sup>(5)</sup> فلما توسمت فيه بوادر النبوغ وشهدت فيه الذكاء والفتنة عهدت به إلى أحد المؤدبين لحفظ القرآن فحتمه وأتقن حفظه وهو ابن ثماني سنوات<sup>(6)</sup> وأسرع الطفل إلى دور العلم فزاحم بالركب زملاءه في حلق العلم، وأظهر ميلاً قوياً لحضور مجالس العلماء فنال المبادئ الأولى في اللغة وعلوم الدين.

وعند رجوع أخيه الأكبر الشيخ إبراهيم بن يوسف أطفيش من رحلته العلمية في المشرق انقطع إليه الشيخ محمد أطفيش فأتم على يده دراسته الثانوية وأخذ كل مفاتيح العلوم الشرعية والعربية، كما درس عليه المنطق والحساب والفلك، ودرس عنه التفسير والحديث والفقهاء وأصول التشريع وعلم الكلام، وفي العربية: النحو والصرف والبلاغة كما درس التاريخ الإسلامي وتاريخ العالم كله<sup>(7)</sup>

وكان أساتذة الشيخ إبراهيم أطفيش قد رحل إلى المشرق لطلب العلم بعد أن تخرج في "أت يسجن" على تلاميذ الشيخ عبد العزيز الثميني<sup>(8)</sup> (1130 هـ / 1718 م – 1223 هـ / 1808 م). وفي المشرق أقام في عُمان مدة بتخصص في الشريعة واللغة العربية على علمائها ثم رحل إلى مصر وأقام فيها أربع سنين لطلب العلم في الأزهر<sup>(8)</sup>. ولما عاد إلى وطنه الجزائر انتصب للوعظ والتدريس في "أت يسجن" إلى أن توفي حوالي 1310 هـ، وترك تلاميذ كثيرين منهم الشيخ محمد أطفيش.

ومما يروى عن نكاه الشيخ أطفيش وشدة نبوغه أنه لا يكاد يبدأ الكتاب في فن جديد... حتى يختم الكتاب بنفسه دون حضرة شيخه، وكان يقول الأساتذة: "حسبي من دروسك، إن شئت قررت الأبواب كلها وشرحت لك ما فيها"<sup>(9)</sup>

ولما اشتد عوده واستساع حلوة العلم شمر عن ساعديه واعتمد على نفسه في طلب العلم فأقبل على الكتاب يلتمهم المعرفة من بطونها "وكان لا يسمع بخزانة حافلة إلا ويتخذ كل الوسائل للاطلاع عليها فيستعير نفايسها ليدرسها وإذا تعذرت الاستعارة بذل أكبر الأجور لمن ينسخها له من أهل البلدة"<sup>(10)</sup> ومن حسن حظ أن دعاه نجل الشيخ عبد العزيز الثميني ليقدّم له خزانة

(1) وتسمى "بني يزقن" تقع في ولاية غرداية، تأسست عام 1321 م، من اندماج خمسة قرى قديمة على مقربة من المدينة الحالية وهي: تيريشين، موركي، اجنوناي، تلافلات، بوكياو، حسبما جاء في رسالة ش. أطفيش.

(2) قرى وادي ميزاب هي: تاجنينت، بنوره، ملكية، غرداية، أت يسجن، القرارة، بريان.

(3) يذكر الشيخ أبو إسحاق أن نسب ش. أطفيش ينتهي إلى أبي حفص عمر بن الخطاب، انظر ترجمة القطب في مقدمة الذهب الخالص، أما أم محمد علي دبوز فينتهي نسب القطب إلى عمر بن حفص الهنتاتي وإليه تنتسب العائلة الحفصية المالكة في تونس بعد الموحدين، وهو من قبيلة مصمودة البربرية انظر نهضة الجزائر ج1، ص290.

(4) راجع: أبي إسحاق إبراهيم أطفيش، الدعاية إلى سبيل المؤمنين، ص107، وكذلك محمد علي دبوز نهضة الجزائر، الحديثة، ج1، ص290، وكذلك الذهب الخالص.

(5) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، ج1، ص290.

(6) المرجع السابق، ج1، ص290.

(7) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، ص301.

(8) المرجع السابق، ص285.

(9) المرجع السابق، ص301.

(10) المرجع السابق، ص304.

والده قائلاً له: "هذه كتب والدي ومؤلفاته تحت تصرفك فخذ منها ما شئت وفي أي وقت شئت" (11).

وهكذا وجد الشيخ نفسه أما عدد من خزائن الكتب (12) فلم تنق نفسه إلى الرحيل إلى خارج الوطن طلباً للعلم، واكتفى بما لديه وما حوله وما يأتيه من مصادر العلم والمعرفة، وما كاد يصل الخامسة عشرة من عمره حتى جلس للتدريس مع أخيه وشيخه في المدرسة، ولما بلغ العشرين كان أكبر عالم في وادي ميزاب ففتح داراً للتعليم، وعكف على التأليف وشمّر للإصلاح الاجتماعي والسير بالنهضة الحديثة (13). وليس هذا بالأمر الهين على مفكر أعزل نشأ في وطن عظمت فيه المحن وانعدمت وسائل الراحة وقلت مذكيات المواهب. بل عاش في وسط كثير الفتن اشتدت فيه وطأة الاضطهاد للعلماء العاملين وقويت فيه شوكة الذين يستتكفون عن قبول الحق والامتثال للواجب (14) فليس قليلاً ما لاقاه من اضطهاد حتى أخرج من بلده، لكن عزيمته لا تزيد إلا صلابته فما يزال يذوب عن الدين بالنصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتقيح العلوم بالتدريس والتأليف إلى أن انتقل إلى عالم الأرواح عند تنفس فجر ليوم السبت 23 ربيع الثاني 1332هـ/1914م (15) عن عمر يناهز 96 عاماً في خدمة العلم والاسلام.

ب - شخصيته

تحدث العديد من الكتاب والعلماء حول شخصية القطب، وأطالوا في ذكر مناقبه ونشاطه الفكري والاجتماعي، وأغلب المتحدثين عنه من المشرق ومن سلطنة عمان خاصة، ولعل المشاركة كانوا أكثر اهتماماً بالقطب من أبناء طبيئته في المغرب سواء في عصره أو في أيامنا. فلم يألوا جهداً في جمع تراثه وطبعه ونشره، وهذا مما يدل على علو مكانته بين علماء المشرق "فقد ذاع صيته حتى صار مرجع المسلمين في جميع الأقطار في مشكلاتهم" (16) مما يقول فيه شاعر (17):

هو الكامل المرضي والفاضل الذي  
تدين لعلياه السراة الأَكْـابـر  
همام غدا بالمغرب اليوم آية  
وبالمشرق انقادت إليها الخواطر

وفي موضع آخر يقول:

وجرى شذاها في الرياض كما جرى

فضل ابن يوسف سائر الأقطار (18)

لم يكن القطب عظيماً بين العلماء فحسب بل كان ذا منزلة سامية لدى الملوك، وخاصة السلطان عبد الحميد الثاني (1824م-1918م) (19) وسلاطين عمان (20) وزنجبار (21) ومنهم من أهدى له الأوسمة إكراماً له "واعترافاً بمنزلته السامية في العلم والدين" (22).

11) تعتبر خزانة الثميني أول الخزائن التي حصل القطب عليها ودرسها فكونته لذلك نجده بنوه بالشيخ عبد العزيز الثميني ويثني عليه ويذكر فضله عليه ويراه أكبر أساتذته من ناجيين، أو لاهما دراسته على تلاميذ الثميني وثانيتها دراسته لتأليفه انظر محمد علي دبور نهضة الجزائر الحديثة، ج1، ص285. 12) من خزائن الكتب التي حظي بها القطب خزانة زوجته التي ورثتها عن أبيها وكان عالماً خاطبت هذه الزوجة تلاميذ القطب من وراء ستار وفي ليلة زفافها قائلة (اشهدوا أنني قد وهبت خزانة الكتب وهذه الدار للقطب فهما ملك له) انظر محمد علي دبور نهضة الجزائر، ج1، ص305. 13) محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة، ج1، ص302. 14) أبو إسحاق إبراهيم طفيش، ص أ من مقدمته لكتاب الذهب الخالص للشيخ محمد أطفيش. 15) أبو إسحاق إبراهيم طفيش، الدعاية إلى سبيل المؤمنين، ص109. 16) المصدر السابق، ص108. 17) الشاعر الشيخ محمد بن شيخان العماني، أكبر شعراء بني قحطان. 18) مقدمة الذهب الخالص، ص. ج، ط.

كان شديد المقاومة للبدع، أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، شديد الغيرة على الدين لا يخاف في الله لومة لائم<sup>(23)</sup> ولا يهاب جبارا ولا يعظم لديه خطر ذا هيبة ووقار، قوي الإرادة حصيف الرأي<sup>(24)</sup> حريص على وحدة المسلمين كثير الدعاء بالنصر للأمة الإسلامية. يرى من الواجب أن يكون الإسلام في عز وأهله في منعة، ويرى أم كل ما لم يلم بشعب إسلامي كائنا من كان من الإرهاق فهو نكبة أصابت الأمة<sup>(25)</sup> ولذلك يعتبر خدمة الإسلام والمسلمين من أكبر الواجبات التي يجب أن يتحملها ومن هنا كانت أفكاره تتسم بالموضوعية (لا يتعصب لمذهب إسلامي فيحصر فيه نفسه، فهو كثير الدراسة لكتب المذاهب الإسلامية كلها...) وفي تأليفه يعرض بأمانة أقوال المذاهب فيناقشها في نزاهة ويقارن بينها<sup>(26)</sup>. ونجده في الوقت ذاته يعتد بمذهبه أيمانا منه بصحة آرائه فيقول: "نحن أهل الحق تحقيقا لا تقريبا فقط"<sup>(27)</sup> ولسنا نستكمل بغيرنا... وان كلام الأدرعي وابن حزم (994-1063م) وابن خلدون (732-808هـ -1332-1406م) وابن حجر (ت 852هـ/1449م) كلام خير فينا لا كلام سوء<sup>(28)</sup>، وهو يقصد بهذا إظهار مذهبه على حقيقته وإزالة الحواجز بين الفرق لأنها تعود إلى أصل واحد هي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويظهر إيمانه بوحدة المسلمين وإخلاصه للدين في قوله:

وربعي معمور بحب محمد  
وأل وصحب والدموع عباب<sup>(29)</sup>  
فق الناس حتى أنهم أنت كلهم  
وكن لهم طردا وغيرك جنحايبا<sup>(30)</sup>  
كما يظهر إيمانه الصادق بالعمل والجهاد وغيرك من أجل توحيد كلمة المسلمين وجمع ما تفرق من الأمة في قوله:  
وسعيا لتحقيق هذا الشعار كرس الشيخ أطفيش حياته لنشر العلم وخدمة الدين، فأخذ منه ذلك كله وقته حتى حرم نفسه من الراحة فكان يقضي معظم ليله يؤلف لا يعرف النوم<sup>(31)</sup> إلا قليلا، يفتنم أقصى ما يمكن من وقته فكان يؤلف في السفينة<sup>(32)</sup> أثناء رحلته إلى الحجاز، "وكان يكتب أو يقرأ وهو على دابته مسافرا إلى البادية"<sup>(33)</sup>.  
وحرصا على حسن استغلاله نظم حياته اليومية تنظيما دقيقا، فبلغ معدل ساعات العمل أكثر من 16 ساعة<sup>(34)</sup> موزعة كالاتي:  
من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس: درس للعمامة في المسجد.  
فترة قصيرة بعد طلوع الشمس: يلم بدار إحدى زوجاته لفطور خفيف.

(19) سلطان عثماني (1876 - 1909م) تربطه بالقطب مراسلات عديدة.  
(20) سلطنة مستقلة في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية مساحتها 370. 121 كلم<sup>2</sup> وعدد سكانها أكثر من مليوني نسمة، عاصمتها مسقط، وأهم مدنها مطرح وصور. ونخل ونزوى وصحار وظفار احتلتها البرتغاليون سنة 1508م فأجروهم البعاريه. اقتصادها قائم على الزراعة والصيد والبتروك.  
(21) زنجبار (جزيرة في المحيط الهندي مقابلة لتتغانيكا تؤلف مع جزيرة بمبا وتتغانيكا دولة تنزانيا عاصمتها دار السلام.  
(22) إبراهيم اطفيش الدعاية الى سبيل المؤمنين، ص108.  
(23) المصدر السابق، ص108.  
(24) إبراهيم اطفيش، مقدمة الذهب الخالص، للقطب ص5.  
(25) المصدر السابق، ص ج.  
(26) محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة، ج3، ص306.  
(27) ردا على القائلين: ان الاباضية أقرب المذاهب الخارجية الى السنة.  
(28) سالم السيابي، إزالة الوعاء...، ص54 نقلا عن ش. اطفيش في الرد على العقبي.  
(29) ش. اطفيش، الذهب الخالص، (المقدمة)، ص: هـ.  
(30) المصدر السابق، ص: ح، يريد بالطول الجيل العاصم وعليه يرتقي ويهتدي به، أما عبارة جنحايبا فغير واضحة، عله يقصد الأجنحة ليسمو بها.  
(31) محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة، ج1، ص309.  
(32) المرجع السابق، ص309  
(33) المرجع السابق، ص308  
(34) المرجع السابق، ص308

بين الفطور والزوال: دروس منتظمة للتلاميذ في حلقات وإذا لم تكن يجلس للتلاوة إلى العصر.

فترة قصيرة بعد العصر: يلم بندوة العزابة يعرضون عليه أهم مشاكل للإدلاء برأيه فيها. بين العصر والمغرب: يستقبل الناس في مكتبه للإجابة على أسئلتهم وإصدار الفتاوى. بين المغرب والعشاء: يراجع ويستحضر ما يحتاج إليه للتأليف. بين العشاء والهزيع الأخير من الليل: يتفرغ للتأليف<sup>(35)</sup>. ذلك هو النظام اليومي لنشاط القطب خلال أيام الأسبوع لما بلغ درجة الاجتهاد أما يوم الجمعة فقد يخصصه للاستراحة أحيانا فيذهب في الصباح إلى بستانه.

ج - تلاميذه

تلمذ على يد القطب نخبة طيبة من المشائخ جاؤوا من كل قرى الوادي طلبا للعلم والمعرفة، فوجدوا إقبالا وحفاوة كما وجدوا علما وأدبا، وفي جو من الجد والانضباط والحرص على التحصيل تخرجوا فمنهم من واصل السير في طلب العلم ونال، ومنهم من تفرغ للعمل الاجتماعي وخدمة الصالح العام ومنهم من شمر للعمل في الميدان الاقتصادي في الزراعة والتجارة والكل تجمعهم النية الصادقة والعزم الخالص لخدمة الدين وقيادة النهضة الإصلاحية حيثما حلوا وارتحلوا.

وتجدر الإشارة إلى أن الآثار الحميدة للتربية والتكوين في معهد القطب قد ظهرت في كل من الجزائر وتونس وليبيا، عن طريق تلاميذ القطب وتلاميذهم.

ومن تلاميذ القطب نذكر - على سبيل المثال - ش.ح. عمر بكلي، وش.ح. داود بن سعيد ابن يوسف من العطف<sup>(36)</sup> وش.ح. صالح عمر، وش.ح. محمد بن سليمان ابن أدريسو من بني يسجن، وش.ح. الحاج الناصر بن إبراهيم الداغور، وش.ح. اعمار بن صالح موسى المال من بريان<sup>(37)</sup>، وش.ح. بابكر بن الحاج مسعود، وش.ح. يوسف حدبون من غارداية<sup>(38)</sup>، وش.ح. إبراهيم الأبركي، وش.ح. عمر بن يحيى، وش.ح. محمد القاضي من القرارة<sup>(39)</sup>، وش.ح. سليمان باشا الباروني وأخوه ش.ح. يحيى من ليبيا<sup>(40)</sup>.

ومن تلاميذ القطب الذين ساهموا في بعث النهضة الإصلاحية خارج الجزائر نذكر ابن أخيه ش.ح. إبراهيم بن يوسف أطفيش (أبو إسحاق) في القاهرة<sup>(41)</sup>، وش.ح. إبراهيم ابن عيسى أبو اليقظان، وش.ح. محمد بن ح. صالح الثميني، وش.ح. صالح بن يحيى بن ح. سليمان<sup>(42)</sup> في تونس. -د- موقفه من الاستعمار الفرنسي:

الأمة الجزائرية أمة مسلمة والأوروبيون أمة مشرقة كافرة. واستعمار الفرنسيين الجزائر يعني قهر المسلمين ومحاربة الاسلام. من هذا المنطق يرفض ش.ح. أطفيش تواجد الكفار على أرض الاسلام وبالتالي يمقت ظاهرة الاستعمار في أي شكل من أشكاله، ويعز عليه أن يهضم

(35) ملخص عن أحمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، ج1، ص309-310.

(36) أنشئت مدينة العطف واسمها (تاجنينت، سنة 402هـ/1012م)

(37) تأسست مدينة بريان عام 1679م وتبعد ب45 كلم عن غرداية، مقر الولاية.

(38) أنشئت غرداية سنة 477هـ/11م، وتبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 600 كلم جنوبا.

(39) أنشئت القرارة سنة 1630م، تبعد عن غرداية مقر الولاية بحوالي 118 كلم.

(40) توفي سليمان الباروني في بمباي بالهند، يوم 23 ربيع الأول 1359هـ، الموافق لفتح ماي 1940م، انظر تاريخ حياته في كتاب سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، لأبي اليقظان الحاج إبراهيم، مط العربية

(41) ولد أبو إسحاق إبراهيم أطفيش في بني يسجن، سنة 1887م، ودرس على قطب الأئمة نفاة الاستعمار الفرنسي إلى تونس لوطنيته ثم نفاة ثانية إلى مصر وفي القاهرة أصدر مجلة المنهاج سنة 1925م لمناهضة الاستعمار الفرنسي وبقي في دار الهجرة حيث كان يعمل مصححا بدار الكتب المصرية إلى أن توفاه الله بها سنة 1965م (د.محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، ش.و.ن.ت. الجزائر 1980م، ص16 انظر محمد علي دبوز نهضة الجزائر الحديثة، ج2، ص38.

(42) توفي في تونس عام 1367هـ، الموافق 1.5.1948م، راجع تاريخ حياته في نهضة الجزائر الحديثة محمد علي دبوز، ج2، ص ص 38-40.

شعب إسلامي وسلب حريته أو يناله أدنى ضيم<sup>(43)</sup> ولذلك قارع المستعمر بكل ما أوتي من حيلة حتى أنه دخل في حرب ديبلوماسية مع الفرنسيين حين ساروا لاح تلال منطقة ميزاب سنة 1882م. فقام القطب وأنصاره يعارضون الاحتلال واحتج القطب لدى قائد الحملة بكل جرأة وأنكر عليه نقض المعاهدة<sup>(44)</sup> وأفهمه ان ميزاب في غنى عنه وعن خدمات دولته وأنهم لا يرضون بالاحتلال وأسمعه كلاما قاسيا (...). فخاف القائد أن يثير عليه ميزاب والصحراء فاعتقله (...). حتى احتل غرداية وشحنها بالجند وأمن على نفسه من الثورة فأطلق سراحه<sup>(45)</sup> لكن القطب لم يهدأ ولم يستسلم للواقع فراح يحرك الشعب، ويستنهض الهمم ويثير الرأي العام كلما سنحت له الفرصة لذلك. وكان يغرس في تلاميذه كره الفرنسيين واحتقار المستعمرين المتجبرين. ومن الطريف أنه "كان يلصق الطوابع البريدية التي تحمل صور المستعمرين مقلوبة"<sup>(46)</sup> استهزاء ونكاية بهم، ومن نوادر اعتداده بدينه ووطنه أنه زاره بعض القسس وكبار الولاة من الأجانب فوقفوا معه في مستوى واحد من الأرض لكنه أبى ذلك فارتفع إلى درجة ولما استفسر أحدهم، قال: "الاسلام يعلو ولا يعلى عليه"<sup>(47)</sup> ولما حاول المستعمر هدم الجامع الكبير بالعاصمة كتب قطب رسالة احتجاج إلى الوالي العام يحذره فيها من الاقتراب إلى بيوت الله وتوعده بالانتقام لله تعالى.

ومن رسائله الاحتجاجية لرسالته إلى الحكومة الفرنسية ذكر فيها ظلم الولاة لأبناء الشعب، "ومنعهم من الحج والسير إلى الخارج"<sup>(48)</sup> وفي رسالة أخرى بعثها إلى "بوان كاري" بمناسبة اغتيال أحد الوزراء الفرنسيين في باريس جاء فيها- بأسلوب تهكمي- "لقد تمادى بكم ظلم المسلمين فكان الله يراقبكم حتى أصبح وزراؤكم يقتلون في الطرقات كالكلاب..."<sup>(49)</sup> فلما اشتد غضب الفرنسيين من تصرفات القطب الجريئة قرروا إيقافه عند حده، "فحاولوا أن يستقدموه إلى فرنسا للمحاكمة، لكنهم عدلوا عن ذلك حين قال أحدهم: "من العار على فرنسا أن تستدعي رجلا أما أن يحاججها فتكون أضحوكة أمام الدول، وأما أن تحاججه وهو أعزل ليس له إلا علمه، فخير لكم أن تتركوا الرجل فنتناسوه"<sup>(50)</sup>

هكذا كان الشيخ أطفيش يحارب الاستعمار بقوة الحجة والكلمة المؤثرة. يتألم لما يرى من العسف والحيق وقهر المسلمين بالقطر الجزائري وكامل الأمة الإسلامية، شديد الحرص على إقامة شعائر الدين والمحافظة على مقومات الأمة الإسلامية التي هي الوحدة والحريّة، وإحياء اللغة العربية.

#### ثانياً: تأليفه

من مزايا الشيخ أطفيش إنتاجه الغزير، فقد وهبه الله قلماً سيالاً، وفكراً غريزاً وإرادة قوية لا تعجز عن التأليف، ولذلك تعددت تصانيفه وكثرت مؤلفاته حتى اختلف المهتمون بترائه حول عدد مؤلفاته فقال أبو محمد علي دبوز أنها تجاوزت المائة<sup>(51)</sup>. وقال الشيخ أبو اسحاق إبراهيم أطفيش: "إحصاء تأليفه غير يسير وقد تجاوزت المئات وأما أجوبته فلا تحصى"<sup>(52)</sup> أما إبراهيم عبد العزيز فقال أنها تزيد عن (320) مؤلف ومهما يكن من أمر فإن الخلاف دليل

(43) أبو إسحاق إبراهيم أطفيش في مقدمته للذهب الخالص، ص: ج.

(44) تنص المعاهدة على ان يبقى الميزابيون أحرارا لا تتدخل فرنسا في جميع شؤونهم

(45) محمد علي دبوز نهضة الجزائر الحديثة، ج1، ص331.

(46) المصدر السابق، ص327.

(47) أبو إسحاق إبراهيم أطفيش في مقدمته لكتاب الذهب الخالص، ص: ج.

(48) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة، ج1، ص330

(49) إبراهيم عبد العزيز (معاصر) نبذة من حياة الشيخ أطفيش

(50) المصدر السابق

(51) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر، ج1، ص318.

(52) أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، مقدمة الذهب الخالص، ص: هـ.

الوفرة. ولعل من أسباب هذه الوفرة إن قلم القطب كان جوالا بين مختلف فنون العلم ولذلك نجد الشيخ أطفيش يولف كتابين أو ثلاثة أو أكثر في ذات الوقت حول موضوعات مختلفة. ومن أهم الفنون التي كتب فيها ما يلي: التفسير، الأصول، التوحيد، الحديث والسيرة، الفقه، الفرائض واللغة وآدابها وفنونها، التجويد، التاريخ، النحو، الصرف، العروض، الحساب والجبر، المنطق، الفلسفة، الطب، الفلك، الفلاحة. وفيما يلي ذكر أهم تأليفه في الفنون المختلفة:  
أ- التفسير:

فسر القطب كتاب الله ثلاث مرات، وهذا شاهد على تجرده في علوم القرآن وغازارة مادته، وهو تفسيره يهتم بجانبين، الناحية اللفظية واللغوية والناحية العلمية والفقهية<sup>(53)</sup>، ومن الملاحظ أن طريقته في التفسير تغايرت "بين ما ألفه من التفسير في العشرينات من عمره في غضاضة شبابه وبين ما ألفه في عقود نضجه بعد العقد الخامس<sup>(54)</sup>" وترتيب تفاسيره كما يلي:

1- هميان الزاد ليوم المعاد، فسر فيه القرآن كله في ستة أجزاء<sup>(55)</sup> "ويقع في 14 مجلدا يناهز الواحد منها 600 صحيفة أو تزيد"<sup>(56)</sup> طبع في زنجبار حوالي سنة 1350هـ وأعيد طبعه مؤخرا في سلطنة عمان.

2- تيسير التفسير، وهو أحسن تفاسيره يقع في سبعة أجزاء، طبع في الجزائر سنة 1326هـ.

3- داعي العمل ليوم الأمل، من سورة الرحمن إلى سورة الناس، يقع في أربعة أجزاء، ويبدو أنه آخر تفاسير القطب، فقد وافته المنية قبل إتمامه<sup>(57)</sup> لكن أ.بيار كوبيرلي (Pierre Cuperly) يرجح أن يكون القطب قد وضع هذا التفسير بين هميان الزاد وتيسير التفسير ويعتقد أن نسخته الكاملة موجودة في مكتبة مسقط بسلطنة عمان<sup>(58)</sup>.

ومن تأليفه القطب في موضوع القرآن رسالته المسماة "جامع حرف ورش" 56 صفحة مطبوعة في الجزائر في سنة 1325هـ.

ب- الحديث والسيرة:

- ترتيب الترتيب، ج1، ص289، الجزائر 1326هـ.

- وفاء الضمانة بأداء الأمانة، ج3، البارونية، القاهرة، 1326هـ.

- جامع الشمل في حديث خاتم الرسل، ج1، ص436، طبع حجري البارونية 1304هـ.

- السيرة الجامعة من المعجزات اللامعة، ج1، ص252، القاهرة 1344هـ.

ج- أصول الفقه:

- شرح مختصر العدل والإنصاف لأبي يعقوب الوارجلاني (مخ).

د- الفقه:

- شرح كتاب الدعائم (للمبتدئين) جزآن الجزائر 1336هـ.

- شرح رسالة الوضع، لأبي زكريا (مخطوط).

- جامع الوضع والحاشية، ج1، ص388، البارونية، القاهرة 1306هـ.

- ترتيب المدونة الكبرى للخراساني، (مخطوط).

- شامل الأصل والفرع، في الطهارات والصلاة، ألفه لما بلغ درجة الاجتهاد في جزأين

، ج1، ص387، ج2، ص264، مط السلفية، القاهرة 1348هـ.

(53) محمد ابن الشيخ، القرآن والسنة عند الاباضية، ص40

(54) المصدر السابق، ص40.

(55) محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة، ج1، ص315.

(56) محمد ابن الشيخ، القرآن... والسنة عند الاباضية، ص40.

(57) محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة، ج1، ص315.

(58) أثناء لقاء مع الأستاذ كيبيرلي، الجزائر يوم 12. 1. 1986



- شرح النيل وشفاء العليل، للشيخ العزيز وهو عبارة عن دائرة معارف في الفقه الإباضي، طبعة جديدة، 24 جزءا/17 مجلدا، دار الفتح، بيروت.
- مختصر شرح النيل، في موضوع الحقوق والبيوع، (مخ).
- تقفيه الغامر بترتيب لفظ موسى بن عامر، الجزائر 1319 هـ.
- حي على الفلاح، تفسير باب الصلاة من كتاب الإيضاح للشماخي (مخ).
- الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص، حققه وعلق عليه أبو اسحاق إبراهيم اطفيش، ج1، ص340، مط السلفية، القاهرة 1343 هـ.
- هـ- التوحيد وعلم الكلام والفلسفة:
  - شرح عقيدة التوحيد لأبي حفص عمر بن جميع، ص458، الجزائر 1328 هـ.
  - حاشية الموجز لأبي عمار عبد الكافي الإباضي (مخ).
  - حاشية شرح النونية، لعبد العزيز الثميني (مخ).
  - شرح عقيدة تيغورين، (مخ).
  - شرح معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين لعبد العزيز الثميني (مخ).
  - الحجة في بيان المحجة في التوحيد بلا تقييد.
  - الجنة في وصف الجنة، ص206، القاهرة 1321 هـ.
  - إيضاح المنطق في بلاد المشرق (مخ).
  - إزهاق الباطل في العلم الهائل، ص201، الجزائر.
- و- التاريخ والسير:
  - كف الغمة في شرح لأمية ابن النظر (مخ).
  - مسائل السير، (مخ).
  - الإمكان في ما جاز أن يكون أو كان، ص129، الجزائر 1304 هـ.
  - الرسالة الشافية في بعض تواريخ أهل ميزاب (مطبوع)
  - شرح نونية المديح، (مخطوط)
- ز- اللغة والآداب والأخلاق:
  - شرح شواهد القزويني (مخ).
  - شرح خمسة في الأخلاق (مخ)
  - حاشية في المحو (مخ).
  - أجور الشهور (مخ).
  - شرح أبي داود (مخ).
  - إطالة الأجور وإزالة الفجور (مط).
  - شرح شواهد قواعد الأعراب (مخ).
  - خطبة العيدين (مط)
  - حاشية شرح الأجورمية للداودي.
  - البائية في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.
  - بيان البيان (مخ).
  - الغسول في أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم.
  - كتاب الرسم في تعليم الخط (مط).
  - شرح القصيدة الحاثية (مط).
  - مختصر ثان في علم الخط (مط).

- رسائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (مخ).
- مجموعة قصائد (مطبوعة)
- شرح الأسماء الحسنى (مط).
- ط- جوابات وردود ومؤلفات مختلفة المواضيع:
- إزالة الاعتراض عن محقي آل اباض (مط).
- القنوان الدانية في مسألة الديوان.
- الرد على العقبي الطاعن في الدين
- أساس الطاعات لجميع العبادات.
- الرد على الصفرية والازارقة.
- مختصر كتاب العمارات.
- شرح كتاب الزكاة.
- جواب في ملل أهل الكتاب وأهل الشرك.
- تقارير على كتاب المعلقات.
- جواب لعامر بن مسعود
- شرح شواهد الوضع
- جواب لمحمد بن عبدالله.
- شرح لغز الماء.
- جواب لأحمد بن عليوة.
- تحفة الحب في أصل الطب.
- جواب في الأوراق المالية.
- شرح القلصادي (في الفلك).
- جواب في المعاملة.
- النحلة في غرس النخلة (مط).
- جواب لأهل زوارة.
- كتاب المعلقات (طبع حجري).
- جواب لعلماء مكة (مطبوع).
- مسلك الفلك (يبدو أن الكتاب ليس من تأليف القطب لعدم وجود ما يثبت ذلك)
- رسالة في حكم الدخان والضغوط.

ك- أشعاره:

لم يكن الشيخ أطفيش شاعرا نابغا، لكن اهتمامه بالأدب وتذوقه للشعر العربي، يبعث في نفسه ميلا إلى نظم الشعر أحيانا، فكتب قصائد عديدة ولعل أول ما كتب من الشعر (أرجوزته في نظم المغني في خمسة آلاف بيت)<sup>(59)</sup>. أما الموضوعات التي تناولها في شعره فكثيرة منها: "المواعظ، مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، الدعاية إلى العلم والنهضة الحديثة"<sup>(60)</sup> وفي فنون الفقه والقراءات (...). والنصائح والحكم"<sup>(61)</sup>.

من نماذج شعره البديعة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قصيدة تبلغ 180 بيتا، مطلعها<sup>(62)</sup>:

(59) أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، مقدمة الذهب الخالص، ص: هـ يقول ان القصيدة مفقودة.

(60) محمد علي دبور نهضة الجزائر الحديثة، ج1، ص355.

(61) أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، مقدمة الذهب الخالص، ص: ز

(62) المصدر السابق، نفس الصفحة.

حمدا لمن أخرج الأشياء من العدم  
إلى الوجود لخير العرب والعجم

وله قصيدة بائية في 117 بيتا، في النصائح والحكم منها هذه الأبيات<sup>(63)</sup>:

أرى في قيام الليل فوزا وفي الغنى  
عن الناس عزا فاتخذ منهما دأبا  
و در حيث دار الحق واجتنب الهوى  
بوقت الرضى أو حين اعتضبت اعتضابا  
من ذا الذي يبني على الموج داره  
ومن ذا الذي يجني من الطلع أعنابا

ل- مراسلاته:

للقطب رسائل عديدة ومتنوعة فمنها رسائله الانتقادية يرد فيها على الطاعنين في الدين، ومنها رسائل الإفتاء، ورسائل الاحتجاج إلى الحكام، أما رسائل الأخوانيات فقليلة إن لم تكن معدومة، وأهم مراسلاته تلك التي بعثها إلى العلماء في عصره، ومنهم الامام محمد عبده، وش.سالم بوحاجب في الزيتونة وش.دحلان مفتي مكة، والهادي باي<sup>(64)</sup> وسلاطين عمان وزنجبار وتركيا.

ثالثا: فكره

يتضح لنا جليا ونحن نطلع على آثار القطب أنه كان شمولي التفكير واسع الاطلاع، ملما بمختلف فنون العلوم، غير أنه يركز بشكل واضح على علوم الشريعة وما يخدم الشريعة من لغة وفنون على ما سواها من أنواع العلوم. وبناء على ذلك يمكن لنا أن نصنف الشيخ أطفيش ضمن الفقهاء وعلماء الشريعة والأصوليين، وفقهاء اللغة، والمفسرين لكتاب الله ويكون حينئذ صاحب فضل في هذه العلوم، متبونا مكانة الصدارة بين المشتغلين بهذه الفنون، أكثر مما لوصفناه ضمن الفلاسفة علماء الطبيعة، المشتغلين بالعلوم التجريبية.

ونظرا لذلك سيكون الحديث حول فكره في هذا المبحث محدودا لأننا لا نتعرض إلى الجانب الشرعي والفقه من مجموع فكره، كما لا نتعرض إلى تحليل آرائه السياسية لأنها متضمنة في الأبواب اللاحقة<sup>(65)</sup> أما آراؤه الكلامية فهي في مجموعها متطابقة مع الآراء الاباضية جملة وتفصيلا، حتى أننا لا نكاد نلمس اختلافا في المسائل العقيدية بينه وبين أسلافه أو بينه وبين لاحقيه من علماء الاباضية إلا نادرا. ولذلك لا تخرج آراؤه الكلامية والسياسية عن الحالات الثلاث التالية:

- إما أن تكون تلخيصا وإيجازا لآراء أهل المذهب.
- وإما أن تكون تحليل وتفصيلا لها لغرض التوضيح.
- وإما أن تكون ردا على أهل الخلاف ودفاعا عن مقالات المذهب.
- ومن خلال هذه الحالات يتضح تمكن القطب في مسائل العقيدة كما تظهر مكانته العلمية أثناء طرح المشاكل ومعالجتها معتمدا على المنطق العقلي والتفكير الموضوعي.

(63) محمد علي دبور نهضة الجزائر الحديثة، ج1، ص355.

(64) إبراهيم عبد العزيز، نبذة من حياة القطب.

(65) انظر آراءه السياسية متضمنة في فصول الباب الثاني من هذا البحث.

وفيما يلي إشارات عابرة لأهم المناحي الفلسفية في تفكير القطب:  
أ- المنحنى الكلامي:

لم يفرد الشيخ أطفيش كتابا من تأليفه في الفلسفة وعلم الكلام رغم اهتمامه الكبير بهذا الفن. ويتضح لنا هذا الاهتمام من خلال قراءته لتصانيف أسلافه في هذا الموضوع، ثم أنه لم يكتف بالقراءة فحسب بل كان يعلق عليها ويسجل آراءه وانطباعاته وفي كثير من الأحيان كان يعمد إلى شرح مؤلف بأكمله في موضوع الفلسفة وعلم الكلام، وهذا ما فعله حين وقف على عقيدة تبغورين وهو كتاب صغير في علم الكلام تحدث فيه مؤلفه ش. تبغورين بن عيسى الملوشائي (ق. 3هـ/11م) عن أصول الإباضية التسعة<sup>(66)</sup>. فإذا بالقطب يشرحه شرحا وافيا لينجز منه كتابا يفوق حجمه 300 ورقة<sup>(67)</sup>.

كما شرح عقيدة التوحيد لأبي حفص عمر بن جميع (ق 8هـ) وهي متن من متون أصول الدين. ولعل أهم إنجاز في علم الكلام شرحه لكتاب معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين للشيخ عبد العزيز الثميني (ت 1223هـ/1808م) حتى وإن لم يكمله فقد قام بمجهود كبير في تحليله ومناقشة موضوعاته، وفيه تعرض إلى ذكر الفرق الإسلامية والرد على مقالاتها، كما تصدى للرد على الدهريين والفلاسفة اليونانيين، وإلى جانب هذه الشروح وضع حواشي عديدة في الكلام والفلسفة أهمها حاشية الموجز لأبي عمار عبد الكافي، وحاشية شرح النونية لعبد العزيز الثميني في أصول الدين والتوحيد.

وكان لا بد للشيخ أطفيش أن يهتم بالمنطق حين تعرض للكلام والفلسفة فوضع مؤلفا حول المنطق سماه إيضاح المنطق في بلاد المشرق.

ب- فلسفة العلوم:

اهتم القطب بالطب فوضع مؤلفا سماه تحفة الحب في أصل الطب<sup>(68)</sup> ضمنه وصفات طبية مع عرض الحالات المرضية التي تنتاب الإنسان والحيوان ويلاحظ فيه تركيزه على الجوانب النفسية والروحية فكان يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية. فكان أقرب إلى الوعظ والنصح ووصف الحالات المرضية منه إلى علم الطب المعتمد على النظر العقلي في الظواهر الطبيعية وتحليلها وأجراء التجارب، ومع ذلك فإن القطب لم يهمل هذا الجانب حيث عمد في كثير من الأحيان على التجربة مستعينا بخبرته التي أكتسبها في حياته اليومية.

أما الفلك، فهو الآخر كان موضع اهتمام القطب، ولعله تأثر بالقصدي في دراسته للفلك، حين اطلع على كتابه "الفلك" فشرحه القطب ولا يزال مخطوطا كما ينسب إليه كتاب مسلك الفلك، وهو مؤلف ضخم عرض فيه ظواهر الفلك متتبعا للكواكب في مسيرها والنجوم في حركاتها. وكذا نشاط الشمس والقمر ودوران الأرض وما نتج عنها من تعاقب الليل والنهار، مدعما أقواله بأشكال توضيحية، ولكن نسبة الكتاب إلى القطب تبقى موضع شك إذ لم نجد في الكتاب قرينة تثبت نسبته إليه، وليس بعيدا أن يكون لغيره فاهتم به ودرسه، علما أن الكتاب مخطوطا وكتابه رديئة<sup>(69)</sup>.

وفي علم النبات وضع القطب كتابا سماه النحلة في غرس النخلة<sup>(70)</sup> وفيه استعرض جميع أنواع النباتات المثمرة مع ذكر مواسم غرسها وجني ثمارها، وما تستحق من عناية، وركز الكلام أكثر على النخلة لأنها عمدة الفلاحة في محيطه من ناحية ولمكانتها السامية وفضلها على

(66) حول أصول العقيدة عند الإباضية راجع الفصل الثاني من الباب الأول من هذا البحث.

(67) يبدو أن الكتاب لم يكمله القطب أو أن النسخة الموجودة في كنيته مخزونة.

(68) الكتاب مطبوع في الجزائر سنة 1304هـ، يقع في 406 صفحة.

(69) الكتاب مخطوط توجد نسخة منه في مكتبة القطب بأب يسجن.

(70) مطبوع ضمن مجموع سنة كتب، مط غرداية، د.ت.

سائر النباتات من ناحية أخرى. فهي أول شجرة استقرت على الأرض وهي شجرة مباركة<sup>(71)</sup>، وهي عمّة الانسان "لأنها خلقت من فضلة طين آدم عليه السلام، ولأنها تشبه الانسان من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز ذكرها من بين الإناث واختصاصها باللقاح (...). وإن رائحة طلوعها كرائحة المني وطلعها غلاف كمشيمة الجنين، وانها تموت بقطع رأسها، والجماز من النخلة كالمخ من الانسان ومنها: الغنم... والعشق... ومني الحمل... وسقوط ثمارها بعد الحمل..."<sup>(72)</sup>.

ومن الطريف في الموضوع أن القطب يرى علاج بعض أمراضها يتم بطرق العلاج النفسي، كالعشق وهو ميل شجرة إلى أخرى فيخف حملها وتهزل وعلاجها أن يشد بينها وبين معشوقها بحبل أو يعلق عليها سعف معشوقتها! أو تلقح من طلوعها، أما علاج مرض منع الحمل أن يأخذ الفلاح فأسا ويقول لها حضرة رجل آخر: "أنا أريد أن أقطع هذه النخلة لأنها منعت الحمل، وبعد المفاوضة تضرب ثلاث ضربات (...). وبقدرته تعالى يخلق لها سمعا وعقلا تسمع وتفهم وإذا سمعت وفهمت فإنها تثمر بإذن الله"<sup>(73)</sup>.

وهذا يذكرنا بنظرية التوازي عند ابن سينا، وهي التشابه بين النبات والحيوان في (الأفعال والانفعالات المتعلقة بالغذاء إيرادا على البدن، وتوزيعا وإبانة للفضل، وتوليدا للبرز المتولد عنه...) <sup>(74)</sup> وكذا ظهور الأعراض المرضية عليها كلها يحدث لدى الإنسان. جـ- المنحنى الأخلاقي والجمالي:

تناول القطب الجانب الأخلاقي في تفكيره من وجهة نظر الشرع وما أجمع عليه المجتمع من آداب وعادات وقيم أصبحت مألوفة في العرف العام وفي حدود التعاليم الإسلامية، ولذلك اتسمت المباحث الأخلاقية عند الشيخ اطفيش بالنزعة الدينية، فما حلال شرعا جائز أخلاقيا واجتماعيا وما هو محرم شرعا فممنوع أخلاقيا واجتماعيا.

ولعل أحسن ما كتبه القطب في الأخلاقيات، شرحة للجزء الأخير من النيل تحت عنوان الأفعال المنجية من المهلكة، وهذا في الواقع تلخيص لكتاب تبين أفعال العباد لأبي العباس<sup>(75)</sup>، تعرض فيه القطب إلى الأخلاق العامة الواجب مراعاتها بين الناس في المجتمع الإسلامي وحدد فيه العلاقات الإنسانية وفق الكتاب والسنة، وبين فيه ما يجوز للعبد من أفعال وما لا يجوز، وفي الذهب الخالص الركن السابع منه للحقوق والمظالم والمحارم والآداب والأخلاق العامة وفي الآداب عالج بعض الظواهر الاجتماعية كاللباس والشرب والأكل والجماع والعلاقات الزوجية، مبينا آدابها وما يستحسن فيها من أمور يقبلها الشرع والمجتمع، كما وضع معالم الأخلاق المؤدية بالإنسان السعادة ومنها حسن الحديث، ووفاء العهد واداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام، وحفظ الجناح وخير الأمور أوسطها، فيحسن الترفع بلا كبر والتواضع بلا ذل، ومن مفسدات الأخلاق: تشبيك الأصابع، والعبث باللحية، وإدخال الإصبع في الأنف، والتمطي، وطرد الذباب عن الوجه تطرفا إلا للضرورة. وإذا جلست فبسكون وتنظيم وترتيب، وإذا صغيت فأحسن بلا تعجب، ولا طلب الإعادة إلا في طلب العلم<sup>(76)</sup> وفي الجماليات اهتم القطب بالجانب اللغوي وتعمق في علوم العربية لاستخراج أسرارها فكتب في النحو العربي وقواعد الإعراب وعلم الخط، ورسم الحروف، وكان مولعا بالشعر، وأكثر ميلا للأدب الأندلسي لما امتاز به من فخامة المعنى ومتانة المبنى ورقة الأسلوب ودفعه هذا الميل لقرض الشعر فكتب قصائد في الطبيعة وجمالها، وكان يدعو تلاميذه بالتغني

71) محمد اطفيش كتاب النخلة في غرس النخلة ضمن مجموع ستة كتب، ص 47

72) المصدر السابق، ص 48.

73) المصدر السابق، ص 48.

74) ابن سينا، كتاب الشفاء، الطبيعيات، النبات، ص 2.

75) أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر، تبين أفعال العباد (مخ) نسخة خزانة الشيخ بالحاج بالقرارة.

76) أنظر محمد اطفيش الذهب الخالص، ص. ص 291-339.

بها في حفلاتهم<sup>(77)</sup> وكم كانت نطيب نفسه وينشرح صدره لسماع الأناشيد مما يدل على سلامة الذوق ورهافة الحس الجمالي.

كان ذلك عرضاً موجزاً لجوانب مختلفة من فكر الشيخ اطفيش أحسبه كافياً لإطلاعنا على شخصية القطب ومكانته العلمية هذه الشخصية التي قدمت الكثير من المعارف لاثرء الفكر الإسلامي، لكننا لم نأخذ مما ترك إلا القليل، وعسانا بعد هذه الإطلالة على معالم فكره أن نهتم بترائه ونستثمر ما فيه من ثمار علمية.

---

(77) محمد علي دبور، نهضة الجزائر الحديثة، ج1، ص355.

الفصل الأول  
مفهوم الإمامة ومشروعيتها وشروطها

أولاً: مفهوم الإمامة (تحديد المصطلح)

ثانياً: مشروعية الإمامة ووجوبها

أ- آراء الفرق الإسلامية

ب- رأي الإباضية

ج- الأدلة النقلية

د- الأدلة العقلية

ثالثاً: ثبوت الإمامة

رابعاً: وحدة الإمامة وتعددتها

خامساً: شروط الإمامة

الباب الثاني  
الفكر السياسي عند الإباضية

الفصل الأول: مفهوم الامامة ومشروعيتها وشروطها.

الفصل الثاني: أنواع الامامة (مسالك الدين).

الفصل الثالث: إمام الظهور.

الفصل الرابع: أعوان الإمام

أولاً: مفهوم الامامة (تحديد المصطلح)  
الامامة والخلافة والإمارة والرئاسة، عبارات مختلفة في اللفظ متفقة في المعنى العام<sup>(1)</sup> وهي "رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص وهي خلافة الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة<sup>(2)</sup> تعهد لمن هو أهل لها على أن يفرض على الرعية كافة أتباعه وطاعته ما لم

(1) تبغورين بن عيسى نخبة المتين من أصول تبغورين، ص188، انظر أيضاً، ش. محمد اطفيش في شرح العقيدة، ص437.

(2) الشيخ محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد (ط حجري) ص437.  
نلاحظ ان تعريف الامامة والخلافة عن الاباضية مشابه الى حد بعيد التعاريف الأخرى فالماوردي (ت 450هـ 9 مثلاً يعرفها بقوله (الامامة موضوعة الخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا)، الأحكام السلطانية ص5، ويعرفها ابن خلدون (1332-1406م) بقوله: (هي حمل الكلفة بمقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخرى والدنيوية...) وهي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا) المقدمة ص159، وهي كما يرى محمد بن



يأمر بمعصية الخالق، فالمهمة الأساسية هي إقامة الدين وتطبيق أحكام الله والمحافظة على وحدة المسلمين والدفاع عن الأمة وهي مهام الرسول صلى الله عليه وسلم من بعد البعثة إلى حين وفاته فكل من تولى هذه المهام يعتبر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رعاية شؤون الأمة.

والواقع أن الخلافة بالمفهوم العام لا يعني الحاكمية والسلطة المطلقة لأن ذلك من اختصاص الله، أما الإنسان فحسبه أن ينفذ تعاليم الحاكم الأعلى وهو الله فيكون بذلك قد خلف الله في الأرض، وبهذا لا تنحصر الخلافة في الأرض على جنس معين بل هي حق لمن صدق إيمانه وعمل صالحاً<sup>(3)</sup>. قال تعالى:

[وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض..]<sup>(4)</sup>.

وقد يطلق لفظ الملك على الإمامة إلا أنه يختلف عنها في أمور منها إن الملك يميز بين تعاليم الدين ومصالح الدنيا ففي شؤون الدنيا يتقيد وضعية يجمعها دستور ينفق عليه نخبة من العقلاء وساسة الدولة فتكون سياسة الدولة حينئذ عقلية لا شرعية دنيوية لا دينية، بينما الإمامة فإنها تجمع بين الدين والدنيا، وتصدر الأحكام من الشرع ومن العقل ان عدم النص وقد يحدد أن تخرج السلطة عن معنى الخلافة لتصير ملكا عضوا إذا فسق الخليفة وحاد عن الشرع، أو أن يتولى الخليفة منصبه بغير رضى المسلمين أو تكون مبايعته غير حرة، أو أن يخرج عن حدود العدالة ففي هذه الحالة لا تعتبر ولايته خلافة نبوية لكنها تعتبر ملكا دنيويا، كما قال ذلك ابن تيمية<sup>(5)</sup>.

ويطلق أحيانا على صاحب الحق في الخلافة، السلطان "كناية عن الامام ووجه التشبيه: القدرة على إنفاذ الأمور والأحكام، قال تعالى:

[واتينا موسى سلطانا مبينا]<sup>(6)</sup> أي تسليطا واستيلاء.

إلا أن ش. اطفيش يأخذ من السلطان مفهوم القوة المرافقة للظلم<sup>(7)</sup>

والتصرف بغير حق، فلا يرى صوابا تسمية الامام العادل بالسلطان.

أما الأمير فلفظ يطلق على الحاكم لكثرة ما يأمر أو لنفاذ أو امره، بينما أمير المؤمنين فلفظ يطلق في الغالب على الامام الذي يبسط نفوذه على كل بلاد الاسلام فإذا لم يستطع ذلك أو اقتصر نفوذه على رقعة ضيقة فإنه لا يستحق هذا اللقب.

وبما أن الاباضية لم يتمكن لهم هذا النفوذ منذ نشأتهم سواء في المشرق أو في المغرب فأنهم لم يتخذوا لأئمتهم هذا اللقب، هذا ما قال به الشيخ أطفيش<sup>(8)</sup> والشهرستاني<sup>(9)</sup> لكن الشيخ السيابي يرد على ذلك بقوله: "هذا غلط بل يسموز أمامهم- أي الاباضية- أمير المؤمنين وإمام المسلمين ولا مشاحة في الاصطلاح على التسميات فإنها ألقاب... ولعلمهم يحترمون بذلك قدر أمير المؤمنين أو لعلمهم تركوا ذلك لما سمعوا الناس يقولون بأمرير المؤمنين للفلسفة والظلمة من

عبد ربه (زام الأمور، ونظام الحقوق وقوام الحدود والقطب الذي عليه مدار الدين والدنيا) شهاب الدين النوري، نهاية الأرب في فنون الأدب السفر ط، ص5، أما الماوردي فيستوحي مفهوم الخلافة من قوله تعالى:

(ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم)

فيعطي مفهومين للخلافة: الأول: ان الاسلام يستعمل لفظ الخلافة (بدل لفظ الحاكمية لأن الخلافة للإنسان والحاكمية لله وحده، الثاني: ان الله وعد جميع المؤمنين بالاستخلاف فالخلافة عمومية فكل مؤمن خليفة لله. المودودي، نظرية الاسلام السياسية ص46.

(3) أنظر أبو الأعلى المودودي، نظرية الاسلام السياسية، ص46

(4) الشورى، 55

(5) أنظر محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية، دار الفكر العربي القاهرة 1976م، ج1، ص103

(6) الشماخي، مقدمة التوحيد وشروحيها، ص113.

(7) محمد أطفيش شرح عقيدة التوحيد ص427.

(8) محمد أطفيش، شرح النيل، ج14، ص. ص 372-373.

(9) الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص134.

الملوك العتاة والجورة الطغاة" (10). أما الشيخ عبد الرحمن بكلي (ت. 13/1/1986م) فيرى ان الأقطار الإسلامية لو اتحدوا على توحيد الرئاسة "اعتبر من ينتخب منهم أميراً للمؤمنين واعتبر كل من كان إماماً أو رئيساً في كل قطر من تلك الأقطار عاملاً له وهذه النظرية لا يمكن تطبيقها عملياً إلا إذا هيمنت النزعة الإسلامية وسيطرت روحها على تلك الأقطار كما كان الشأن في صدر الإسلام" (11).

ومن التسميات التي استعملها الإباضية: إمام البيعة، أو امام الظهور إذا انتخب الإمام بصفة عادية أو إمام الدفاع في حالة الكتمان أو الدفاع وفيما عدا ذلك نجد امام الأحكام وإمام أهل التحقيق (12). ونجد أحياناً إباضية شمال أفريقيا يسمون الحاكم بالملك رغم ان هذه التسمية تتنافى تماماً مع العقيدة الإباضية لأن مفهوم الملك لديهم مخالف للدين. ولعل هذه التسمية تكون قد تسربت من اللسان البربري التي تعني الرئيس والحاكم والكبير والعظيم.....

ومهما يكن من أمر فإن التسمية الغالبة والمألوفة عند الإباضية هي الإمام فلا إمام كما يرى الشيخ أطفيش حاكم عدل يعطي بحق ويأخذ بحق، أما الملك فيأخذ بحق ويعطي بلا حق. أما السلطان، وهو المتسلط الذي يأخذ بلا حق ويعطي بلا حق (13). وإضافة إلى هذا فإن الإباضية حين أطلقوا لفظ الإمام دون غيره من الألقاب، فإنهم يقصدون من الإمامة مفهوم الاقتداء كإقتداء المأموم بإمام الصلاة (14) فضلاً عما ورد في ذلك من نصوص كقوله تعالى:

[ وجعلنا للمتقين إماماً ] (15)

وقوله تعالى: [ إني جاعلك للناس إماماً ] (16).

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: الإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته (17) وقوله (من نزع يده عن طاعة إمامه فإنه يأتي يوم القيامة لا حجة له) (18). ويلتقي الإباضية مع الشيعة في تسمية الحاكم بالإمام غير إن الشيعة يطلقون لفظ الإمام على خلفائهم ما داموا يدعون لهم في الخفاء حتى إذا استولوا على الدولة يحولون اللقب إلى أمير المؤمنين (19) أما الإباضية لا يفعلون ذلك.

ومهما يكن من أمر الخلاف بين الفرق الإسلامية حول تحديد لقب للحاكم فإن جميع التسميات من إمام وخليفة وأكبر المؤمنين قصد منها تمييز النظام السياسي الإسلامي عن النظام الملكي بالمفهوم اليوناني والفارسي والروماني، والأمم التي تختلف اختلافاً جوهرياً عن الأمة الإسلامية من حيث أصول العقيدة ونظام الحكم.

ثانياً: مشروعية الإمامة ووجوبها

أ- آراء الفرق الإسلامية:

هل الإمامة واجبة؟ أم جائزة؟ أم أنها ليست بلازمة إطلاقاً؟ ما رأي الإباضية في ذلك؟ وما هي أدلة مشروعيتها؟

(10) سالم السيابي إزالة الوعناء عن أتباع أبي الشعثاء ص 53.

(11) عبد الرحمن بكلي، في هامش كتاب النيل وشفاء العليل، ج3، ص 386.

(12) T. Lewicki, En Is 2e edition.

(13) محمد أطفيش، شرح العقيدة، ص 427.

(14) ابن خلدون المقدمة، ص 339، وهو ما ذهب إليه أحمد الشيخ بالحاج في لقاء معه.

(15) الفرقان الآية 74.

(16) البقرة الآية 124.

(17) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

(18) رواه مسلم، راجع باب الإمامة في كتب الحديث، نيل الأوطار للشوكاني، ج9 مسند الربيع بن حبيب، ج1، ص 19، روض النضير من فقه الزيدية،

ج5، ص 10.

(19) عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، ص 198.

يجدر التعرض إلى موقف غير الاباضية من وجوب الامامة أو جوازها ليتضح الرأي الاباضي بجلاء ضمن المذاهب الاسلامية لتيسير المقارنة بين وجهات النظر. ونبدأ أولاً بالمعتزلة: فحيث أنها تعتمد على "النظر العقلي كمنهج للتفكير الفلسفي" (20) فإنها لم تتخذ موقفاً موحداً في مسألة الامامة، فذهب فريق منها يقول: ان وجوب الامامة انما عن طريق الشرع وفي هذه الحالة تكون واجبة بثبوت الأدلة النقلية، أما حكم العقل فإنه لا وجوب للإمامة لأنه ليس في العقل ما يدل على وجوبها يمثل هذا الفريق مشائخ البصرة (21). الفريق الثاني يقول بوجوب إقامة الامامة اعتماداً على العقل الذي يؤكد على وجوب إقامتها. يمثل هذا الفريق البغداديون والجاحظ من البصرة (22).

أما غير المعتزلة من العلماء فيجمعون على وجوب الامامة. وهذا ابن خلدون يؤكد "إن نصب الامام واجب قد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين ووجب بالعقل لضرورة الاجتماع للبشر واستحالة حياتهم ووجودهم منفردين) ومن ضرورة الاجتماع التنازع لأزدحام الأغراض... " لكنه يرد على القائلين بوجوب الامامة عقلاً دون الشرع (23). كما يثبت ابن تيمية وجوب الامامة فيقول: " ولاية أمر المسلمين من أعظم واجبات الدين بل قيام للدين إلا بها" (24) لكنه بالرغم من دعوته إلى رئاسة الدولة كواجب ديني إلا أنه يثبتها لموجب لا يقل أهمية من الشرع وهو اقتضاء المصلحة الاجتماعية، ويقرر ذلك رغم انه عاش قبل ابن خلدون بنحو ثمانين سنة، فهو يقول: (ان بني آدم لا تتم مصلحتهم الا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض، ولا بد عند اجتماعهم من رأس" (25).

#### ❖ رأي الشيعة:

الامامة عند الشيعة واجبة، بل هي جزء من أصول عقيدتهم ولا يتم الدين إلا بها. تجب بالنص لشخص من الأشخاص من آل البيت عن الرسول صلى الله عليه وسلم فالدليل الدال على وجوب النبوة يدل على وجوب الامامة (26) وتنقسم الشيعة إلى فرق لكل منها رأيها في الامامة. أ- الامامة (الاثنا عشرية):

سميت بالاثنا عشرية لأنها تسلسل الأئمة إلى الثاني عشر وهو محمد بن الحسن بن علي (المهدي المنتظر) يزعمون أنه سيظهر في آخر الزمن ليملاً الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً. من تعاليم هذه الفرقة:

- \* الأئمة أوصياء استودعهم النبي أسرار الشريعة التي لم يبين منها إلا قليلاً.
- \* ما يقوله الأوصياء شرع إسلامي لأنه تتميم للرسالة، وكلامهم شرع وهو بمثابة كلام النبي.
- \* يجوز للأئمة أن يخصصوا النصوص العامة، ويقيدوا النصوص المطلقة.
- \* الإمام معصوم عن الخطأ والنسيان والمعاصي فهو ظاهر مظهر.
- \* يجوز أن تجري خوارق العادة على يد الإمام لتثبت إمامته ويسمونها معجزة.
- \* الإمام أحاط بكل شيء علماً وفي أمور الشريعة خاصة يقول الطوسي "أنه قد ثبت ان الامام إمام في سائر الدين ومتولي الحكم في جميعه، جليله ودقيقة... " (27).

20) د. عبد الرزاق قسوم، محاضرة في موضوع المعتزلة ألقاها بمعهد الفلسفة جامعة الجزائر في 16. 11. 1981م أنظر في موضوع المعتزلة، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج1، ص215، الفرق بين الفرق للبغدادي.  
21) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج1، ص215، أطفيش شرح العقيدة ص436.  
22) المرجعان السابقان، علي أبو ملحم، المناحي الفلسفة عند الجاحظ، ص132.  
23) ابن خلدون المقدمة، ج1، ص. ص339-340.  
24) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص161.  
25) المرجع السابق، ص161  
26) محسن الأمين، أعيان الشيعة، اعتقادهم في الإمامة والخلافة، ج1، قسم2، ص6، النوبختي، فرق الشيعة، ص9، الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص146، ابن تيمية يرد على تكريتي الشيعي منهاج السنة.

ب- الامامة (الإسماعيلية):

سميت بالإسماعيلية نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق من أهم مبادئها في الإمامة ما يلي<sup>(28)</sup>:

- \* يتمتع الامام بالفيض الإلهي من المعرفة فيكون فوق الناس قدرا وعلما، اختص بعلم الشريعة الذي ليس عند الناس لأنه فوق مداركهم.
- \* لا يلزم أن يكون الامام ظاهرا بل يصح أن يكون خفيا مستورا، ومع ذلك تجب طاعته، ولا بد سيظهر قبل قيام الساعة لأنه المهدي الذي سيهدي الناس.
- \* الامام ليس مسؤولا أمام الناس وليس لأحد من الناس أن يخطئه مهما يأت من أعمال بل كان ما يفعله خيرا لا شر فيه فهو معصوم.
- \* الإمام لا يكون إلا أفضل الناس، ويجوز له في حالة التقية أن يقول أنه ليس بإمام<sup>(29)</sup>.
- \* ان عليا كان مصيبا في جميع أحواله وانه لم يخطئ في شيء من أمور الدين<sup>(30)</sup>.

ج- الزيدية:

- سميت بالزيدية نسبة إلى صاحبها المذهب، زيد بن علي بن الحسين البسط(ت 126هـ/744م) من آراء هذه الفرقة في الامامة ما يلي:
- \* تقوم الامامة باختيار أهل الحل والعقد لا بالنص<sup>(31)</sup>.
- \* الأدلة الخاصة بإمامة علي(رضي) اقتضت تعيينه بالوصف لا بالشخص.
- \* تتبرأ الزيدية من الشيخين دون الطعن في إمامتهما وعلي أفضل منهما<sup>(32)</sup>.
- \* تجوز إمامة المفضول مع وجود الأفضل.
- \* يشترط في الامام أن يكون عالما زاهدا جوادا شجاعا. يخرج داعيا الناس إلى إمامته.

#### ❖ النجدات

أتباع نجدة بن عامر الحنفي (ت 669هـ)، الدين عنده أمران: أحدهما الإقرار بما جاء من عند الله بعد معرفته ومعرفة رسوله وتحريم دماء المسلمين وأموالهم، وثانيها أن النار يدخلها من خالفه في دينه، وان النصر على المعصية شرك ولو بكذبة، وغير المصر مسلم ولو زنى وشرب الخمر...<sup>(33)</sup>. ورأي النجدات في الامامة أنها غير مفروضة، والناس ليسوا ملزمين بتعيين الامام وإقامة حدود الله لأن مهمة الامام مراقبة الرعية وحملهم على طاعة الله فإن هم استقاموا فإن الامام لا لزوم له<sup>(34)</sup>.

وممن يقول النجدات الأزارقة والصفيرية: فهم يرون عدم وجوب نصب الامام أصلا، وبعض منهم قالوا يجب عند الأمن لا عند الفتنة، كهشام بن عمر القوسي وأتباعه<sup>(35)</sup> وذهب غيرهم إلى أن الامامة لا تتعد إلا باجماع الامة عن بكرة أبيهم ويعني هذا استبعاد نصب الامام ما دام هناك خلاف...

27) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص55 فما بعد أنظر عبد الحلیم الفرابي في رأيه عن الرئيس.

28) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص55 فما بعد أنظر عبد الحلیم الفرابي في رأيه عن الرئيس.

29) عبد الحلیم محمود ، التفكير الفلسفي في الاسلام ص166.

30) المصدر السابق، ص166 أنظر:

Merghoub B. Le developement politique en Algerie, p.14.

31) المصدر السابق، ص180 وأنظر المقدمة لابن خلدون ص354..

32) ابن خلدون المقدمة، دار الكتاب اللبناني، 1981م، ص350.

33) عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص66، الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص122.

34) الموجز لأبي عمار عبد الكافي، ج2، ص233، للشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص124 انظر أيضا أبو ستة في حاشية الوضع باب الإمامة وانظر

محمد اطفيش جامع الوضع والحاشية، ص27.

35) اطفيش، شرح العقيدة ، ص 436.

## ❖ السكاكية:

وهم أتباع عبدالله السكاك اللواتي<sup>(36)</sup> الذي يرى أن شروط الامامة لا تتوفر في أي أحد حتى في الأذان والصلاة<sup>(37)</sup> وعليه فالإمامة غير واجبة لا في الأمن ولا في الحرب لعدم وجود من يستحقها الا أن هذه الفرقة من الاباضية لم تعمر طويلا فقد تلاشت من الوجود منذ أواخر القرن (5هـ/11م)<sup>(38)</sup>.

ب- رأي الاباضية في مشروعية الامامة:

إقامة الامامة عند الاباضية أمر واجب على المسلمين- حيثما وكيفما كانوا- يقول الشيخ تبغورين بن عيسى(ق 5هـ) (وعقد الامامة فريضة عندنا لفرض الله الأمر والنهي، والقيام بالعدل وإقامة الحدود على ما بينه في كتابه فاجتمعت الأمة على أن هذه الحدود مع وجوبها لا تقام إلا بالأئمة وولاتهم فثبت أن عقد الإمامة على المسلمين واجب وحق لازم<sup>(39)</sup>).

أما الشيخ اطفيش(1818م-1914م) فيرى أنها "من الأصول لما صح عن عمر وغيره من الأمر بقتل من تعين نصبه إماما فأبى قبولها. الا أنها ليست مما يقدح تخلفه في صفة الله تعالى فمعنى كونها من الأصول أنه لا يجوز الخلاف فيها"<sup>(40)</sup>. وفي شرحه للنيل يقول: "إن الأمر والنهي لا يتمان إلا بإمام عدل، فنصبه واجب، إذا كان المسلمين على نصف عدوهم الذي يتقون شوكته، ويرد الشيخ اطفيش بقوة على القائلين بعدم وجوب نصب الامام ودليلهم على عدم النصب، ان الانسان تأبى نفسه أن يتولى عليها غيرها، ولأن منصب الامام قد تحتكره طائفة دون أخرى فيكون الصراع ويعظم الضرر. وحيث الامام غير معصوم فقد يكفر ويحمل الناس على الكفر فيكفرون أو يقاتلونه ويقاتلهم بمن معهم فيكون الضرر أشد.

وقد يحتج القائل بعدم نصب الامام بوجوده أخرى منها: ان الناس إذا توفرت مصالحهم الدينية والدنيوية فإن الحاجة إلى نصب الامام غير واردة والدليل أن أهل البادية الخارجين عن أحكام السلطان قد انتظمت أحولهم بلا امام، فيرد الشيخ اطفيش على ذلك بقوله: "إن ضرر عدم نصب الامام- في الحالة الأولى- أكثر لأن كثيرا من الناس ينقاد إلى مثله فكيف إلى من هو أعظم، وإذا كفر لم يترك على كفره فقتاله مأمور به شرعا"<sup>(41)</sup>. أما عن أحوال أهل البادية فإن الواقع يثبت أنها غير منتظمة "وفيهم فتن عظيمة لا يبقى بعضهم على بعض ولا يقيمون على فرض ولا على سنة ومتى اتفقوا فإنما يتفقون على باطل ثم انه يتوزع إلى بواطل فيختلفون أيضا"<sup>(42)</sup>.

وقد يستدلون على عدم تعيين الامام بأن الانتقاع بالإمام انما يكون بالوصول إليه وطرح المشاكل عنده وهذا أمر متعذر لأنه لا يستطيع كل واحد من الرعية الوصول إلى الامام كلما ظهرت لديه أمور دينية أو دنيوية فيجب الشيخ اطفيش "بأن الانتقاع بالإمام لا يكون بالوصول إليه فقط بل يكون أيضا بوصول أحكامه وسياسته إليهم...."<sup>(43)</sup>.

أما الامامية من الشيعة فتقول بوجوب نصب الامام على الله لا على الانسان. وذلك لطفًا من الله بعباده ليتوصلوا إلى طاعته، فإن الشيخ اطفيش يرى في رأيهم هذا تصرفا ومغالاة ،

36) من قنطرة بالجزيرة التونسية، عاش في أوائل ق 6هـ، انفصل عن الاباضية بآرائه المتطرفة منها إبطال الأذان وصلاة الجماعة.

37) صالح باجيه، الاباضية بالجزيرة، ط1، دار بوسلامة للنشر، تونس ص39.

38) عوض محمد خليفات، النظم الاجتماعية والتربوية عن الاباضية، ط1، عمان 1982، ص105 انظر أيضا الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص118-119.

39) تبغورين، رسالة في أصول الدين مخطوطة، انظر سيرة ش.أبي الحسن العماني، في سير أهل عمان مخطوط ج1، ورقة 95، راجع أيضا: أبو عمار عبد الكافي الموجز، ج2، ص223... كذلك: اطفيش جامع الوضع والحاشية، ص27.

40) اطفيش، شرح العقيدة، ص436.

41) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص438.

42) المصدر السابق، ص439.

43) المصدر السابق، ص439.

ذلك إن الإمامة إذا وجبت - على حد قولهم - فإن رأيهم فإن الوجوب مقدور عليه، وأيضا يحصل اللطف بالإمام لجزره وانصرافه الضعيف والقوي"<sup>(44)</sup>.

والواقع أن الإمامية - في رأي القطب - مخطئون في قولهم بوجوب نصب الإمامة على الله لأنهم لم يوجبوا ذلك على الله في هذا الزمان - بعد موت علي (رضي) - وإنما الذي يوجبونه هو إمام معصوم مختف، ويترتب على ذلك خطأ، الأول: أبطلوا لطف الله لعدم ظهور الإمام لأن ظهوره بين الناس لطف من الله، الثاني: لزم عن عدم الظهور كونه تعالى تاركا للواجب، ما داموا يقولون أن نصب الإمام واجب على الله.

ثم يتصدى القطب لمناقشة رأي الخوارج<sup>(45)</sup> المتمثل في عدم وجوب نصب الإمام لأن تنصبيه يثير الفتنة، لاختلاف الأهواء، فبعض يحب نصب فلان، وبعض يحب نصب الآخر، فيتعذر حينئذ الاتفاق الجماعي على تعيين واحد، حتى وأن نصب الإمام بالأغلبية، فإن بوادر الخلاف وأصول الفتنة ستظهر في الفئة القليلة الناقمة على الإمام فيحصل الضرر، والسبب راجع إلى اختلاف الناس حول الشروط المطلوب توفرها لدى الإمام وحيث أنه يتعذر اجتماع كل الشروط عند واحد فإنه بالتالي يتعذر تعيين الإمام.

هذا محمل رأي الخوارج في عدم النصب لكن الشيخ اطفيش يرد عليهم ويعطي البديل لحل هذه المسألة فيقول: "إن هذا نفسه أدل على الوجوب (...). فيقدم العلم وإن تساويا فالأروع (...). وإن تساويا، فالأسن، وقد يقدم الأليق مع وجود الأعلم فتدفع الفتنة بهذا التفصيل ومن أبي ففانت، ففتنته باغية، ولا تخلو الدنيا ممن انكار حق وقبول باطل والزجر عند ذلك"<sup>(46)</sup>، وهكذا يرد القطب على الخوارج، ورده صميم دليلهم فإذا كان الدليل يقوم على درء الناس فإن المشكل إذن ينحصر في الاتفاق على شخص يصلح للإمامة ويرضى عنه الجميع، وإذا كان كذلك فالحل في الاتفاق. وأحسن وسيلة هي ضبط الشروط وتحديد المواصفات الموضوعية المطلوب توفرها لدى المرشح للإمامة، على أن تكون هذه الشروط محل رضاء الجميع، وحتى تكون كذلك يضع القطب جملة من الشروط مع ترتيب عقلائي لها حسب الأهمية، فقدم العلم أولا ويليه الورع في حالة التساوي ثم الأسن المتمتع بالخبرة والحنكة الكافية، على أن هذا الترتيب يخضع عند الضرورة للتعديل المناسب<sup>(47)</sup> فقد يرشح العالم لكنه ضعيف في السياسة قليل الخبرة بأمر الحرب، غير بصير والاحتمال الثاني ألا يكون العالم المترشح للإمامة ذا نفوذ في قومه، ولا يتمتع بالشعبية الكافية مما يثير نصبه فتنة بين الرعية، وهنا تقتضي المصلحة العامة التنازل عن أحد الشروط المطلوبة لتلبية لرغبة الرأي العام، وهذا من أصول الديمقراطية، غير أن الشيخ اطفيش لا يقول بتحقيق مطالب الناس فردا فردا لأن الاتفاق العام على قضية لا يمكن حصوله لاختلاف الأهواء والأغراض بين الناس، فحينئذ يلجأ إلى الأخذ بمبدأ الأغلبية الصائبة "ومن أبي ففانت وفتنته باغية"<sup>(48)</sup>، لأن الطبيعة الإنسانية لا تخلو من الاعوجاج والتطرف السلبي من أجل تحقيق الأغراض الخاصة بأية وسيلة حتى بإنكار حق وقبول باطل"<sup>(49)</sup>، وفي هذه الحالة يجب حسم الموقف بالقوة المشروعة، ويصبح الزجر ضروريا حتى تقيء الباغية إلى أمر الله تعالى.

(44) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص 440.

(45) الخوارج القائلون بعدم وجوب نصب الإمام هم الصفرية والازارقة والنجدية.

(46) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص 440.

(47) Pierre Cuperly, Introduction a l'etude de L'ibadisme et de sa theologie O.P.U. Alger, 1984, p.296.

(48) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص 440.

(49) المصدر السابق، نفس الصفحة.

ومجمل القول أن الإباضية ترى أن الإمامة فرض واجب لأنها ضرورية من أجل تطبيق الأحكام الإلهية ونشر العدالة بين الرعية، والعدل في توزيع الثروات ومحاربة المرتدين<sup>(50)</sup> ويتفق مع الإباضية أغلب المذاهب الإسلامية في ضرورة نصب الامام. ج- الأدلة العقلية لوجوب الإمامة عند الإباضية<sup>(51)</sup>:

شرع الله في القرآن أحكاماً لا يتصور تنفيذها دون وجود دولة تتولى تنفيذها كقتل القاتل<sup>(52)</sup> وقطع اليد<sup>(53)</sup> ومعاقبة الساعي في الأرض فساداً<sup>(54)</sup> وغيرها من الأحكام التي تستلزم وجود سلطة تطبق ما شرع الله، هذا فضلاً عن الآيات التي تشير صراحة إلى ضرورة إقامة الدولة منها قوله تعالى:

[ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ]<sup>(55)</sup>  
وقال:

[ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ]<sup>(56)</sup>  
أما الأدلة العقلية من السنة فكثيرة نذكر منها قوله ع: "الإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته"<sup>(57)</sup>، وقال: "تخيروا لإمامتكم وتخيروا لنطفكم"<sup>(58)</sup>، وقال في طاعة الأمراء: أطيعوهم ما لم يمنعواكم الصلوات الخمس"<sup>(59)</sup>، وإلى جانب هذه الأدلة وغيرها نجد في حرص عمر بن الخطاب وأبي عبيدة من قتل المرشح للإمامة أن أبي ورفضها، دلالة صريحة على وجوبها.

د- الأدلة العقلية لوجوب الإمامة:

لما كان اجتماع الأمة على ان حدود الله لا تنفذ إلا بالأئمة العدول ولاتهم... ثبت أن عقد الإمامة على المسلمين فرض واجب وحق لازم، يقول أبو عمار عبد الكافي: ولما كانت الفروض التي ذكرناها منوطة بالإمامة التي لا تقام إلا معها فكل ما كان من الفرص لا يتم إلا به فهو فرض مثله والأمة لا تجتمع على شيء ثم تختلف فيه<sup>(60)</sup> أما الشيخ اطفيش فيرى وجوبها إلى جانب ما تقدم- اقتضاء للمصلحة الاجتماعية من دفع الضرر وجلب المصالح يقول: فإذا وجد في نصب الامام دفع ضرر مظنون واجب إجماعاً، وعليه فنصب الامام واجب"<sup>(61)</sup>.

وإذا كان فضل الرسول ع مصدراً أساسياً للتشريع، فإنه أقام دولة مثالية في أسلوب جديد لم يعهده العرب من قبل فولى الولاية، وعين القضاة، وأرسل القواد وأقام الحدود وعقد العهود، ونمى أموال بيت المال فوزعها بالعدل بين مستحقيها. هذه أسوة الرسول ع في شخص الحاكم والقائد، وراعي الرعية، فالمسلمون مأمورون بالافتداء بها، لا على أنها مشروعة فحسب، بل لاقتضاء المصلحة العامة وضرورة الاجتماع لها. ومن بين هذه المصالح الاجتماعية، وحدة الأمة واتحادها لا يتحقق إلا بوجود سلطة يخضع لها كل فرد في الأمة، وتتقاد لها جميع

(50) Pierre Cuperly, Introduction a l'ctude de L,Ibadisme p.291.

(51) ذكر الشيخ اطفيش أكثر من أربعين حديثاً من السنة بشكل مباشر وغير مباشر وجوب الإمامة انظر شرح النيل، ج14، ص267...

(52) المائدة الآية 45.

(53) المائدة، الآية 38.

(54) المائدة، الآية 33.

(55) آل عمران، الآية 104.

(56) النساء الآيات 58-59.

(57) رواه البخاري ومسلم.

(58) الربيع بن حبيب، الجامع الصحيح، ص204، رواه جابر عن ابن عباس.

(59) المصدر السابق، ص203.

(60) أبو عمار عبد الكافي، الموجز تج عمار طالبي، ج2، ص234.

(61) اطفيش، شرح العقيدة، ص436، انظر: سعيد التعريتي، المسلك المحمود ص49.

الطوائف والأقليات، وهو ما انتبه إليه زعماء القبائل البربرية قبل ميلاد الدولة الرستمية حين وجدوا أنه لا مناص من تعيين إمام فقالوا: "قد علمتم أنه لا يقيم أمرنا إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا، ويقيم لنا صلاتنا ونؤدي إليه زكاتنا ويقسم فينا"<sup>(62)</sup> إذن فقد اجتمعت الأدلة النقلية والعقلية على وجوب نصب الامام وإقامة الدولة، لكن لا يزال في المسألة إشكال يطرح نفسه بعد الأخذ بمبدأ وجوب نصب الامام والإشكال ينحصر في طرق ثبوت الامامة وشروطها.

### ثالثاً: ثبوت الامامة

اختلفت المذاهب الاسلامية حول طرق إثبات الامامة الا أنها اتفقت جميعاً على إثباتها بالنص من رسول الله ﷺ أما الطرق المختلف حولها فهي ثبوتها بالنص من الامام السابق أو بأهل الحل والعقد ولو كانوا غير مجتهدين<sup>(63)</sup> بمعنى الاختيار والبيعة أو عن طريق الدعوة وهي ان يباين الظلمة من هو أهل للإمامة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويدعو الناس إلى اتباعه.

وبيان الخلاف ان الامامية<sup>(64)</sup> تنفي طريق الاختيار والدعوة، واتفقت الأشاعرة والمعتزلة والخوارج والصالحية من الزيدية على ان الاختيار طريق إليها أيضاً وهو مذهب الاباضية، أما الجارودية<sup>(65)</sup> من الزيدية فتجعل الدعوة طريقاً لثبوت الامامة<sup>(66)</sup> ومن أدلة الشيعة على إثبات الامامة بالنص: ان الامامة نيابة عن الله ورسوله فلا تثبت بأهل البيعة وإلا كان الامام خليفة عنهم لا عن الله ورسوله، وير القطب عليهم "بان اختيار أهل البيعة دليل على نصب الله ورسوله للإمام وحكمها به كسائر إنفاذ الأحكام، فالبيعة مظهرة له لا مثبتة<sup>(67)</sup>.

ومن أدلتهم ان أهل البيعة لا يجوز لهم التصرف على غيرهم فكيف يملكون ذلك- كما يرى الشيخ اطفيش- ان بيعة أهل البيعة هي إمارة من الله ورسوله، وحكمها ينطبق على سائر الرعية لأنهم ممثلون عنهم، أما القضاء فأمر يثبت بما دون البيعة " وهو إقامة الامام له وبإمكان الرجوع فيه الى الامام وان لم يكن امام فلا بد من البيعة للقاضي أو إقامة الجماعة أو ذي إمارة له تغني"<sup>(68)</sup>، ثم ان البيعة لا يشترط فيها الإجماع بل تصح ولو بواحد كعقد عمر للصديق. كما لا يشترط على الامام ان يعلم كل شيء فإذا لم يعلم سأل أو اجتهد. إذن فلا مجال لضرورة النص عقلاً.

### رابعاً: وحدة الامامة وتعددتها

كثر الحديث بين الفقهاء ومؤرخي الفلسفة الاسلامية حول جواز تعدد الأئمة وعدم الجواز، فالقائلون بالجواز يستدلون بتراضي علي(رضي) ومعاقبة سنة أربعين للهجرة على اقتسام الشام والعراق فكتب معاوية الى علي يقول له: "أما اذا شئت فلك العراق ولي الشام، وتكف السيف عن هذه الامة ولا تهرق دماء المسلمين"<sup>(69)</sup>

(62) ابن الصغير أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق وتعليق، د.محمد ناصر. إبراهيم بهاز المطبوعات الجميلة الجزائر 1986م، ص. 25- 26.

(63) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص443.

(64) انظر حول الإمامية وفرقها، عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص17، 39.

(65) انظر حول الجارودية، المصدر السابق، ص16.

(66) محمد اطفيش. شرح عقيدة التوحيد، ص229.

(67) المصدر السابق، ص443.

(68) المصدر السابق، ص443.

(69) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مط الحسينية، القاهرة 1355هـ، ج-5، ص140.



هذا ما ذهب إليه قوم من الكرامية (70) وهو جواز نصب إمامين أو أكثر في وقت واحد....

والرأي الآخر يرى انه لا يجوز تعدد الأئمة إطلاقاً استناداً الى حديث لعمر بن الخطاب يقول فيه: "إن الله واحد والاسلام واحد ولا يستقيم سيفان في غمد واحد" يعني إمامين في وقت واحد (71).

والرأي الثالث في الموضوع: ان الامامة لا تجوز لشخصين في آن واحد بنفس البلد الا اذا "بعد المدى وتخلل بين الإمامين شسوع النوى، فالاحتمال في ذلك مجال، وهو خارج من القواطع" (72) وهذا رأي الاباضية في الغالب، فقد أقر التعاريفتي بقوله: "لا يجوز تعدد الأئمة في صقع متضائق الأقطار خلافاً للماوردية" (73)، أما اذا اتسع نطاق البلد أو كان البحر فاصلاً بين القطرين بحيث لا يطبق الامام الواحد تولى جميع شؤونه فانه يجوز هـ" (74) وهو ما ذهب إليه الشيخ عبد العزيز الثميني في قوله: "ولا يرى إمامان لعسكر واحد وجاز لعساكر ولبلاد متفرقة" (75).

ويبدو ان العمل جرى بالسماح بتواجد عدة أئمة اباضية في عدة بلدان من العالم الاسلامي في آن واحد (76) "مثل ما عقد لعبدالله بن يحيى طالب الحق (77) في المشرق في حين كانت إمامة الاباضية قائمة بالمغرب" (78). على أي حال فإن الرأي الصحيح في نظر الاباضية هو ما جاء على لسان الشيخ عبد الرحمن بكلي (ت. 13-1-86) في قوله: يجوز إقامة امام بكل قطر ولا يجوز إقامة امامتين في قطر أو مصر واحد لما يتولد على ذلك من شتات الشمل واختلاف الكلمة وتنازع النفوذ (...). وهو ما استقر عليه العمل اليوم في سائر الأقطار الاسلامية" (79). وقد أشار الشيخ اطفيش إلى هذا الرأي في قوله: "الواجب امام واحد ولكن لو فصلت أقوام لا تطاق فانه يصح إمامان وأكثر" (80) الا ان هذا ينافي قول اباضية المشرق في انه "لا يجوز إمامان في الدنيا الا في خصلة واحدة هي ان يفصل بينهما البحر" (81).

#### خامساً: شروط الامامة:

رغم اعتقاد الاباضية بوجوب الامامة واقتناعهم بضرورة تعيين الامام فانهم لا يرونها واجبة في ظروف خاصة، معنى ذلك ان وجوب الامامة مشروط بتوفر العوامل المساعدة على إقامتها ونظراً لذلك وضع علماء الاباضية جملة من الشروط ينبغي مراعاتها في اختيار الامام واعلان الدولة.

70) فرقة من المجسمة تنتسب الى محمد بن كرام السجستاني المتوفى سنة 256هـ، تزعم هذه الفرقة ان علياً ومعاوية كانا إمامين، يجب على الناس اتباع كل واحد منهما (...). غير ان علياً كان إماماً على السنة ومعاوية على خلاف السنة، فأجازت الكرامية كون إمامين أو أكثر في وقت واحد من وقوع القتال له. أنظر عبد القاهر البغدادي كتاب الملل والنحل حقه وقدم له وعلق عليه د. ألبير نصري نادر، ط2، دار المشرق بيروت 1986، ص. ص 149-154. 71) ش. أبو الحسن العماني، سير أهل عمان، ج1، ص100، البقلاني نصوص من الفكر السياسي ليوسف أيبش، ص50، عبد القاهر البغدادي أصول الدين، ص128، الماوردي، الأحكام السلطانية، ص9، ابن حزم الفصل في الملل والنحل ج4، ص87. 72) الجويني، إمام الحرمين (ت 478هـ) الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد نقله يوسف أيبش في كتابه نصوص الفكر السياسي، ص179. 73) لكن الماوردي لم يخالف التعاريفتي، انظر الماوردي، الأحكام السلطانية. 74) سعيد التعاريفتي، المسلك المحمود...، ص50. 75) عبد العزيز الثميني، كتاب النيل وشفاء العليل، ج3، ص886. 76) تادوز لويكي، دائرة المعارف الاسلامية مادة الاباضية، T. Lewicki, En. Is, 2e edition. 77) أبو إسحاق الحضرمي، مختصر الخصال، أما طالب الحق فتولى الامامة باليمن، واستولى على الحرمين سنة 130هـ. 78) استبعد ان تكون إمامة عبدالله بن يحيى معاصرة للإمامة الاباضية لأن وفاة طالب الحق كانت على الأرجح سنة 133هـ، بينما الإمامة بالمغرب كانت في 140هـ على يد أبي الخطاب. 79) عبد الرحمن بكلي، في هامش النيل وشفاء العليل، تأليف الشيخ عبد العزيز الثميني (ت 1223هـ) ط3، المطبعة العربية، غرداية الجزائر 1969م. 80) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص428. 81) المصدر السابق، ص428.

وينبغي الإشارة الى ان هذه الشروط قد تختلف الظروف التي يعيشها الاباضية من ناحية، وقد تختلف من ناحية أخرى باختلاف نوع الامام المراد إعلانها فشروط إمامة الظهور ليست هي شروط إمامة الدفاع، أو إمامة الشراء، أو إمامة الكتمان، وعليه فإننا نركز الآن على شروط إمامة الظهور، التي هي ثلاثة- كما يرى أبو إسحاق الحضرمي (ق 5هـ).

أحدهما: قوة أهل الدعوة، وذلك أن يغلب على ظنهم ان يغلبوا أهل الباطل، والثانية أن يكون أهل الدعوة<sup>(82)</sup> أربعين رجلاً أحراراً بالغين أصحاء والثالث أن يكون فيهم ستة رجال فصاعداً أهل علم بأصول الدين والفقه من ذوي ورع وصلاح في الدين<sup>(83)</sup> فإذا اجتمع للإباضية هذه الشروط يصبح إعلان الامامة أمراً واجباً فيعقدونها لأفضلهم أو من يستحقها منهم<sup>(84)</sup>.

لكن نلاحظ ان الشرط الثاني متعلق بعدد الرجال فانه في الواقع يخص الامامة في مرحلة الدفاع أما في مرحلة الظهور فيجب ان يكون عدد المسلمين (كنصف عدوهم في جميع ما يحتاجون إليه)<sup>(85)</sup> لقوله تعالى:

[الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين] <sup>(86)</sup>.

يحدد الشيخ محمد اطفيش (1818-1914) أهم ما يحتاج إليه لقيام الدولة بقوله: (ما يكفي من سلاح وكراع وعلم ومال)<sup>(87)</sup> فاشتراطه للكفاية له معنى كبير لأن محاولة قيام الدولة بدون الأعداد لها- مسبقاً- أعداداً كافية وقوية لا يضمن النجاح والاستمرار للمحاولة وفيما يلي بيان وسائل الإعداد.

**السلاح:** رمز القوة، وبدونه لا تستطيع الامة الدفاع عن نفسها ولا الظهور على أعدائها، بل حتى الأمن الداخلي لا يمكن تحقيقه ان لم يكن للسلطة سلاح كاف، ويستتبع السلاح بالضرورة جيشاً كفواً قادراً قوياً، حسن التدريب.

**الكراع:** ويرمز الى الوسائل والتجهيزات بمختلف أنواعها وهي غير محددة النوع والكيف، لاختلافها من عصر الى آخر، وحيث ان أهل القرون الماضية يعولون على الحيوان فمه معاشهم فمنه اللباس والأكل والشرب وعليه ينتقلون ويحملون متاعهم، وبه يدافعون ويحرسون. فإنهم جعلوا توفره من شروط إقامة الدولة ونظراً للاعتبارات المتقدمة، على انه من الممكن الاستغناء عنه واستبداله بما هو أفضل وأصلح خصوصاً وان الانسان يعيش عصر الآلة المتطورة والتكنولوجيا المبدعة.

**العلم:** ويرمز الى الثقافة الضرورية تجاه الدولة، وهي بمثابة العقل من الجسد والعلم يحمله العلماء وذوو الحجا فعلى كواهلهم تقوم الدولة ويدهم يكون زمام الأمور. المال: وهو قوام الأعمال، ويرمز الى الجانب المادي الذي لا بد منه لضمان سير الأمور بوجه أفضل.

هذه أهم الشروط الواجب توافرها لإقامة الدولة وإعلان الظهور، وتأتي في الدرجة الثانية بعد العناصر الأساسية لتكوين الدولة وهي ثلاثة:

1- السلطة: وتتمثل في الامام الذي يتولى أمور المسلمين، ويرعى شؤونهم ويساعده جهاز الحكم من قضاة وعمال ومجلس الشورى والقائمين بالحسبة والجيش.

(82) المقصود بأهل الدعوة، جماعة الاباضية، انظر أصل التسمية في الفصل الأول من الباب الأول.

(83) أبو إسحاق الحضرمي، مختصر الخصال، (مخطوط) ورقة 7 ب.

(84) راجع شروط الامام، الفصل الأول الباب الرابع.

(85) محمد بن عمر أبو ستة، حاشية الوضع، باب مسالك الدين (مخطوط).

(86) الأنفال، الآية 66.

(87) محمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص 436.

- 2- الأمة أو الرعية التي تتولى السلطة قيادتها ورعايتها ويشترط فيها أن تكون في العدد كنصف العدو- على الأقل- كما أشرنا.
- 3- الأرض التي يسكنها الشعب ويجري فيها حكم تلك السلطة.

## الفصل الثاني أنواع الإمامة (مسالك الدين)

### أولاً: الظهور

- أ- علاقة الاباضية بالأمم في مرحلة الظهور  
ب- الحكم في الأموال والكنائس والبيع  
ج- علاقة الاباضية بأهل الخلاف في مرحلة الظهور  
د- حكم الدار ومعسكر السلطان.

### ثانياً: الدفاع

- أ- موجبات الدفاع  
ب- نتائج الدفاع

### ثالثاً: الشراء

- أ- شروط مرحلة الشراء  
ب- أهداف الشراء

### رابعاً: الكتمان

- أ- التنظيم الاجتماعي في مرحلة الكتمان  
ب- علاقة الاباضية بمخالفهم في مرحلة الكتمان  
ج- نظام العزابة  
د- نظام العشيرة

## أنواع الإمامة (مسالك الدين)

المسالك لغة مواضع السلوك وهي الطرق<sup>(1)</sup> قال تعالى:

[الذين جعل لكم الأرض مهادا وسلك لكم فيها سبلا]<sup>(2)</sup>.

أما المسالك اصطلاحا فهي "الطرق التي يتوصل بها إنفاذ الأحكام الشرعية"<sup>(3)</sup>، وهي تعبر عن مراحل الامامة لـ الاباضية- التي يمكن ان تجتازها في مختلف أدوار حياتها إزاء واجب الدعوة لدين الله...."<sup>(4)</sup>

ويعتبر هذا الأصل "مسالك الدين" من أهم ما يتميز به الاباضية في مجال الفكر السياسي. فهو يضع جملة من التعاليم والمبادئ يحدد الاباضية وفقها مواقفهم السياسية في مختلف الظروف الزمانية والمكانية سواء المتعلقة بالشؤون الداخلية حيث تتواجد التجمعات الاباضية أو المتعلقة بالشؤون الخارجية متمثلة في علاقاتهم بالدول الأخرى أو تكتلات مخالفيهم.

ولعل السر في استمرار البقاء الاباضي، منذ ان سطع نور الاسلام الى يوم هذا سواء البقاء الفكري في عقيدتهم وتعاليمهم. أو البقاء الاجتماعي في قبائلهم وشعائرهم، يعود الى هذا الأصل الذي يضمن لهم أسباب التكيف والتأقلم مع الحياة وتطوراتها مع الأمم وسياساتها، مع المخالفين وعقائدهم، كل ذلك ضمن الإطار الشرعي وفي حامي الكتاب والسنة.

وخلاصة ما يهدف إليه هذا الأصل "مسالك الدين" هو التخطيط لإقامة دولة إسلامية عادلة دستورها القرآن والسنة، حكامها خبراء في أمور الدين والدنيا فإن لم يتحقق هذا المطلب بان عدمت شروط إقامة الدولة وجب حينئذ تصحيح الأوضاع أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر، بمختلف الوسائل والنهج المشروعة، فقد يضطر الموقف لإعلان الثورة ضد الجور والفساد، وقد تقتضي الحكمة انتهاج سياسة اللين والعمل في الخفاء من الإصلاح وتغيير المنكر بالتي هي أحسن<sup>(5)</sup>.

وفيما يلي عرض تحليلي لمسالك الدين الأربعة: وهي الظهور، والدفاع، والشراء، والكتمان مع إبراز العلاقة بين تعاليم الاباضية مبادئها وبين ما تقوم عليه نظرية مسالك الدين من أبعاد سياسية.

#### أولاً: الظهور

الظهور (هو الأصل والمأمور به)<sup>(6)</sup> يمثل المرحلة الأولى من مسالك الدين وتعتبر أفضل المراحل وأحسنها وعادة ما تكون هذه المرحلة "تتويجا للمساعي والجهود للحالات الثلاث: الكتمان والدفاع والشراء" وهي الهدف الذي بتقاتل ويستشهد في سبيله الاباضية وعند الانتصار تسمى هذه الحالة بالظهور. ويعني بها قيام حكومة اباضية وفقا لتعاليم المذهب الاباضي<sup>(7)</sup> تسيير على منهج الشرع الاسلامي، فتنفذ أحكام الله وتقيم الحدود وتصون الحقوق وترد الظلم وتحفظ الثغور وتحمل دعوة الاسلام الى بلاد الكفر<sup>(8)</sup>، لأن الدولة حينئذ تكون قد ظهرت على

(1) بدر الدين الشماخي، مقدمة التوحيد وشرحها ص50.

(2) سورة طه، الآية 53.

(3) محمد بن يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص113.

(4) عبد الرحمن بكلي، فتاوي البكري، ج2، ص337.

(5) انظر للمزيد من التوضيح:

Cheikh Bekri, Ie Kharijisme Berbere, p. 60.

(6) محمد بن عمر أبو سنة، حاشية الوضع، (مخ) غير مرقم، وانظر مقدمة التوحيد وشرحها لعمر بن جميع ط القاهرة، 1353هـ، ص50.

(7) مهدي طالب هاشم نشأة الحركة الاباضية بالمشرق، ص298.

(8) علي يحيى معمر الاباضية بين الفرق الاسلامية.

غيرها. بعد ان تكاملت فيها جميع الوظائف العامة والأساسية ويكون المجتمع الاسلامي فيها حرا ولا يطغي عليه ذو سلطان"<sup>(9)</sup>  
ومرحلة الظهور- لا تتحقق الا "بالإمامة الكبرى لإنفاذ حقوق الله وحقوق العباد، لا يزول إمامهم الا بأحداث في الاسلام أو زوال عقل أو عدم نفع...."<sup>(10)</sup>.  
ويضع الاباضية جملة من الشروط الواجب توافرها لإعلان الظهور وإقامة الدولة سبقت الإشارة إليها<sup>(11)</sup> أما أدلة مشروعية الظهور فكثيرة منها قوله تعالى:  
[ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين] <sup>(12)</sup>  
[ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون] <sup>(13)</sup>.

ويشير الاباضية إلى أمثلة من التاريخ للدول في حالة الظهور منها ظهور النبي بمكة بعد إسلام عمر (رضي) ثم ظهوره بالمدينة بعد الهجرة وظهور أبي بكر وعمر يصليان الجمعة، ويجمعان الزكوات والغنائم<sup>(14)</sup> وظهور الدولة الخطابية<sup>(15)</sup> في طرابلس الغرب والدولة الرستمية في الجزائر.

وفي الواقع يمكن ان نلاحظ نوعين من الظهور : الأول: للظهور الكامل حيث تتحقق الامامة العادلة- كما ينبغي ان تكون وفق المبادئ العامة للفكر السياسي الاباضي وفي إطار الحدود الشرعية ويمثل هذا النوع حالة الدولة الرستمية في عز أوجها. والنوع الثاني وهو الظهور الناقص أو الظهور الضعيف، وفيه تكون الأمة ظاهرة ومستقلة وذات سيادة لكنها لا تحقق كل الأهداف المرجوة ولا تبلغ كمال الظهور ولا الامامة العظمى فتضعف عن تطبيق بعض المبادئ السياسية كالانتخاب الخاص والبيعة الشرعية، أو تعجز عن تطبيق الأحكام الشرعية كإقامة الحدود وإعلان الجهاد يمثل هذا النوع حالة الامامة العمانية في نهاية القرن العشرين.

#### أ- علاقة الاباضية بالأمم في مرحلة الظهور:

الاباضية لا يرون قهر غيرهم ولا التدخل في شؤونهم وغايتهم ان يعيش الجميع في وئام وتفاهم، وهذا ما يلمسه الدارس لتاريخ الدولة الرستمية حيث سلك الاباضية فيها "سياسة التعايش السلمي مع جيرانهم (...). واحترموا مبدأ الحرية والعدل والمساواة وغيرها..."<sup>(16)</sup>. كما تمتاز دولة الرستمين "بانتماء السكان فيها الى فرق دينية شتى عاش بعضهم مع بعض في سلام وئام"<sup>(17)</sup>.

وفي الوقت ذاته يجتهد الاباضية في تبليغ الرسالة، والدعوة الى الاسلام كلما سنحت الظروف لذلك، وأما علاقتهم بأهل الذمة فيجب ان تكون علاقة الضعيف المحمي بالقوي الرحيم. والضعيف هو غير المسلم الذي يدفع الجزية، وهنا يفصل الوارجلاني الكلام في علاقة

(9) علي يحيى معمر الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة 1، ص 93.

(10) محمد يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص 113.

(11) راجع شروط الامامة في الفصل الخامس.

(12) سورة المنافقون الآية 8.

(13) سورة آل عمران الآية 104.

(14) محمد يوسف اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص 114.

(15) نسبة الى أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح، دامت دولته من 141هـ إلى 144هـ.

(16) أسسها عبد الرحمن بن رستم سنة 160هـ وعاصمتها تيهرت، دامت 136 عاما.

(17) رشيد بوريبة، الجزائر في التاريخ، ج3، ص 63.

الاباضية بأهل الذمة فيقول: "ان عطل أهل الذمة ما عليهم من الخراج ومن الجزية سنين عديدة فإننا نأخذهم بذلك"<sup>(18)</sup>. يعني بالقوة لأن السكوت عن ذلك تعبيراً عن الضعف أما إذا غاب أهل الذمة في بلاد بعيدة غير بلادنا فأتوا علينا فإننا نأخذ منهم شيئاً من الجزاء إلا إذا مكثوا في بلادنا سنة كاملة سواء تلك البلاد التي جاؤوا منها بلاد شرك أو بلاد إسلام<sup>(19)</sup> ولا نعشر أموالهم إلا لعام واحد، فإن هم ادعوا أنهم أعطوا الجزية أو العشر لبعض أهل تلك البلاد التي جاؤوا منها أو لأهل الخلاف ولهم على ذلك<sup>(20)</sup>. أما إذا كانت إقامتهم دون العام فلا عليهم شيء. وهم على هذا الحال ما داموا في ملتهم إما أن اختاروا الإسلام- وهذا هو المرغوب فيه- أصبحوا في حكم المسلمين فيبطل عنهم الفية والجزية والخراج "وإن كانت بلادهم بلاد صلح لا بلاد فية فمن أسلم فله إسلامه وماله وعليه فيه الصلح والعشر"<sup>(21)</sup> وبهذا تحفظ الحقوق في إطار شرعي من غير ظلم ولا جور.

### ب- الحكم في الأموال والكنائس والبيع

قد يظهر الاباضية في ناحية من البلاد على الملوك أو السلاطين فيقيمون دولة إسلامية فما حكم الأموال ومخلفات الملوك؟

يجيب الوارجلاني على ذلك بالتفصيل لكننا نكتفي بخلاصة ما قرره. أما الغنائم فإن أعطى الملوك فيها السهام وردوها إلى بيت مال المسلمين "تركناهم وفعلتهم وإن كانت قائمة لم يمضوا فيها بأمر أجريناها على السهام"<sup>(22)</sup> ويعطي لكل ذي حق حقه.

أما الأموال التي جمعت من الضرائب أو بعقاب من عمل المعاصي أو خالف أمر الملك فإن دخلت في بيت مال المسلمين بقيت فيها إلا إذا كانت أموالاً أخذت عنوة وجوراً فإن كانت عقاراً قائمة بأعيانها أو أموالاً معلومة في يد من أعطوها له وعرف أصحابها أعيدت لهم أما إن جهل أصحابها فإنها للدولة تودع في بيت المال.

وقد يحصل أن ينقض الملوك عهداً أو عذراً أو مظالم كانت قائمة بينهم، بين أهل الذمة والمحاربين، فهناك يجب الصلح "سواء كان النقص أو الغدر من أهل الإسلام أو من أهل الذمة والمحاربين، فمن امتنع أجرينا عليه حكم الإسلام وأهله ومن امتنع قاتلناه وحاربناه"<sup>(23)</sup>، وإذا أحدث أهل الذمة أيام الملوك دسائس وبيع ينظر في أمرها فإن بنوها بطرق غير شرعية كاستخدامهم للرشوة، والحيلة والقوة والظلم فحكمها الهدم. وإن بنوها على يد السلطان لا الملك فإنهم يمنعون منها لأن السلطان يحكم بالجور والظلم فليست أوامره مقبولة ولا أعماله شرعية. أما إذا بنوا معابدهم بأمر الملك، أو بعد طلب رضاه، وتحت رعايته فالحكم فيها تركها لهم.

### ج- علاقة الاباضية بأهل الخلاف في مرحلة الظهور

أول واجب للإمام أن يدعو أهل الخلاف إلى ترك ما به خالفوا "فإن أجابوا للطاعة فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين"<sup>(24)</sup> وكان العدل والمساواة في كل شيء لهم حقوقهم من الفية والغنائم والصدقات "ولهم علينا دفع الظلم عنهم وإن غزوا معنا فلهم سهامهم كما لنا"<sup>(25)</sup> أما إذا امتنع منهم عن أداء الواجبات عوقب بما يردده إلى سواء السبيل.

18) أبو يعقوب الوارجلاني، الدليل والبرهان، ج3، ص52.

19) المصدر السابق ص52.

20) المصدر السابق ص52.

21) المصدر السابق ص52.

22) المصدر السابق ص53.

23) المصدر السابق ص53.

24) أبو زكرياء يحيى بن أبي الخير الجنائني، كتاب الوضع، مط الفجالة، القاهرة، دتا ص17.

25) الوارجلاني، الدليل والبرهان، ج3، ص54.

أما إذا فضل المخالفون بالمكوث في بلادهم واقامة دولة لهم فيها ليجروا أحكامهم وفق مبادئهم فان الاباضية يتركونهم لشأنهم على شرط ان يعترفوا بالدولة الاباضية ويزعنوا لطاعتها ويصبحوا في حكم المحميين، على الدولة الاباضية والدفاع عنهم، يقول الوارجلاني: "تأخذ منهم كل ما يجب من الحقوق ونردها في فقرائهم وذوي الحاجة منهم، ولا نتركهم يظهرين منكرًا بين أيدينا (...). ومنعهم ان يحدثوا في أيامنا... إلا أن يكون أمرا لا مكروه تحته فلنا الخيار"<sup>(26)</sup>

وإذا حدث أن وقع صراع مسلح فالاباضية لا يتبعون مدبرا ولا يجهزون على جريح ولا يقتلون النساء والأطفال والشيوخ، فإذا هزم الاباضية فأموال المخالفين مردودة عليهم إلا ما كان لبيت مال المسلمين.

كان ذلك عرضا لأحوال الاباضية في مرحلة الظهور فما حالهم في الدفاع؟

#### د- حكم الدار ومعسكر السلطان.

الوطن	السلطان	حكم العسكر	موقف الاباضية من السلطان	حكم الدار
مسلم	شرعي ملتزم	إسلام وتوحيد وعدل	طاعة السلطان واجبة والخروج عليه فسوق	إسلام وتوحيد وعدل
مسلم	غير شرعي ملتزم			
مسلم	شرعي غير ملتزم	بغى وظلم	تحذير السلطان وأمره بالاعتدال أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر طاعته فيما يوافق الحق لا تجب طاعته في معصية يجوز الخروج عليه وتغيير حكمه	
مسلم	غير شرعي مشرك		إقرار الأمن والنظام الجهاد في سبيل الله إيصال الحقوق الى الناس	

(26) المصدر السابق ص54.

	طاعة السلطان غير واجبة الخروج عليه وتغييره واجب	كفر		
--	--	-----	--	--

### ثانياً: الدفاع

مرحلة الدفاع بعد الظهور أقل مرتبة ودرجة وفضلاً سميت بالدفاع لأن المسلمين يشغلهم الدفاع عن أنفسهم ودينهم ومكتسباتهم عن إقامة الدولة والظهور على الأعداء، ويكون المسلمون حينئذ قد ضعفوا وتخلفوا عن شرف الظهور، لنقص إمكانياتهم وقلة عددهم وع ذلك "يجب الا يهادنوا الظلم وان لا يستكينوا للطغيان وان لا يسمحوا للأيدي العابثة ان تهتك حرمتهم وتحول دون أمور دينهم وتتحكم في أعمالهم وعبادتهم" (27) بل ويصبح أمر الدفاع واجبا فيلجأ الاباضية الى اختيار امام يقود الجماعة لاسترجاع حقوقهم وتدعى إمامته بإمامة الدفاع.

يرى أمهدي طالب هاشم (معاصر) ان إمامة الدفاع تعقد بعد موت الامام الشاري (28) وقد اعتمد حسب قوله على رواية الدرجيني في طبقاته التي تشير الى تعيين عبدالله بن سعيد الحضرمي إماماً للدفاع بعد موت الامام الشاري عبدالله بن يحيى الكندي (طالب الحق) (29). لكن يبدو ان إمامة الدفاع لا تعقب الامام الشاري بالضرورة أما رواية الدرجيني فلم تثبت تعيين الحضرمي بعد طالب الحق، وان الذي ذكره كان في سياق الخروج على الظلمة، ومبايعة رجل "يقال له حسن بعدما وقع في أمر عبدالله بن سعيد الذي أنكروا عليه أشياء... (30) ولعله من الأرجح ان تعقد إمامة الدفاع بعد زوال الظهور وضعف الدولة الاباضية.

### أموجبات الدفاع

من موجبات الدفاع ورفع رايته ما يلي:

أ- مدهامة العدو للأمة، وسيطرته على الوضع، وقد يكون هذا العدو من خارج الدولة، استهدف الأرض والشعب وأطاح بالإمامة القائمة وقد يكون العدو من الداخل كظهور حزب منشق يقوم بثورة ضد الحكم القائم. أو من الخارج بتدخل أجنبي في شؤون الدولة وهذا هو الغالب.

ب- تفشي الفساد وإشاعة الفاحشة، وكثرة الظلم بسبب انحراف الامام عن الجادة وتخليه عن الأمانة وخيانتة لله ورسوله والمؤمنين (31).

حينئذ يجتمع المسلمون على امام ينصبونه "وتجري عليه الأحكام التي تقع في حالة إماما للظهور- وتجب عليهم طاعته" (32) فيعلنون الدفاع عن الدين والامة مبتدئين أو لا بتحذير الظالم وارشاده ونصحه واقناعه بالرجوع الى سواء السبيل فإذا امتنع وتعنت استكباراً عن الخضوع لأمر الله حينئذ تشمر الجماعة الثورة على الظلم والبغي والجور والكفر والاستعمار....

يسمى قائد الثورة امام الدفاع له على الامة الثائرة حق الطاعة والامتثال ما دامت الثورة قائمة، فإذا هدأت واستقرت الأوضاع أصبح واحداً من أفراد الامة "تزول إمامته بزوال الثورة، فتجدد له أو لغيره لحادث، وقيل يجوز نصبه على استمرار وإبقاءه اذا نصب بلا قيد استمرار ولا نفي استمرار فلا يزول بزوال الحرب" (33) فالعبرة بشروط التنصيب.

(27) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة 1 ص 93.

(28) مهدي طالب هاشم، نشأة الحركة الاباضية في المشرق العربي، ص 295.

(29) إمام من اليمن استولى على صنعاء، ومكة، بعث له الخليفة عبد الملك بن محمد وقتله سنة 130 هـ.

(30) طبقات الدرجيني، ج2، ص 251.

(31) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة 1 ص 93.

(32) حاشية الوضع لأبي ستة، باب مسالك الدين، انظر أيضاً: محمد بن يوسف اطفيش، شرح النيل ج14، ص 276.

(33) اطفيش شرح عقيدة التوحيد، ص 114، أنظر أيضاً: مهدي طالب هاشم، نشأة الحركة الاباضية في المشرق العربي، ص 296.



## ب- نتائج الدفاع

والثورة لا تهدأ الا بأحد أمرين: الانتصار أو الفشل.  
أولاً: تنتصر الأمة الثائرة وترجع الأمور الى نصابها وتستقيم الأوضاع وفي هذه الحالة  
تحتل نتيجتين:

1- تستجيب الدولة الباغية الى الرشد الى أهل الحق وفي كلا الحالتين لا يكون لزعم  
الثورة حق في الامامة كما رأينا.

ثانياً: تفشل الثورة ولا تحقق أهدافها وتحتل نتيجتين كذلك.

1- يستشهد الثوار عن بكرة أبيهم، بعد أن أدوا واجبهم وهذا مطلب عظيم أجره ونتيجة  
مرغوب فيها.

2- تبقى أقلية من الثوار لا حول لهم ولا قوة، فيختارون بين أمرين: أما الاستراحة وطريق  
السلم فيدخلون في مرحلة الكتمان، واما تجديد العزم والدخول في مرحلة الشراء.

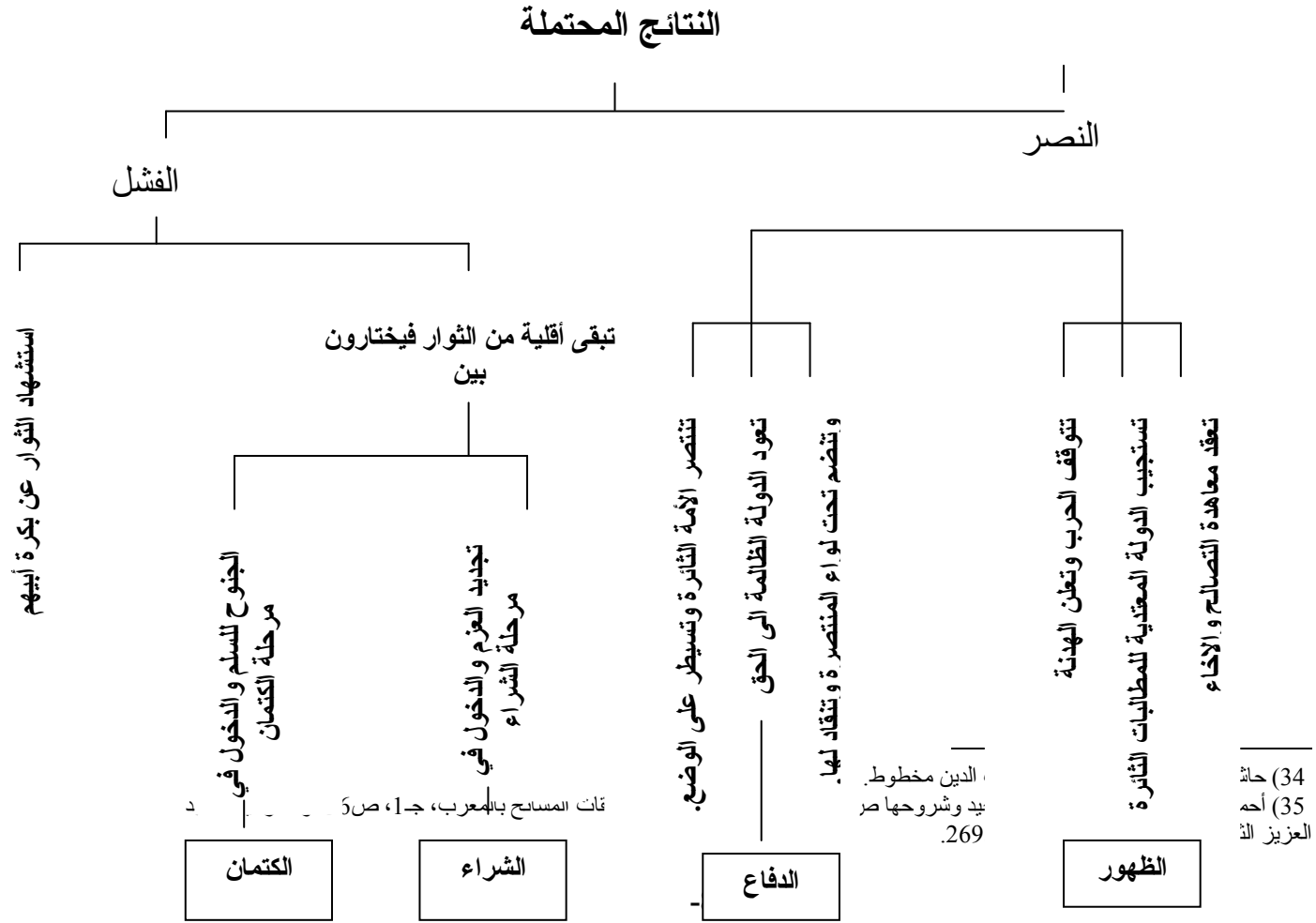
وللدفاع أمثلة في التاريخ كأيام عبدالله بن وهب الراسبي (بايعوه إذ غشيهم العدو فاستشهد

بالنهران ومن معه من المسلمين إلا يسيراً)<sup>(34)</sup>. وأبو حاتم ابن حبيب يعقوب الملوذي (منذ

بويغ ما استكان للشيطان ولا طلب الراحة للبقاء بل جرد سيفه وأقام دين الله طاعة فقاتل جنود

الظلم)<sup>(35)</sup>.

## مرحلة الدفاع



### ثالثاً: الشراء

يأتي الشراء كمرحلة ثالثة من مسالك الدين تتفق هذه المرحلة مع الدفاع من حيث الأهداف المتعلقة بالإطاحة بالسلطان الجائر وتصحيح الأوضاع السياسية والاجتماعية وكذا المطالبة بتنفيذ أحكام الشريعة لكن تختلف وإياها في أسلوب التغيير وطريقة تنفيذ العمليات، حيث يعتمد الشراء في تحركاتهم على الحيلة والمباغثة والعنف من أجل تغيير المنكر وتصحيح الأوضاع في أوساط الدولة الفاسدة.

يقول الشيخ علي يحيى معمر (1915-1979م): (ان هذا التنظيم يشبه ان يكون شعبا على دولة ظالمة، مسلمة أو مسألة راضية بالذل حتى لا تطمئن الى تنفيذ خططها الجائرة وقد لا تكون لها نتائج غير هذا القلق يخيم على الظالمين)<sup>(36)</sup> والذين يتولون هذه المهمة يسمون "الشراة" لأنهم باعوا أنفسهم بالجنة "أو لشراء أنفسهم من النار، أو لشراء الجنة بأنفسهم، فإن الشراء يطلق أيضا للبيع<sup>(37)</sup>.

قال تعالى:

[ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله] (38)

وقال في آية أخرى:

[إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة] (39)

أما هي شروط مرحلة الشراء؟

يشترط الاباضية عند خروج الشراة معلنين الثورة ضد الحكم أن يكون عددهم من أربعين فما فوق "تأسيا بالنبي صلى الله عليه وسلم أول أمره (...). فلما اكتمل عدد من آمن به أربعون نزل عليه قوله تعالى:

[فاصدع بما توأمر وأعرض عن المشركين] (40)

فأمر بإظهار دعوته والجهار بها"<sup>(41)</sup> وان لا يعودوا الى أهلهم الا ان يموتوا أو يصبح عددهم ثلاثة أو اقل. يقول القطب (أطفيش محمد): "وإمام الشراء اذا نزل عن ثلاثة فليس عليه وقيل عليه شيء وقيل يجاهد حتى يظهر أمر الله أو يموت"<sup>(42)</sup>.

هذا بعض ما يشترطه الاباضية فيمن يهب نفسه عن طواعية للجهاد ابتغاء مرضاة الله. لكن هناك تساؤل يفرض نفسه في الموضوع، كيف يعود الثلاثة الى أهلهم وقد عاهدوا الله بالخروج للموت؟ يقول الشيخ عبد الرحمن بكلي (معاصر) ذلك عندي اجتهادا منهم- رحمهم الله- ولولا ان

(36) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ، الحلقة 1، ص 94.

(37) أطفيش شرح عقيدة التوحيد، ص 114.

(38) البقرة، الآية 207.

(39) التوبة الآية 111.

(40) الحجر الآية 94.

(41) بكلي عبد الرحمن، فتاوي البكري، ج2، ص 339.

(42) أطفيش ترتيب لفظ الشيخ موسى بن عامر، ص 16.

أكون قد تجرأت على مقام أئمتنا (...) لقلت: لا يسوغ لمن بلع نفسه الله أن يعود الى أهله ولو بقي وحيدا بل يظل موفيا لصفقته أو يستشهد<sup>(43)</sup>. ولعل في الأمر مقصدا آخر مفاده ان البقية الباقية يؤثرون على أنفسهم ليحرموا من الشهادة في سبيل إعادة الكرة من جديد ويشكلوا نواة لجماعة أخرى تعلن الثورة على الفساد وبهذا يستمر البقاء الاباضي...  
أما الشروط أثناء الخروج فقاسية تأخذ طابعا عقائديا<sup>(44)</sup> "لا يقبلها الا الفدائيون الذين وهبوا حياتهم لحياة الامة الاسلامية"<sup>(45)</sup> ويمكن حصر هذه الشروط والتعاليم فيما يلي:

- 1- لا يعود الشراة الى ديارهم بعد الخروج الا في حالات استثنائية يمكن للواحد ان يدخل منزله اضطرارا من اجل استمرارية الثورة للترود أو لجمع الذخيرة والاستخبار.
- 2- يعتبر العائد الى منزله- لمهمة- غريبا عنه وفي حكم المسافر فيقصر في صلاته وعندما يكون في سف الجبال وفي بطون الأودية (...) يعتبر في منزله وبين أهله...<sup>(46)</sup>
- 3- أن لا يستقروا في مكان واحد ولا يركنوا الى الراحة لن مهمتهم تقتضي التنقل الدائم واليقظة المستمرة استعدادا لمباغثة العدو في كل لحظة.
- 4- ان لا يعترضوا سبيل المسالمين ولا يروعوا الأمنين وان لا يمساوا الشيوخ والنساء والأطفال بسوء وكل ضعيف.
- 5- ان لا يهلكوا الحرث والزرع والغلال وان لا يهدموا الأسوار والمباني... الا لضرورة تقتضيها المصلحة.
- 6- ان لا يتخلوا عن رسائلهم حتى ينتهي بهم الأمر الى النجاح أو القتل والقتل أقرب الأمرين لهم<sup>(47)</sup>

#### ب- أهداف الشراة

الغاية القصوى التي خرج من أجلها الشراة تتمثل في إعلان الثورة ضد الظلم والفساد، وتغيير نظام الحكم ان لم يحكم الرعية بمقتضى الشرع، أو كان الحاكم من غير الملة أصلا دخل البلاد مستعمرا. حينئذ ينشد الشراة أهدافا مرحلية تكون مطية لبلوغ الهدف الأسمى، وتتلخص الأهداف فيما يلي:

- 1- قطع المواصلات على السلطة الظالمة.
  - 2- هدم قلاع الطغاة وحصونهم...
  - 3- الاستيلاء على مخازن الذخيرة والعتاد.
  - 4- إثارة الشغب في أوساط أجهزة الدولة المستعمرة.
  - 5- "ضرب مضاجع ومعازل السلطة الجائز وزعزعة هيبتها حتى تشعر الامة الاسلامية ان هناك قوة روحية... إلهية أقوى واشد من القوة المادية الحاكمة التي وصلت الى الحكم عن طريق الوسائل اللاأخلاقية لأجل حب الرئاسة ومفاتها"<sup>(48)</sup>.
- يقوم الشيخ علي يحيى معمر مرحلة الشراة بقوله: "انه تنظيم رائد للفدائية في الاسلام عندما يتحكم الظلم وتعطل أحكام الله بأحكام السلطان"<sup>(49)</sup> وقد سجل التاريخ صفحات خالدة لثورات

(43) بكلي عبد الرحمن، فتاوي البكري، ج2، ص340.

(44) مهدي طال هاشم، الحركة الاباضية في المشرق، ص297.

(45) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(46) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(47) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ الحلقة1، ص95.

(48) بكير أعوش، دراسات إسلامية في الأصول الاباضية، ص112.

(49) علي يحيى معمر، الاباضية في موكب التاريخ الحلقة1، ص95.

رائعة في مرحلة الشراء نذكر منها: " ثورة أبو بلال مرداس الثميني، وأخيه عروة- أول من قال لا حكم الا الله- وقريب بن مرة الأودي وزحاف الطائي..."<sup>(50)</sup> قال أبو القاسم سعيد العماني: "بلغنا ان هؤلاء كانوا يخرجون بأمر أمامهم جابر بن زيد العماني ويحبون سيرة الحرب لئلا تموت دعوتهم"<sup>(51)</sup>.

هذه سيرة الشراة وبعض أعمالهم في حالة الحرب وطغيان الجور، وفيما يلي مهام الشراة في حالة السلم وتحت الدولة العادلة.

حيث يقوم نظام الحكم على أصوله ويجتهد الامام في تطبيق الأحكام الشرعية، فإن الشراة الذين عاهدوا الله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذهم في ذلك لومة لائم ولا خوف من الموت، فأنهم لا يجنحون الى الراحة والقعود عن أداء واجبهم حتى في حالة السلم والرخاء حيث تشغلهم عناية الدولة ومراقبة السلطة في تسيير شؤونها، ومتابعة الأئمة وأعاونهم في تنفيذهم لأوامر الله واقامة حدوده...ولا يخفى ما لهذه المهمة من آثار إيجابية في سياسة الأمة كما يسمح مركزهم هذا بالتوسط بين الرعية وساستها وحل الكثير من المعضلات بفضل إخلاصهم يقول الشيخ سليمان الباروني<sup>(52)</sup> في شأن الشراة: "انهم يمتحنون دائما الأئمة والعمال"<sup>(53)</sup> فيراقبونهم في أعمالهم واخلاقهم ومعاملاتهم ولا يخفى الشراة نتائج تحرياتهم بل يعلنون عن كل شيء وجدوه فيطلعون الرعية بذلك ان كان خيرا يحمدون ويثنون وان كان غير ذلك يذمون وينتقدون ويطالبون بالإصلاح "وعلى ذلك يكون مدار أقوال الناس فيهم"<sup>(54)</sup> وبفضل هذا النظام الرقابي ينضبط الأئمة ويحرص الحكام على السير السوي ويجعلون نصب أعينهم "علم الجميع بإخلاصهم العمل لله في إصلاح الامة وإقامة الدين"<sup>(55)</sup>.

والواقع ان نظام الشراء عند الاباضية، يشبه الى حد كبير حركة ثورية مبدؤها مقاومة الظلم أما بالدعوة السلمية أو بالقوة ان اقتضى الأمر ذلك<sup>(56)</sup>، وتتميز هذه الحركة بالتخطيط المسبق لها وتنظيماتها الدقيقة التي تشبه تنظيمات الأحزاب السرية المعاصرة<sup>(57)</sup> من ثم كانت حركة الدعوة الاباضية تحاول دائما "التغيير والتبديل نحو الأفضل (...). ضمن مفاهيم ومبادئ وأهداف داخل إطار الاسلام وقيم العروبة"<sup>(58)</sup>

#### رابعاً: الكتمان

المرحلة الرابعة من مسالك الدين هي الكتمان، وهي أدنى درجات الجهاد في سبيل الله، وفيها تقتر القوة، وتضعف النفوس، فيعجز المسلمون عن رد المظالم وإنكار المنكر-الا بالقلب- فترضى الامة بالواقع وتستسلم الحكم الجبابة ولا تجد سبيلا للثورة ضد الحكم، فيضطر ذوو الغيرة على الدين حينئذ لكتمان أمرهم وانعزالهم بعيدا عن المجتمع الفاسد ويوجهون نشاطهم لأموهم الداخلية ويكونون بذلك قد دخلوا مرحلة الكتمان وهو تنظيم خاص للمجتمع الاباضي الذي عجز عن إقامة الدولة لعدم توفر الشروط الكافية للظهور<sup>(59)</sup>.

(50) الشماخي مقدمة التوحيد، ص54.

(51) محمد أبو ستة، حاشية الوضع، باب مسالك الدين مخطوط.

(52) توفي يوم 1 ماي 1940م، راجع تاريخ حياته في كتاب: سليمان الباروني باشا، تأليف إبراهيم أبو اليقظان، مط العربية الجزائر 1956م.

(53) سليمان الباروني، الأزهار الرياضية، ص210.

(54) المصدر السابق، ص210.

(55) المصدر السابق.

(56) علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية، ص298.

(57) فاروق عمر، التاريخ الاسلامي وقمر القرن العشرين، دراسات نقدية في تفسير التاريخ، ط2، دار اقرأ، بيروت 1985م، ص40.

(58) المصدر السابق ص40.

(59) راجع شروط إقامة الدولة، الفصل الأول من الباب الثالث.

وتمتاز مرحلة الكتمان بتنظيم جيد يقوم على مبادئ وتعاليم دقيقة تدل على قدرة الاباضية على التنظيم المتمس بالعقلانية والواقعية والاعتدال في التفكير وإصدار الأحكام ووضع المبادئ كما تدل مرحلة الكتمان على "النضج السياسي لدى الاباضية فالكتمان لا يعني السكوت وعدم الحركة وإنما هو مرحلة أعداد لاستلام السلطة"<sup>(60)</sup>.

إلا أن الواقع يشير إلى أن الاباضية في الكتمان المعاصر لا يفكرون في العودة إلى الظهور لأن الظروف الحالية مختلفة عما كانت عليه في القرون الأولى للهجرة لأن وجود سلطة إسلامية قائمة بشؤون الدولة تغني الاباضية عن الخوض في المجال السياسي، ولذلك "لم يتم من الاباضية قائم يدعو لنفسه أو يعمل لغيره أو يساعد أحدا للوصول إلى الحكم منذ أواخر القرن الثالث للهجرة إلى اليوم"<sup>(61)</sup>.

وفي مرحلة الكتمان يركز الاباضية نشاطهم على جانبين، الأول: التنظيم الداخلي للمجتمع في المجال الديني والاجتماعي والترابي والاقتصادي والثاني: العلاقات الخارجية للمجتمع الاباضي بغيره من الطوائف والمذاهب.

#### أ-التنظيم الاجتماعي في مرحلة الكتمان:

ما من نشاط داخلي للمجتمع الاباضي في مرحلة الكتمان الا يقوم أساسا على مبدأ (المحافظة على الدين) حتى أصبح هذا المبدأ عنوان المرحلة وهدفها فقالوا "من ضيع دينه فليس جاريا على حكم الكتمان"<sup>(62)</sup>. ومع المحافظة على الدين يجب المحافظة على المجتمع شكلا ومضمونا شكلا من حيث المؤسسات من الأسرة ومجلس العائلة والعشيرة إلى المسجد والبلدة ومجلس أعيان المساجد... ومضمونا من حيث القيم والعادات والتقاليد والتراث الأصيل بمختلف أنواعه وفنونه، مع الاهتمام بالجانب الثقافي لما له من فعالية في استنهاض الهمم وشحذ العزائم وذلك يحسن تربية النشء والعناية بتعليمه وتلقيه أصول دينه ومن ناحية أخرى اهتمام المثقفين بدراسة أصول المذهب ونشرها لضمان استمرار البقاء الفكري. وهو ما دأب عليه الاباضية "فقد حاولوا في السنين الأخيرة أن يستنهضوا هممتهم ونشاطهم وأن يستعيدوا الشعور بكيانهم فغمدوا إلى طبع عدد من كتبهم الرئيسية في علم الكلام"<sup>(63)</sup> والفقه والتاريخ وكل ذلك لا يتحقق إلا بإنشاء جمعيات ومؤسسات خيرية تتكفل "بإرشاد الناس إلى الخير العام وتهذيب نفوسهم وتسعى إلى غرس فضائل الإسلام وقيمته الخلقية وتربية النشء تربية دينية إسلامية سليمة ونشر الوعي الديني بين طبقات الشعب"<sup>(64)</sup>.

والمؤسسات الدينية عديدة تختلف باختلاف المهام المنوطة بها كالمسجد والعشيرة والمدارس والمعاهد والنوادي ودور اليتامى يقوم برعاية هذه المؤسسات وتوجيهها هيئة عامة متمثلة في حلقة العزاب وهو نظام محكم يقوم مقام السلطة في مرحلة الكتمان يقول أبو عمار عبد الكافي (ق 6هـ/12م): "ومنزلة الحلقة أي نظام العزابة التي أثبتتها المشائخ حين عدم أهل المذهب السلطان العادل وتبوؤها ونزولها منزلة السلطان العادل في العدل سواء"<sup>(65)</sup> وتشير المصادر الاباضية إلى أنه كان للعزابة في دور الكتمان مهام سياسية فضلا عن المهام الدينية والاجتماعية فكان على المجلس توليه الأمر والعزلهم يقول الشيخ أبو سليمان التلاتي (توفي 462هـ) "نحن جماعة العزابة ليس بأيدينا ولا إلينا تولية الأمر ولا عزلهم في

(60) مهدي طالب هاشم، نشأة الحركة الاباضية في المشرق العربي، ص 292.

(61) علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الإسلامية

(62) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص 114.

(63) أنجاس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف مرسى عبد العزيز عبد الحق، علي عبد القادر، ص 174.

(64) بكير أعوش، دراسات إسلامية في الأصول الاباضية، ص 113.

(65) أبو عمار الكافي، نظام العزابة، رسالة مخطوطة، ص 5 أنظر أيضا فرحات الجعيري، نظام العزابة... ص 25.

هذا الزمان"<sup>(66)</sup> ويعلق الشيخ على يحيى معمر على هذا بقوله: "يدل هذا على ان تولية الأمراء وعزلهم كان من عمل العزابة لكنه نزع من أيديهم في هذا العصر"<sup>(67)</sup> غير أنني استبعد ان يكون لهيئة العزابة دور في المجال السياسي علما ان العزابة كنظام ديني واجتماعي لا يظهر الا في مرحلة الكتمان حيث لا تكون السلطة السياسية في يد الاباضية والواقع يفرض عليهم ذلك ومن ثم يتعذر عليهم التدخل في شؤون السياسة فضلا عن تولية أو عزل الأمير يومي أبو عمار عبد الكافي الى ذلك حين يعتبر الحلقة في منزلة السلطان وليست هي السلطة"<sup>(68)</sup>.

#### ب- علاقة الاباضية بمخالفهم في مرحلة الكتمان:

أما هذه العلاقة فإنها غير ثابتة- في الواقع- حيث نجدها تتسم بالتقارب والتأزر حيناً وبالتباعد والتنافر حيناً آخر وفي الحالة الثانية تركز الجماعة الاباضية الانزواء حول نفسها رافضة كل ما يأتي من الخارج.

ويبدو ان هذا التارجح بين الحالتين ناتج أساسا عن التغيير الحاصل في الظروف الزمانية والمكانية وبما ان الاباضية يضطرون للدخول في مرحلة الكتمان هروبا بدينهم بسبب الفساد وتسلط الحكم الجائر فهذا مما يدعو بالضرورة الى الانعزال مع إبقاء العلاقات الأخوية بالمخالفين على الدوام دون إثارة الفتنة ما لم تمس الجماعة في سياسة الحياد الإيجابي وأول ما ينبغي في ذلك الالتجاء الى مواقع منعزلة "بعيدة عن مواطن الاتصال بين الأمم فيقطنون بقعا تكاد نسيلا منسيا"<sup>(69)</sup>.

ومن مظاهر الانغلاق في مرحلة الكتمان الابتعاد عن مجالس المخالفين وعدم دراسة مؤلفاتهم مخافة التأثير بهم والذوبان في مجتمعهم يقول الشيخ أبو الربيع سليمان بن خلف النبطي (أواخر ق 5هـ) يوصي اتباع الاباضية: "احذروا من ذلك سواكم...."<sup>(70)</sup> ويؤكد هذا نقمة المشائخ على أبي يعقوب يوسف ابن خلفون (أواخر ق 6هـ) شغفه بمطالعة كتب الأشراف<sup>(71)</sup> وغيره من تصانيف المخالفين<sup>(72)</sup>.

ربما كان الاباضية مبالغين في موقفهم عند الكتمان خوفا من الوقوع في مزلق الإثم الا أنه حدث مثل هذا في فترة من التاريخ فإنه- لا محالة- وقع تحت تأثير قوي من العصبية والطائفية، في عصر بلغ فيه الصراع المذهبي أوجه على ان هذا الانعزال لا يخلو من محاسن، أهمها تفرغ العلماء للدراسة والتأليف والتدوين وكان يتم ذلك في المغاور وبطون الأودية طلبا للعلم سرا، وبذلك لم تنقطع الحركة العلمية في مرحلة الكتمان.

يقول أبو محمد الشيخ بالحاج "انه رغم تلك الوضعية القاسية المؤلمة فان الحركة العلمية أو الفقهية لم ينلها من ذلك الا التستر والاختفاء مع العمل الدؤوب دون انقطاع أو جمود أو إغلاق لباب الاجتهاد عند الاباضية<sup>(73)</sup> علما "ان هذا التستر والاختفاء فرض عليهم بالظلم والبطش ولم يرضوه لانفسهم اختيارا"<sup>(74)</sup>

وحيث ان موقف الاباضية من المخالفين يتغير بتغير الظروف في مرحلة الكتمان، فان العلاقة بين الاباضية وغيرهم قد تطورت نحو الأحسن، بعد صفاء الجو من غيوم التطاحن

66) أورد الشماهي هذا الخبر في السير، ص 583.

67) في رسالة بعثها

68) أبو عمار عبد الكافي، رسالته في نظم العزابة مخطوطة، ص 5.

69) أجناس جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص 147.

70) صالح باجبية، الاباضية بالجريد، ص 48 نقلا عن الدرجيني الطبقات ج 2.

71) أنظر: الفقه على المذاهب الأربعة، لأبي بكر النيسابوري الشافعي، المتوفى سنة 318هـ.

72) الدرجيني طبقات المشائخ بالمغرب، ج 2، ص 496.

73) محمد الشيخ بالحاج، الاجتهاد عند الاباضية، ص 27.

74) محمد الشيخ بالحاج، في مقابلة معه في القرارة.

والصراع، فحل الوفاق محل الخلاف مع الاحترام المتبادل للأراء والأفكار. يقول الشيخ علي يحيى معمر يدعو الى مزيد من التقارب والتفاهم والاتحاد ضد أعداء الاسلام: "عندما تكون الدولة القائمة جائزة يجب على المسلمين ان يستمعوا لها ويطيعوا في غير معصية الله وعليهم ان يحاربوا معا أعداء الاسلام وان يدفعوا لها ما تتطلبه ظروف الحرب من أموال ودماء وان يساعدها في حفظ الأمن والقيام بالمشاريع العامة"<sup>(75)</sup>.

### ج- نظام العزابة:

العزابة جمع لكلمة عزاب وهو الاسم الذي يحمله العضو في حلقة العزابة والحلقة<sup>(76)</sup> نظام ديني اجتماعي تربوي تطور عبر مراحل التواجد الاباضي بين وادي أريغ ووادي مزاب ليصبح مجلسا للعزابة "وهو أعلى سلطة في المكان الذي يوجد فيه، ويمثل سلطة الامام (...). ويقوم مقامه في جميع مهامه باستثناء إقامة الحدود التي يعطلها الاباضية في طور الكتمان..."<sup>(77)</sup> ويرجع تاريخ تأسيس نظام العزابة الى أوائل القرن الخامس الهجري على يد الشيخ أبي عبدالله محمد بن بكر<sup>(78)</sup> حين استقر مع تلاميذه في مدينة "تينسلي"<sup>(79)</sup> وفي غار "التسعي"<sup>(80)</sup> شرع الشيخ أبي عبدالله في وضع نظام الحلقة سنة 409هـ<sup>(81)</sup> ولما استكمل التنظيم وأرسى قواعده وأدابه وشروطه انتقل الشيخ بتلاميذه الى منطقة "وادي ميزاب" وبذلك دخل نظام العزابة الى المنطقة وهو لا يزال بها ساريا مفعوله الى اليوم والعزاب رجل اعتزل العوائق الدنيوية وعزب عن الملذات (ولازم الطريق وطلب العلم، وسير أهل الخير وحافظ عليها، وعمل بها فإن حمل جميع هذه الصفات سمي عزابيا...)<sup>(82)</sup>.

### تشكيل حلقة العزابة وصلاحيتها:

تتألف الحلقة غالبا من اثني عشر عضوا لكل مهامه الخاصة، وقد يرتفع عدد الأعضاء الى اكثر من ذلك حسبما تتطلبه الحاجة الدينية والاجتماعية، أما شروط العضوية فكثيرة أهمها ان يكون المرشح اباضيا متقانيا في خدمة مذهبه واتباعه وان يكون حافظا للقرآن الكريم، زاهدا في الدنيا وملذاتها "وإذا تحدد الشخص جعل له رقيب ليراقب سلوكه وتصرفاته"<sup>(83)</sup>. أما شيخ العزابة فيشترط فيه ان يكون ذكيا لبقا ورعا لطيفا مع أصحابه يبقى في منصبه مدى الحياة<sup>(84)</sup> وهو الموجه الأول لاباضية بلده.

### مهام الأعضاء<sup>(85)</sup>:

- 1- شيخ العزابة: يتولى الوعظ والإرشاد وتبليغ إعلانات العزابة الى العامة، وإليه يرجع الأمر في الحل والعقد وسير شؤون الحلقة وقد ينوبه نائب له.
- 2- المؤذن: يتولى أمر الأذان وضبط وقت الصلاة.

(75) علي يحيى معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية، ص29.

(76) كانت الحلقة تشتمل على الشيخ وجماعة التلاميذ يعلمهم العلم ويلقنهم السير فكانهم ملحقون ولو أنهم مفترقون الدرجيني، الطبقات، ج1، ص4.

(77) عوض محمد خليفات، التنظيمات السياسية والإدارية... ص13.

(78) راجع ترجمته في طبقات الدرجيني، ج2، ص377، وفي سير الشامخي ص384.

(79) أوتتسلي بالقرب من توفرت (وادي أريغ) تعرف الآن باسم بلدة أعر.

(80) أو تسعماي نسبة الى سنة 409، أنظر طبقات الدرجيني، ج1، ص170.

(81) الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، ص170.

(82) المصدر السابق، ص4.

(83) عوض محمد خليفات، التنظيمات السياسية والإدارية... ص15.

(84) المصدر السابق، ص14.

(85) عمر سليمان بو عصابة وعبدالله خرفي، نشأة وعمران ميزاب ومؤسساته الدينية والاجتماعية، جناح التاريخ بالأسبوع الثقافي الثالث لجمعية قدماء

التلاميذ، القرارة 1979م، (مطبوعة بخط اليد على الستاسيل) ص: 6-7.

3- الإمام: يتولى إمامة الناس في الصلاة، وهو الذي يعلن حكم البراءة على المحكوم عليه بذلك من طرف مجلس العزابة، وقد يقوم الامام بإعلان العفو باسم أعضاء الحلقة ان لم يكن الشيخ حاضرا.

4- وكيلان لأوقات المسجد: لهما مسؤولية السهر على أموال المسجد.

5- ثلاثة معلمين للصبيان: يتولون مهمة تعليمهم القراءة والكتابة والإشراف على سير محاسنهم والمحافظة على نظام المسجد.

6- خمسة أعضاء مساعدون: تسند إليهم مهمات اجتماعية مختلفة.

والى جانب المهام المذكورة يتولى مجلس العزابة رعاية المصالح الاجتماعية للمجتمع<sup>(86)</sup> فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. ويسهر على حل المشاكل والخصومات بين الناس ويحارب الآفات الاجتماعية كما يقوم بالإشراف على الكثير من المسائل التي تمس حياة المواطنين الدينية والاجتماعية والثقافية.

#### د- نظام العشيرة

العشيرة مجموعة أسرة بينها قرابة الرحم ويلتقي نسبها في جد واحد، إلا أن رباط الأخوة الإسلامية وروح التعاون والتآزر والحب في الله يجعل من هذه العائلات أسرة واحدة متحدة تربطها بغيرها من العشائر روابط التعارف والتكامل الاجتماعي والتعاون لما فيه الصالح العام والتناصح في الله بحيث تذوب في هذه القيم الراسخة علاقة الدم والعصبية القبلية الجاهلية، وللعشيرة في وادي ميزاب نظام محكم يقوم أصلا على مبادئ الشريعة والتعاليم الإسلامية السامية، يكفل للمجتمع الاباضي العيش في أمن وسلام ورخاء. وبفضل التكافل الاجتماعي الذي يفرضه نظام العشيرة تغيب في الاباضية مظاهر الفقر والتسول والتشرد، وتخف حدة الطبقية، وتتساوى الفئات الاجتماعية من حيث المظهر، كما يفرض العرف العام تحديد وتوحيد أنماط السلوك الاجتماعي في الحياة اليومية والمناسبات في التقاليد والعادات، فتختفي بسبب ذلك - مثلا - ظاهرة المغالاة في مقدار ونوعية الصداق، وبذلك يتيسر لأبسط الناس بناء أسرة إسلامية بأقل التكاليف ويعود الفضل في كل ذلك إلى دور الساجد بالدرجة الأولى ثم العشيرة التي تتمتع بصلاحيات واسعة تخولها الاشراف عن كئيب على الحياة الدينية والاجتماعية والتربوية لأبنائها. يشرف على نشاط العشيرة مجلس أدارى ينتخب من مجموع أبناء العشيرة، وهذا المجلس يختار من بين أعضائه رئيساً للعشيرة ويكون أفضلهم علماً وورعاً وصلاً وهو ممثل العشيرة في حلقة العزابة.

أما صلاحيات العشيرة فمتعددة الاتساع ومجالات اشرافها، حتى انه يتعذر حصرها، لكن يمكن تقسيمها إلى قسمين هما :

#### أولا : التكافل الإلزامي ويتناول الأصناف التالية (87) :

- تحمل دية قتل الخطأ فيما فوق الثلث.
- تقدير النفقة للفقير المحتاج، أما لمرض أو عجز أو نزول مصيبة عليه أو إتلاف ماله، أو الشيخوخة والكبر وغير ذلك.
- تعيين وكيل اليتيم، وتصفية تركة المتوفى.
- تقدر للمتزوجة من العشيرة نفقة لها ولأولادها بالعدل والمعروف في حالة تهاون الزوج عن ذلك، وكذا في حالة الطلاق.

(86) أنظر محمد بلغراد عن الوركي في الإعلام حول دور العزابة، الأصالة عدد 41، صفحة 44.

(87) أبو اليقظان إبراهيم، نظام العشيرة في وادي ميزاب، (مخ) ص 13.



- تعين وكيلاً للمبذر لماله والمسيء التصرف فيه سفها حتى لا يضيع مستقبل أولاده، وكذا بالنسبة للمجنون.
- تعيين وكيلاً للأسرة التي غاب عنها وليها ولم يترك نفقة. وتقدر لها نفقة حتى لا تضيع الأسرة، وتتعرض للفقر.

### ثانياً : التكافل الاجتماعي :

- وهو إن لم يكن لازماً فهو ضروري لتتكامل حياة المجتمع، ومن أهم مجالاته ما يلي (88)
- تعاون العشائر بالمساعدات المادية والمعنوية وعن طريق الحملات التطوعية لصالح البلدة والمجتمع منها على سبيل المثال :
- التعاون على بناء المشاريع الخيرية العامة مثل المدارس والمساجد ودور العشائر والنوادي، والسدود .
- التعاون على حفظ الأمن في البلد وذلك ببناء الأسوار حول المدينة، وتنظيم الحراسة العامة ليلاً ونهاراً.
- التعاون على إقامة الأعراس لأبناء العشيرة والاحتفال بهم .
- التعاون على تربية النشء وتربيتهم وتوجيههم.
- هذا هي العشيرة التي تقوم على مبادئ إسلامية يعتمد عليها اباضية الجزائر لتنظيم شؤونهم الاجتماعية والتربوية وهي تقوم مقام الدولة في أداء الخدمات الاجتماعية في حالة الظهور، يقول الشيخ أبو اليقظان : " لو أن بلاد الإسلام حافظت على نظام العشيرة فيها كما حافظت عليه بلاد مزاب لكان أولئك السواد الأعظم من الفقراء واليتامى والمساكين والأرامل (... ) والسفهاء والمجانين وأمثالهم مكفولين غير مضطرين إلى ملاجئ تأويهم أو إلى الطرق للتسول.... " (89) والواقع أنه مهما سعت الحكومة في القيام بشؤون المواطنين الداخلية - وما أكثرها وأقدها - فأنها لا تستطيع تحقيق مساعيها في غياب هذه المؤسسات الخيرية التي تعمل جاهدة للمصالح العام وتقدم خدمات كبرى للدولة بدون مساس بسيادتها وهيبتها.
- هذه نظرة خاطفة على النشاط الاباضي في مرحلة الكتمان وما يتعلق بها من تنظيمات تأخذ طابعاً اجتماعياً ودينياً. وتتبع ما أمكن عن الخوض في المجال السياسي. لأن الهدف الأول من الكتمان هو التركيز على الحياة الداخلية للمجتمع، بالمحافظة على الدين والسعي في تطبيقه، وبتنظيم الحياة الاجتماعية.
- ويمكن أن نلاحظ ما دنا في آخر مراحل مسالك الدين ان الكتمان ينقسم إلى نوعين: الأول : مرحلة الاختفاء والتستر المتطرف والانعزال التام وهي شبيهة بحالة القعود مثل ما كان عليه الإمام جابر بن زيد وأبو عبيدة مسلم في العراق، وأبو الربيع سليمان بن خلف النفطي (ق 5هـ) ومن عاصره في الجريد حيث كانوا يببالغون في أخف الموسم، نظراً الظروف القاسية في زمانهم .

(88) المصدر السابق، ص14.

(89) إبراهيم أبو اليقظان، نظام العشيرة في وادي ميزاب (مخ) ص12.

والنوع الثاني : هو الكتمان المعتدل أو الظاهر حيث يتمتع فيه الاباضية بحرية الرأي واطهار نشاطهم بين الأمم إلا أنهم يعجزون عن إقامة دولة مستقلة لهم ولا يرغبون في ذلك. ومثال هذا النوع حالة إباضية شمال إفريقيا بعد سقوط الدولة الرستمية .  
فنسب الحالة الأولى بالكتمان الخفي، والحالة الثانية بالكتمان لظاهر، وفي كل من الخفي والظاهر يترأس الجماعة الاباضية إمام الكتمان يدعى إمام المسلمين أو إمام القوم أو إمام التحقيق كما كان يسمى عبد الله ابن إباض في صدر نشأة المذهب (90). إلا ان هذه الإمامة لا تأخذ بعداً سياسياً، فالإمام في مرحلة الكتمان يكون بمثابة الرئيس (في حكومة) ديموقراطية اباضية تدعى جماعة المسلمين(91) تتولى هذه الحكومة أو السلطة رعاية الشؤون الداخلية والتنظيمات الاجتماعية للجماعة الاباضية. وتتشكل هذه الحكومة من مجلس متكون من خيرة المشائخ ينتخبون من بينهم رؤسا تسند إليه مهام إمامة الكتمان، من أمثلة هذا التنظيم – مجلس المشائخ في عهد الإمام جابر بن زيد وأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ثم الربيع بن حبيب ومن جاء بعدهم في المشرق. وفي المغرب نجد مجلس المشائخ في عهد يعقوب بن سهلون (ق 4 هـ) وأبي نوح سعيد بن زنگيل (ق 5 هـ) وأبي عبدالله محمد بن بكر (ق 5 هـ) وأبي الربيع سليمان بن خلف المزاتي (ق 6 هـ) ثم أخيراً مجالس العزابة التي قل نشاطها أو توقفت نهائياً لدى اباضية شمال أفريقيا (92) باستثناء قرى وادي مزاب الكائنة في جنوب الجزائر والتي لا تزال مجالس العزابة فيها تقوم بمهامها الدينية والاجتماعية وإليها يعود تنظيم النشاط الاباضي في مرحلة الكتمان.

90 انظر سير الشماخي، ص77، جواهر البرادي، ص155، السير العمانيه ص110.

91 تادوز لويكي، دائرة المعارف الاسلاميه مادة الاباضية.

92 انظر فرحات الجعبري، نظام العزابة عند الاباضية الوهبيه في جربة، مط العصريه تونس 1975م.

### خلاصة مسالك الدين

الظهور	الدفاع	الشراء	الكتمان	
إقامة الدولة العادلة	الدفاع عن الدين ومحاربة الفساد	الثورة ضد الحكم الجائر	المحافظة على الدين وإصلاح المجتمع	الهدف
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين	وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون	ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم	(أدلة مشروعية التقية)	دليل الشروعية
توفر القوة الكافية في العدد والعدة	انتشار الفساد أو ظهور عدو	تسلط حاكم جائر أو مستعمر كافر	أقلية ضعيفة في دولة مخالفة	الواجب الشرط
إمام منتخب وحكومة عادلة	إمام يعزل بانتهاء الحرب	قائد مؤقت ينتصر أو يموت	سلطة اجتماعية (نظام العزابة)	نوع السلطة
تسييس الرعية واناذا أحكام الشرع	المجابهة بالقوة بعد الصد والتحذير	الثورة عند الظلم أو المراقبة في السلم	النشاط الديني والتربوي والاجتماعي	أسلوب العمل
السلاح والعلم والمال والرجال	السلاح والرجال	ما يحتاج إليه الفدائي مع قوة الايمان	العلماء والمؤسسات الثقافية والاجتماعية	الإمكانات
النبى بعد الهجرة الخلفاء الراشدون الدولة الرستمية	عبدالله بن وهب الراسي	أبو بلال مرداس وزحاف الطائي وقريب بن مرة	اباضية الجزائر وتونس وليبيا بعد الدولة الرستمية	المثال

## الفصل الثالث إمام الظهور

### أولاً: شروط الامامة

#### ثانياً: تنصيب الامام

- أ- الترشيح
- ب- البيعة (أهمية العقد)
- ج- الصفقة
- د- حالات استثنائية عند البيعة

#### ثالثاً: موجبات عزل الإمام

- رابعاً: هل يجوز الخروج على السلطان الجائر
- خامساً: موقف الأمة من الإمام العادل
- سادساً: مسؤوليات الإمام وواجباته
- أ- المسؤوليات الأمنية
- ب- المسؤوليات الأمنية
- ج- المسؤوليات الدينية
- د- المسؤوليات الاقتصادية
- هـ- المسؤوليات الاجتماعية

بما أن التفكير السياسي لدى الإباضية "منشئوه العقيدة الدينية. وتقوم الامامة على تطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"<sup>(1)</sup> وانطلاقاً من مبدأ الأفضلية للأتقى والاصلاح دون اعتبار العرق والنسب، عملاً بروح التعاليم الاسلامية في المجال السياسي والاجتماعي القائم على مبدأ الحرية الإنسانية والمساواة فإن الإباضية اختاروا الاتجاه الديمقراطي الاسلامي كنظام سياسي واجتماعي لأنه النظام الوحيد الذي يكفل الحريات السياسية للموطن. كما يضمن صيانة حقوق الفرد ضمن حدود الشريعة، ومن أهم حريات المواطن اختيار من يتولى رعايته ومن أبسط حقوق تولي السلطة اذا تأهل لها. ونظراً لهذه المنطلقات الأساسية كان رأي الإباضية في الإمامة "هو الرأي الذي يؤيده الاتجاه الحديث ويؤيده كل مخلص لدينه ووطنه"<sup>(2)</sup>. ومن أهم

(1) Pierre Cuperly, Introduction a I, etude de I, Ibadisme ..p.289.  
(2) عبد الحليم محمود، التفكير الفلسفي في الاسلام، ص 191.

مزاياء المحافظة على مبدأ الشورى وهو عمود الديمقراطية في الحكم، ولذلك أولى الإباضية عناية كبيرة بمفهوم الشورى فكانوا "وحدهم الذين طبقوه في الحكم بعد الخليفين أبي بكر وعمر"<sup>(3)</sup>.

ونظرا لأهمية التجربة الإباضية في مجال الحكم فأنا سوف نركز الحديث حول تطبيق الشورى والديمقراطية من خلال عرضنا لجهاز الحكم المتمثل في الامام كمسؤول أول في الدولة ثم أعوانه ومساعديه كمجلس الشورى والقضاة والعمال والحسبة والجيش. وهي أطراف متكاملة لتأليف شيء واحد هو السلطة بأنواعها الثلاثة: التشريعية والتنفيذية والقضائية. ونظرا لأهمية الامام سنفرد له خاصا ثم نتطرق الى أعوانه في فصل لاحق.

#### أولا: شروط الامامة

عندما نسأل: من أحق بمنصب الامام؟ نكون قد أثرنا أهم مسألة في الفكر السياسي عند المسلمين ولعلها أول مشكلة سياسية اختلف حولها الفقهاء والعلماء فترتب عليها ظهور الأحزاب السياسية والفرق الدينية، وسبب هذا الاختلاف يعود الى تحديد الشروط المطلوب توفرها لدى المرشح لمنصب الامام أو الخليفة أو أمير المؤمنين، وبالرغم من اتفاق جميع المذاهب على الشروط الأصلية كالعلم والاجتهاد والذكاء والشجاعة والنزاهة والعدل والحرص على مصلحة المسلمين، والتقوى والورع... فإن الخلاف يبقى واردا حول بعض الشروط التي تعتبر مكملة لا أصلية. ومنها شرط الانتساب الى بني هاشم الذي تطالب به الشيعة<sup>(4)</sup>، أو فرع من آل البيت كالقرشية<sup>(5)</sup>.

أما الامامية فاشتترطت ان يكون الامام "عالما بأصول الدين وفروعه بالفعل لا بالقوة وان يكون معصوما"<sup>(6)</sup>، وكذا اشترطت الإسماعيلية وزاد بعضهم اشتراط "ظهور المعجزة على يده"<sup>(7)</sup> ويرد الشيخ محمد اطفيش على هذه الآراء بأن "خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ليسوا من بني هاشم ولا عالمين بالفروع والأصول كلها بالفعل بل لهم اجتهاد ومعونة من الصحابة كعلي"<sup>(8)</sup> (رضي)، بل حتى علي ولم يكن من بين هؤلاء الأربعة معصوم، أما ظهور المعجزات فهي مسألة تخص الأنبياء وهدم.

ومن الشروط كذلك الأولوية للأفضل والأعلم، وجواز الخروج عن الامام اذا جار أو عدم جوازه وطاعته أو لا اذا لم يعدل..."<sup>(9)</sup> كما تسبب في الخلاف مسألة ترشيح الامام وطريقة اختياره ثم تنصيبه وبيعته، وصلاحياته ومهامه.

إذن فما موقف الإباضية من كل ذلك؟ وما هي الشروط الواجب توافرها عند المرشح للإمامة؟

في الواقع يتعذر تحديد هذه الشروط بشكل دقيق وثابت نظرا لتعدد الآراء حولها وعدم وجود اتفاق شامل يجمع بين قداماء الإباضية ومعاصريهم ولكن يبقى المبدأ الأساسي المتمثل في المنهج الديمقراطي وأحقية كل مسلم لمنصب الامامة دون اعتبار اللون والجنس، يبقى هو المبدأ الذي يؤمن به كان مفكر اباضي ويمكن الملاحظة كذلك ان الشروط الى جانب كثرتها تتصف حيناً بالصرامة والمبالغة عند بعض الإباضية وتتصف حيناً آخر بالبساطة والسهولة عند الآخرين.

(3) عوض محمد خليفات الأصول التاريخية لنشأة الفرقة الإباضية ص54.

(4) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص441.

(5) م.س.ص: 440، وعلي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص364.

(6) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص441.

(7) م.س.ص: 441.

(8) م.س.ص: 441.

(9) اطفيش شرح العقيدة ص.440.

وفيما يلي بيان أهم الشروط كما تتصورها النخبة من علماء الاباضية مع التركيز على آراء الوارجلاني ومحمد اطفيش.

ونبدأ أولاً بتحديد القطب للشروط فيقول: "ان يكون مجتهداً في الأصول والفروع ليقوم بأمر الدين والدنيا متمكناً من إقامة الحجة وإزالة الشبهة وتصحيح العقائد"<sup>(10)</sup>

وأول ما يلفت الانتباه ان القطب لم يشترط ان يكون الامام عالماً في الأصول والفروع بل اشترط الاجتهاد لأن الاجتهاد أعم من العلم ولا يبلغ الامام درجة الاجتهاد الا اذا كان عالماً. وفي نص القطب الشارة الى ضرورة تمكن الامام من العلوم الدنيوية الى جانب العلوم الدينية حتى يستطيع القيام بالأمور الدنيوية كذلك، وهي ملازمة لأمور الدين، لانه لا فصل بين الدين والدولة في الحكم الاسلامي.

وهكذا نلمس تأكيد القطب على الجانب العلمي في الامام وهو مذهب الاباضية عامة حيث "يركزون على العلم فكيف يمكن تطبيق الأحكام والقيام بالواجبات ومراعاة الحقوق بدون علم". ومن كمال العلم ان يكون الامام "قصيحاً بالعربية"<sup>(11)</sup> وهذا شرط اضافته القطب ولم ينته إليه سواه ولعله لاحظ ان اللسان البربري يغلب على أهل زمانه وأدرك ان العلم لا ينال بالبرية بالقدر الذي يناله بالعربية لغة القرآن والعلوم العقلية والنقلية، ويضيف القطب الى شروطه بان يكون الامام "ذا رأي بالحروب والثغور والجيوش شجاعاً ولو كان لا يباشر الحرب ليدافع عن الدين والحوزة"<sup>(12)</sup>، وهذا ما يسميه الامام الغزالي بالنجدة، واطهار الشوكة والقوة ووفرة العدل والاستظهار بالجنود من أجل قمع البغاة والطغاة ومجاهدة الكفر والعتاه<sup>(13)</sup>.

ويتفق القطب مع الغزالي في عدم اشتراط مباشرة الامام للحرب بنفسه كما انه لا يخرج عليه اذا باشرها بنفسه وإذا ستغنى الامام بجيشه عن الخوض في الحروب جاز له المشاركة بالرأي والتدبير<sup>(14)</sup> لأن المقصود الأول هو الدفاع عن الحوزة بأي وسيلة يراها الامام ناجعة، ومن مظاهر الشجاعة والنجدة ألا يفشل الامام "ولا يلين ولا يهول له الحدود وضرب الرقاب"<sup>(15)</sup>، وهذا مذهب الجمهور ألا ان البعض لم يوجبوا هذه الشروط اقد لا تجتمع في واحد لكن القطب يرى وجوب نصبه "اذا وجد من يصلح به دفع الفساد ولو دون ذلك بأن يكون له علم يكفي أو معه عالم يقتدي به"<sup>(16)</sup>، أو خبير بشؤون الحرب يستشير به، ومن شروط الامام "ان يكون عدلاً لئلا يأخذ بلا عدل أو يقتل بلا عدل"<sup>(17)</sup>، ويفتضي عدل الامام ان يكون الناس كلهم سواسية في عيني الامام فلا يميز بين الرعية ولا يميل الى عنصر أو قبيلة دون أخرى على نحو ما كان عليه الخلفاء الراشدون. فالإمام الذي يؤثر بعض أقاربه على الناس فهو ممن لا يعدل ولا يكون امام مستقيماً الا ان يكون الناس عنده كلهم سواء في الحق، سواء القريب أو البعيد، الشريف أو الوضيع، الذكر أو الأنثى، الصغير أو الكبير (...). ولا يتفاضل الناس عنده

(10) Pierre Cuperly, Introduction a I, etude de I, Ibadisme .p.295.

(11) محمد اطفيش، شرح النيل، ج18، ص8.

(12) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص440.

(13) محمد جلال شرف، نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام، دار النهضة العربية بيروت، 1982، ص283 نقلاً عن الغزالي أبو حامد فضائح الباطنية، ص182.

(14) م.س.، ص283 نقلاً عن الغزالي، فضائح الباطنية، تح: عبد الرحمن بدوي، ط القاهرة 64.

(15) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص440.

(16) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص440.

(17) م.س.، ص440.

الا بتقوى الله (...). [إن أكرمكم عند الله أتقاكم] (18) فمن لم يكن كذلك فهو ليس من أهل العدل... (19).

وهذه الشروط المتقدمة من العلم والورع والشجاعة والعدل متوقفة على شروط أساسية تسبقها بالأولية من حيث تعلقها بالجانب الخلقى - الجسماني - في الإنسان وأهمها أن يكون عاقلاً (20) ذا بصيرة وفطنة وذكاء، وأن لا يكون "أعمى ولا أصم ولا أخرس، وليس بمزمن ولا مقطوع اليدين والرجلين..." (21) لأن أي نقص في الامام من الناحية الجسمانية يترتب عنه نقص في أداء مهامه فلا يعقل أن يتقلد المجنون أو الأعمى أو الأصم وغيرهم من المعتهين زمام الأمور وهم لا يتمكنون حتى من تدبير أنفسهم. هذه جملة من الشروط المتعلقة بالجانب الجسماني ويضاف إليها شروط ترتبط بها من حيث كونها غريزية في الإنسان غير مكتسبة وأهمها أن لا يكون صيباً (22) لأن البلوغ مناط التكليف والتكليف ملاك الأمر ولا تكليف على صبي وأن يكون حراً (23) فلا تتعدد الإمامة للعبد لأنه لا يملك أمره فهو أشبه ما يكون بالحيوان يتصرف فيه مالكه حسب هواه ويسخره لأغراضه. وأن يكون ذكراً (24) فلا تتعدد الإمامة لامرأة مهما أوتيت من كفاءة وتأهل، نظراً لما يعترضها من حالات نفسية ومرضية تعقدتها عن القيام بشؤونها ولذلك لا يحق لها منصب القضاء فكيف بإمامة المسلمين.

هذه شروط فطرية لدى الإنسان أما الشروط الممكنة اكتسابها أو التي تنمو وتزيد بالكسب فهي المتعلقة بالجانب الأخلاقي، وهي كثيرة منها أن يكون الامام "مشاوراً أهل الرأي والعدل عفيفاً عن الطمع محتملاً... رحيماً حليماً مصلحاً بين الناس" (25)، ولا يبلغ ذلك إلا إذا كان "عزيراً في قومه، ذا حسب ونسب" (26) ولكن ينبغي أن يتفاضل الناس معه " إلا بقدر فضلهم في العلم" (27) وهذا يقتضي أن يكون متواضعاً لا إلى درجة الذل مترفعاً لا إلى درجة التكبر، وأن لا يكون "كذاباً ولا مخلفاً ولا حسوداً ولا حقوداً، ولا بخيلاً ولا عجولاً، ولا مبذراً ولا غداراً ولا مكاراً..." (28). وبذلك يكسب ود الرعية ويحظى بالتأييد، فإذا رضي الناس بالإمام كان موضع ثقتهم فيسهل له القيادة وتدبير شؤونهم.

ويصور لنا ش. أبو الحسن العماني شخصية الإمام كما ينبغي أن تكون فيقول: أن يكون خيراً أهل عصره (29) ويكون أقوى طبائع عقله ثم يصل قوة عقله بشدة الفحص (30) وكثرة سماعه بحسن العادة (31) فإذا جمع إلى عقله علماً وإلى علمه حزمياً، وإلى حزمه عزمياً، فذلك الذي يعد لغز الدولة ونكابة العدو، ويقوى على إقامة الحق، ويكون عدلاً مرضياً، ولا يكون يلي أمور المسلمين على ظاهر الرأي أكثر من واحد.... (32)، أما أ. محمد بن الشيخ (معاصر) فيجمع المقاييس المعتمدة للإمامة عند الإباضية فيما يلي: " الكفاءة والتأهل بالرسوخ في علم

(18) الحجرات الآية 13.

(19) من رسالة الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم إلى أهل طرابلس ضمن كتاب شرائع الدين لابن سلام (مخ) في حوزة ش. ناصر المرموري ص. 32.

(20) محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص 440.

(21) أبو إسحاق الحضرمي، مختصر الخصال، (مخ) ص: 188-189.

(22) محمد اطفيش، شرح العقيدة، ص 440، مختصر الحضرمي، ص 189.

(23) م.س.، ص. 440، الحضرمي، مختصر الخصال (مخ) ص. 189.

(24) م.س.، ص. 440، مختصر الحضرمي ص. 189.

(25) خميس بن جميل السعدي، قاموس الشريعة، كتاب الإمامة (مخ) ص. 70.

(26) محمد اطفيش، شرح النيل، ج 3، ص. 8.

(27) نفس المصدر

(28) م.س.ص: في التواضع يقول صلى الله عليه وسلم السلطان العادل المتواضع ظل الله ورحمته في الأرض... انظر اطفيش جامع الشمل ص 303.

(29) يشير بقوله (خير أهل عصره) مشكل الأفضلية الذي لا تقول به الإباضية فقد يتولى رجل الإمامة وفي الجماعة من هو أفضل منه وأعلم. كما ولي أبو بكر وزيد بن ثابت أفض من علي أفضى منه انظر طبقات الدرجيني ج 1، ص 50.

(30) يشير إلى كثرة استعمال العقل والاجتهاد.

(31) يشير إلى الاستشارة والاستماع إلى النصائح والانتقاد.

(32) أبو الحسن العماني، سير أهل عمان (مخ) في حوزة ش. ناصر المرموري، ج 2، ص 96.

القرآن والسنة، مع قدم الهجرة<sup>(33)</sup> وكبر السن، ووفرة التجربة دون اعتبار للحسب والنسب ولا للعرق والجنس"<sup>(34)</sup>.

وحول هذه الشروط الأخيرة المتعلقة بالانتساب إلى جنس معين نجد خلافاً جزئياً بين فقهاء الإباضية ينحصر في مسألة القرشية، هل من اللازم أن ينتسب الإمام إلى قريش؟. الواقع أن الإباضية لا يرون اشتراط القرشية في عقد الإمامة، ويتفق معهم الخوارج في أن مصب الإمامة ليس من حق فرد معين دون غيره، ولا حكراً على أسرة دون أسرة، أو جنساً دون آخر. إنما الخلافة حق مشاع بين جميع من تتوفر فيه الكفاءة المرجوة من المسلمين عامة لا العرب فحسب كما كان الحال قبل اتساع رقعة الإسلام، ولذلك كان الخوارج في صدر الإسلام يعارضون حصر الخلافة في سلالة معينة، ويعتبرونها حقاً لكل عربي"<sup>(35)</sup>. ولما انتشر الإسلام ودخلت فيه جماعات من غير العرب عدلوا عن قولهم فنادوا بأن الإمامة "حق لكل مسلم تتوفر فيه شروطها"<sup>(36)</sup>. أما حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الأئمة من قريش فيجمله الإباضية من باب الترجيح باعتبار ما كانت عليه قريش في عهد النبي صلى الله عليه وسلم من مكانة وسيادة بين قبائل العرب، أما وقد تغيرت الأمور تبعاً لذلك ولم تحافظ قريش اليوم \_ إن وجدت \_ على ذلك الدور الريادي، فإن مقاييس الاختيار تتغير تبعاً لذلك، وبالتالي يبطل مبدأ الأفضلية .

فانطلاقاً من هذا الاعتبار " لم يشترط الإباضية القرشية لصحة الخلافة وإنما تكون مرجحاً - إن وجدت - وتساوت الكفاءات الأخرى"<sup>(37)</sup>، بينما تعتبره الشيعة والأشاعرة وفرق السنة شرطاً لا بد منه، ولذلك يعده الغزالي (أبو حامد) من الشروط العشرة الواجبة للإمامة، لأنه " مأخوذة من التوقيت ومن إجماع أهل الإعمار الخالية على أن الامامة ليست الا في هذا النسب"<sup>(38)</sup>.

والواقع أنه ليس الإباضية أو الخوارج هم أول من قال بعدم حصر الخلافة في قريش وإنما سبقهم إليه كبار الصحابة عندما ناقضوا أول خليفة في الإسلام فقد قال بعض الأنصار للمهاجرين منا أمير ومنكم أمير ولو لم يكن الأنصار يعرفون ان يجوز ان يتولى الإمارة غير قريشي لما قالوا ذلك<sup>(39)</sup>.

وفي العصر الحديث نجد المفكر أبو الأعلى المودودي يرفض فكرة حصر الخلافة في أسرة أو طبقة وإلا ما كانت الخلافة الإسلامية ديموقراطية<sup>(40)</sup>.

(33) أشار القطب هو الآخر إلى شرط الهجرة، انظر شرح النيل: ج3، ص8.  
(34) محمد الشيخ بالحاج الاجتهاد في المذهب الإباضي ص25، ركز الأستاذ ابن الشيخ على الكفاءة والتأهل ويضيف جديداً لأن الرسوخ في علم القرآن والسنة، ووفرة الترجية من تمام الكفاءة والتأهل أما كبر السن فشرط ثانوي لأن الكفاءة والتأهل يغني عن السن.  
(35) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي... ط3، مكتبة النهضة القاهرة ج2، ص3.  
(36) م.س.ص.3، ج2.  
(37) علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص464.  
أما الشيخ التعاريفي (ق 19م) من إباضية تونس يرى ان القرشية شرط لاوم لصحة الامامة الا في حالة عدم وجود القرشي فإنه يجوز لغيره ان يأخذ الامامة دفعا للفتنة التي تحصل لفقده. انظر سعيد التعاريفي المسلك المحمود في معرفة الردود، ط حجرية تونس 1321هـ ص49.  
(38) محمد جلال شرف نشأة الفكر السياسي وتطوره في الإسلام، ص282  
(39) علي يحيى معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص464.  
(40) يقول المودودي في هذا المعنى: " لا يذهبن بكم سوء الفهم من كلمة النيابة الى أنها عبارة عن ظل الله أو حقوق الملوك الالهية فقد قضى القرآن أنه ليست هذه المنزلة- منزلة الخلافة من حق فرد من الأفراد أو أسرة من الأسر أو طبقة من الطبقات وإنما هي حق لكل من يسلمون بحاكمية الله ويؤمنون بعلو القانون الالهي (..وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض) وهذا ما يجعل الخلافة الإسلامية ديموقراطية انظر المودودي أبو الأعلى نظرية الإسلام وهدية دار الفكر، د.تأ. ص259.  
وفي موضع آخر يستوحي المودودي من مفهوم الخلافة في الآية السابقة: ان الله وعد جميع المؤمنين بالاستخلاف ولم يقل انه يستخلف أحدا منهم فالخلافة عمومية لا يستند به فرد أو أسرة كل مؤمن خليفة عن الله. وإنما حصرها في جملة الذين آمنوا وعملوا الصالحات انظر المودودي نظرية الإسلام السياسي ص46.



أما مسألة الأفضلية وهي ان يتولى رجل منصب الامامة مع وجود من هو أعلم منه، فإن الاباضية يجيزون ذلك خلافا للإمامية من الشيعة، أما الأشاعرة فيقولون برأي الاباضية في ذلك<sup>(41)</sup>.

ومما جاء في رسالة من علماء الاباضية في المشرق الى أهل المغرب في عهد الامام عبد الرحمن قولهم: "وأما ما ذكرتهم من تولية رجل وفي جماعة المسلمين من هو أعلم منه فذلك جائز اذا كان- الامام المرشح- مستكملا لشروط الامامة وكان من أهل الفضل والدين والعدل والسياسة والمنزلة المرضية فقد ولى أبو بكر الصديق (رضي) وزيد بن ثابت أرضى منه وعلي أفضى منه ومعاذ بالحلال والحرام أعرف منه وأبي بكتاب الله أقرأ منه (...). ومع هذا فلم يكن أحد منهم أولى منه بالإمامة"<sup>(42)</sup> لأن ثبوت الامامة- كما يرى القطب- "لا يفيد القطع بالأفضلية"<sup>(43)</sup> ويبدو ان الإمامية منعتوا إمامة المفضول مع وجود الفاضل لأنهم يرون ذلك قبيحا عقلا"<sup>(44)</sup>.

بينما الاباضية لا يرون في ذلك مذمة ما دام الهدف هو تحقيق المصلحة العامة وهذا ما عليه الجمهور، ومع ذلك ذهب قوم الى "نصب الأفضل وان أثار فتنة لم تجب كما اذا كانت الرعايا لا ينقادون للفاضل بل للمفضول وإلا وجبت إقامة الأفضل"<sup>(45)</sup>

ويحسم القطب الموقف بالنظر الى ما يصلح أمر المسلمين بمن يصلح للإمامة، فإن كان المفضول أقوم بها وأعرف بشأنها وأصلح لها من الفاضل ولي أمرها وان تساويا في ذلك فالأرجح تولية الأفضل "فالمهم أن تتوفر في الامام المزايا العامة المطلوبة للإمامة"<sup>(46)</sup> أما ش.أبو الحسن العماني فلعله مبالغ "في اشتراطه ان يكون الامام خير أهل عصره"<sup>(47)</sup> كما أخطأ أدنجيل ( ) (معاصر) حين يعتبر الأفضلية شرطا لتولي الامامة عند الاباضية<sup>(48)</sup> والواقع انه يتعذر الحصول على رجل يكون خير أهل عصره، وأفضلهم علما وورعا وشجاعة وحلما وأقدرهم على تحمل المسؤولية وإدارة شؤون الدولة، يصعب العثور عليه ما دامت الأفضلية نسبية، فقد يفضل الرجل أخاه في العلم ولا يبلغ درجة ورعه وزهده وقد يكون الفارس أشجع القوم وأجهلهم في ذات الوقت، أما ان يجمع الرجل جميع المحاسن فهذا نادر.

وجملة القول في شروط الامامة ان المقياس العام لها عند الاباضية- في نظر أبيار كبيرلي (معاصر) "هو مقياس أخلاقي مرتبط بالتعاليم الدينية مع التركيز على العلم"<sup>(49)</sup> والكفاءة المؤهلة لمنصب الامامة.

أما الموانع التي تحول دون ترشيح الرجل للإمامة فهي عدم توفر الشروط السابق ذكرها بالإضافة الى ارتكاب الكبيرة لأن مرتكبها ليس بمؤمن ولا حظ في الكفر لمنصب الامامة ولكن ما السبيل اذا جهل المسلمون باطن الرجل وقد تقدم للإمامة وهو مرتكب لكبيرة دون علم الناس به؟ هنا يحمل القطب الشخص المرشح للإمامة مسؤولية ذلك فيقول: " حرام على الانسان ان

41 سعيد التعاريفي، المسلك المحمود في معرفة الردود ، طبع جري، ص 51

42 الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب ج1 ص 50، وفي رواية أبي زكريسا في كتابه سير الأئمة وأخبارهم بلفظ فذلك جائز اذا كان في القناعة والفضل بمنزلة حسنة تاريخ أبي زكريا تح اسماعيل العربي ص 91.

43 محمد اطفيش شرح العقيدة ص 427.

44 م.س.ص. 427.

45 م.س.ص. 427.

46 Pierre Cuperly, Introduction a I, etude de I, Ibadisme ..p.295.

47 أبو الحسن العماني. سير أهل عمان (مخ) ج2، ص 96.

48 Dangel Gerrard, Imamat Ibadite de Tahert (716- 404) Sstrasbourg.

49 Pierre Cuperly, Introduction a I, etude de I, Ibadisme ..p.295.

يتولى الامامة أو نحو ذلك مع علمه بخيانة نفسه أو عزمه عليها، أو سؤال ذلك...<sup>(50)</sup> أما ان يولي الانسان فاسقا مع علمه بفسقه أمرا من أمور المسلمين فحرام بلا ريب بالإجماع.

### ثانيا: تنصيب الامام

يعتبر حفل التنصيب وتسليم مهام السلطة للإمامة الجديد والإعلان بذلك- رسميا- هي المرحلة الثانية من تطبيق مبدأ الديمقراطية بعد اجتياز المرحلة الأولى- المهمة هي اختيار الامام كما تعتبر مراسيم تنصيب الامام تجسيدا عمليا للأفكار النظرية في الميدان السياسي. وأهم ما يشترط في هذه المناسبة ان تجري مراسيم حفل التنصيب في جو سليم صاف خال من أي خلاف. تسوده الثقة المتبادلة بين أهل المشورة، والصراحة في القول ورحابة الصدر لقبول الحق والموضوعية في التفكير، والحرية في ابداء الرأي، والاعتماد على مبدأ المصلحة العامة قبل المصالح الخاصة، وتتم عملية التنصيب على النحو التالي:

#### أ-الترشيح

يجتمع مجلس الشورى لاختيار من يقدمونه لمنصب الامامة والمجلس لا ينعقد لهذا الغرض الا في الحالات الآتية:

لاختيار امام جديد ليخلف إماما سابقا له وفي هذه الحالة لا يجوز للمجلس ان يختار إماما الا اذا تحققت وفاة الامام الذي سيخلف أو بعد التحقيق من شغور المنصب بأن يعزل الامام القائم بموجب<sup>(51)</sup>، كما انعزل ابو بكر بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي من الولاية وانسلخ منها الفساد سيرته في الحكم فبايع المسلمون أخاه محمد ابو اليقظان (241هـ-281هـ) للامامة<sup>(52)</sup>.

لاختيار أول امام لدولة اباضية تؤسس من جديد ومثال ذلك توليه أبي حمزة المختار بن عوف<sup>(53)</sup> للإمامة الاباضية في جنوب الجزيرة العربية وتوليه أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمع<sup>(54)</sup> للإمامة في طرابلس وتولية عبد الرحمن بن رستم<sup>(55)</sup> للإمامة في تاهرت. وفي الغالب تتم حماية الاختيار بترشيح جماعة من الأكفاء "من اثنين الى ستة" من طرف أعضاء مجلس الشورى- ان وجد- على ان يكون محايدا. كما حدث لتولية الأئمة الرستميين أو من طرف مجلس الأعيان(الزعماء الروحيون للمذهب) مثل مشائخ البصرة.

وبعد تحديد القائمة المرشحة تجري المفاوضات بين أعضاء بكل نزاهة حتى يستقر رأيهم فيمن هو أحق بالإمامة عن تراض وفق الشروط اللازمة وقد لا يحصل الاجماع التام على واحد وثمة يؤخذ برأي الأغلبية. وهناك صورة أخرى لتعيين الامام وذلك ان يجتمع المرشحون للإمامة من طرف الامام السابق، فيتفقون بينهم على من يولونه أمر الامامة، أما مجلس الشورى فينحصر دوره في هذه الحالة على الإشراف والمراقبة والتركية.

(50) محمد اطفيش، إزالة الاعتراض عن محقي آل اباض ص34.

(51) راجع موجبات عزل الامام أو الخروج عنه في موضع لاحق من هذا الفصل.

(52) لم يتوضح المصادر الاباضية ما اذا كانت تولية أبي اليقظان وقعت في حياة أخيه أبي بكر أم بعد وفاته فان ابن الصغير يقول: " صارت الدعوة والامامة كلها لأبي اليقظان " ويصف أخاه أبا بكر في ذات الوقت أنه خرج (لا حيا ولا ميتا) أنظر تاريخ الأئمة الرستميين لابن الصغير، تح د.محمد ناصر و إبراهيم بحاز ص74 بينما لم يذكر أبو زكريا شيئا عن أبي بكر حين ذكر ولاية أبي اليقظان أما الدرجيني فتوحي روايته بأن الامام محمد بن أفلح وأخوه حيا لكنه تجرد من مهام الامامة، انظر الدرجيني في طبقاته ج1، ص83، ولعل الولاية القريبة من الاحتمال ان أبا بكر ترك مهام الامامة لأخيه محمد بعد رجوعه من المشرق فاجتهد في إدارة شؤون الدولة بصفته وزير ومساعدة لأخيه الذي اشتغل بالترف وأهمل رعاية الأمة أما الإمامة محمد فلم تعقد له الا بعد وفاة أبي بكر وهذا ما ذهب إليه أحمد علي دبوز في كتابه تاريخ المغرب الكبير ط1، القاهرة 1963م، ج3-ص: 568-585.

(53) هو أبو حمزة الشاري من قبيلة الازد في عمان قاد ثورة اباضية ضد الامويين في الحجاز انظر ترجمته في طبقات الدرجيني ج2، ص258-272.

(54) انظر ترجمته في طبقات الدرجيني ج1، ص19، 23، 29، وتاريخ أبي زكريا ص37.

(55) انظر ترجمته في تاريخ دبوز، ج3 ص: 295-315، بحاز إبراهيم الدولة الرستمية ص29.

إذن فطريقة تعيين الامام بالشورى تختلف باختلاف الظروف السياسية والأمنية لكل عصر وأمة، كما تختلف باختلاف الحكم القائم. فالخلفاء الراشدون الأربعة كانت طريقة كل واحد منهم في التنصيب تختلف عن الآخر<sup>(56)</sup>.

والمشهور عند الإباضية ان أهل الشورى الذين يتولون تعيين الامام خمسة" وانما جعلت لسة وتعقد لواحد، ويبقى الخمسة، وهم كالحجة على غيرهم، وقيل ان اقل ما يعقد له اثنان لان الامامة لا تصح الا عن مشورة وتراض من الخاصة وهم الحجة. فإذا وقع التراضي به من الخاصة فهو امام"<sup>(57)</sup>. ويستدل

القطب على ذلك بحالة عمر بن الخطاب الذي تولى الخلافة " باختيار أبي بكر إياه إماما للناس - بعد استشارة الصحابة وإبداء رضاهم - فكان الضي به دون العقد أوجب لصحة ذلك"<sup>(58)</sup>، وهذا شبيه بما حدث في تولية أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح للإمامة فقد اختاره شيخه أبو عبيدة لهذا المنصب - وإن لم يصرح بذلك له - وبالفعل حدث فقده زملاؤه.

#### ب- البيعة

بعد ان يستقر الرأي الأخير على الامام الجديد، تتم بيعته من طرف الخاصة، ثم بقية المسلمين برضاهم له وقبولهم لخلافته<sup>0</sup>

والبيعة هي -اصطلاحاً- تأيد المرشح للخلافة والموافقة عليه<sup>(59)</sup>، ولا تتم البيعة الا بالعقد، وهو أهم ما فيها. وللعقد صيغ مختلفة منها ما ذكره القاضي أبو يعلى بقوله: "بايعناك بيعة رضي على إقامة العدل والإنصاف والقيام بفروض الامامة"<sup>(60)</sup>. أما الصيغة المشهورة لدى الإباضية فيذكرها ش<sup>0</sup> محمد أطفيش بقوله: " إذا قام ممثل أهل الشورى لاعلان بيعة الامام بقول: " قد بايعت فلان بن فلان على طاعة الله وطاعة الرسول، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ...."<sup>(61)</sup> وعند انتهاء المثل من ذكر الشروط التي ولي المرشح الامامة على أساسها، يقوم الامام ليرد على المبايعه بقوله: " قد بايعتني إماماً على موضع كذا<sup>(62)</sup> ومن رضي بذلك على طاعة الله وطاعة الرسول (...). والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..."<sup>(63)</sup> وبعد ذلك يشرع الحاضرون في أداء الصفقة .

#### \* أهمية العقد:

ليس العقد واجباً ولكنه ضروري لاتمام البيعة. فإذا كانت الامامة فريضة فالعقد فيها وسيلة والفرص إذا ثبت بالإجماع لم يسقط بعدم الوسيلة ولا بتركها، وقيل ان الرضى والتسليم يقومان مقام العقد"<sup>(64)</sup>. والواقع ان للصفقة بعدا إلزاميا، يزيد للبيعة تأكيدا وترسيخا وهو بمثابة الرمز الشرعي لثبوت الامامة لدى المرشح لها. فإذا نحمي الرعية مثلما يحمي لسلطته التي يحكم بها هو رضي أهل الحل والعقد وقبولهم لولايته نظرا لقناعتهم بكفاءة الامام وأهليته للحكم وقابليته له .

ومن أهم خصائص العقد ومزاياه يحددها أ.كبيرلي ( Pictrc Cuperly )

56) حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص103.

57) محمد أطفيش شرح النيل ج14 ص213.

58) م.س. ج14 ص213

59) ظافر القاسمي نظام الحكم في الشريعة... ص:259.

60) محمد المبارك نظام الإسلام: الحكومة والدولة ط3 الفكر بيروت 80 ص76.

61) محمد يوسف أطفيش شرح النيل، ج14 ص314 " يستمر ممثل أهل الشورى في عرض الشروط الشرعية التي يجب على الامام أن يسير وفقها"

62) يذكر الموضع والبلد الذي قاموا بتنصيبه فيه وكذا تاريخ ذلك اليوم

63) م.س. ج14 ص213

64) الصافي كنز الأديب وسلافة النبييب (مخ) ورقة99 أورد هذا النص أ.فاروق عمر، انظر التاريخ الاسلامي وقمر القرن العشرين ط2 دار اقرأ

1985م.

فيما يلي: (65)

- \* تنشأ علاقة ود وولاية بين الامام والشعب الاباضي .
- \* يوجب العقد فسخ البيعة في حالة خيانة الامام أو جور، فيتبرأ منه .
- \* يتمتع الامام- بموجب العقد - بسلطة مطلقة في حدود الشريعة .
- \* على كل مسلم مساندة الامام ومساعدته - ما أمكن عملاً ينص العقد .

### ج- الصفقة

بعد تلاوة العقد وقبول الامام كل الشروط، يمد يده لصفقة المبايعة، وهي " رمز للوفاق المتبادل" (66) بين الطرفين اللذين يربط بينها عقد البيعة. وهما الامام وجماعته. وتتم الصفقة بحضور العلماء الثقات فيتقدم أفضلهم فيمد يده اليمنى ليمسكها الامام بيمنه فيقول العالم - المبايع - : "قد بايعناك الله ورسوله ... فيجيبه الامام: " (نعم) ثم يفعل ذلك الثاني والثالث وما أكثر فهو أفضل" (67)، ومن تمام مراسيم حفل التنصيب - حسبما يذكر ش. أطفيش أن " تجعل الكمة (68) في راس الامام والخاتم في يده وينصب العلم بحذائه ... " (69) وفي الأخير يقوم الخطيب لقراءة الخطبة على جمهور المسلمين" (70) يعلن فيها نتائج الانتخاب وما أسفر عنه من تولية الامام وموافقة مجلس الشورى وأعيان البلد وعلمائها ورضاهم عن الامام الجديد ومبايعتهم له، ويستحسن أن تلقى هذه الخطبة بالمسجد بعد صلاة الجمعة حتى يعم الخبر بين المسلمين وينتشر بسرعة .

### د- حالات استثنائية عند البيع

قد يحدث أن يرفض المرشح للإمامة بيعة المسلمين له وذلك لاسباب كثيرة. كان يعظم أمر الامامة في عينيه إدراكا منه خطورة هذا المنصب وتورعا منه مخافة الوقوع فيما لا يرضي ربه خاصة وقد ورد في القرآن والسنة نصوص تنذر بالعذاب في الآخرة لمن لم يحكم بما أنزل الله، وفي تاريخ الاباضية أمثلة عديدة لرجال ثقات عدول عرضت عليهم الامامة والرئاسة فدفعوها. ومنهم أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح (ت. 44هـ) لم يقبل الولاية على طرابلس إلا بعد إلحاح شديد من جماعة المسلمين. وبعد تفكير طويل أدرك أنه من حق الأمة عليه قبول الولاية لكفائه وتأهله لها دون غيره. وحدث مثل ذلك لمسعود الأندلسي سنة 171هـ فاخترني عن الأعين - بعيداً عن البلدة - حتى لا تعرض عليه الامامة خلفاً للإمام عبد الرحمن بن رستم، كما يحدث ذلك للكثير ممن يرى أن المناصب السامية سيما رئاسة الدولة تكليفا للإنسان بمسؤوليات ثقال قد لا يقوى على تحملها. وليست تشريفاً له ورفعاً من شأنه وليست مصدر الحظوظ والغنائم، والكسب بل فيها التكاليف كثيرة، والواجبات صعبة، ومن وراء ذلك الحساب عسير عند الله.

وفي هذه الحالة يحسم الموقف بقرار قد يبدو قاسياً ومبالغاً فيه، يلخصه أبو يعقوب الوارجلاني (ق 6هـ) في قوله: "إذا اتفق المسلمون وأهل الحل والعقد على تولية رجل إمرة المؤمنين (...). ولم يكن في المؤمنين من هو أولى منه" (71) فإنه يقتل ان هو أبى قبول البيعة،

(65).p.293. Pierre Cuperly, Introduction a I, etude de I, Ibadisme

(66) م.س، ص: 291.

(67) محمد اطفيش شرح النيل ج14، ص317.

(68) الكمة: عمامة خاصة في شكل قلنسوة يرتديها الامام عند توليته الحكم.

(69) م.س، ج14، ص: 317.

(70) محمد اطفيش شرح النيل ج14، ص317.

(71) يحدد الشيخ أطفيش الأولوية بأن يكون أحدهما اعلم من الآخر وان تساوا فالأسن وقد يقدم الأليق مع وجود الأعلم فتندفع الفتنة بهذا التفصيل ومن أبي ففائن وفتنته باغية ولا تخلو الدنيا من انكار الحق والزرع عند ذلك واجب.

فإن كانوا عددا امتنعوا فرأى المسلمون أن يقتلوهم كلهم قتلوهم إلا أن يكون فيهم من فاقهم في الأمور التي تصلح للولاية، فيتوجه إليه القتل وحده"<sup>(72)</sup>.

ومما يحتمل وقوعه بعد إتمام البيعة أن تظهر من هو أولى من الامام المنتخب وفي هذه الحالة "لا يجوز أن ينخلع أمير المؤمنين من الولاية كما لا يسوغ للمسلمين أن يخلعوه ويولوا غيره"<sup>(73)</sup> فعلى الامام الا يستغني عن هو أفضل منه في المشورة وطلب العون.

وهو ما ذهب إليه ش. تبغورين (ق5-11م) حيث يقول: "والإمام ان أبى ان يقبل الامامة اذا رفعها إليه المسلمون قتلوه ونظروا في غيره"<sup>(74)</sup>، ويستدل على ذلك بما فعله عمر بن الخطاب إذ أمر أصحاب الشورى من بعده بقتل من رفض الخلافة كما أمر بذلك مسلم بن أبي كريمة"<sup>(75)</sup> حين هم بتوديع حملة العلم القافلين الى المغرب.

ويضيف ش. أبو يعقوب الوارجلاني حالة أخرى قد تطرأ على الامام فيقول: "أما اذا اسر أمير المؤمنين في حرب المسلمين وأكره على الكفر (... أنكره لهم ولا بأس عليه، وان اكرهوه على ان ينخلع فأخلع فلا بأس وهو على ولايته"<sup>(76)</sup>. فالوارجلاني يجيز التقية للإمام درء لما هو أخطر، أما إبقاءه على الولاية فأمر لم يوضحه الوارجلاني جيد، فالمفهوم المتبادر من كلامه ان الامام اذا اكره على التخلي عن منصبه جاز له التخلي من باب التقية ويترتب على ذلك نصب امام جديد خلفا له، ويكون بذلك معذورا لا يتبرأ منه فهو في الولاية، ولكن قد يفهم من كلام الوارجلاني حالة ثانية وهي ان الامام بعد إكراهه يتخلى عن الامامة بالقول فقط- وهذه تقية بالقول- ولكنه في نظر جماعته لا يزال إماما عليهم- علميا- وهذا ما يشير إليه بقوله "فهو في الولاية" بمعنى ولاية أمر المسلمين (الامامة) ولعل المفهوم الثاني أقرب للاحتمال.

ومن الحالات الاستثنائية عند البيعة أن يشذ واحد أو جماعة من أهل الشورى باشتراط شيء يخدم مصلحة خاصة، أو باشتراط ما لا يرضى عنه الشرع .

وفي هذه الحالة لا ينظر إلى هذا الاشتراط لأنه باطل والبيعة صحيحة، وقد حدث مثل هذا أثناء تولية الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي، حين اشترط ابن فندين<sup>(77)</sup> على الا يقضي الامام أمرا دون جماعة معلومة يقصد بذلك أن يصبح هو وجماعته مستشارين للإمام لا يقدم على فعل شيء الا اذا أذنت له هذه الجماعة، لكن مجلس الشورى لم يقبل هذه البدعة، فكتب العلماء يستفتون المشاركة في هذه المسألة فكان ردهم كما يلي:

" أما ما ذكرتموه من أمر الشرط فليس من سيرة المسلمين ان يجعلوا في الامامة شرطا ان لا يقطع الامام أمرا دون جماعة معلومة الامامة صحيحة والشرط باطل..."<sup>(78)</sup> وهذا معقول إذ لو جاز الاشتراط على الامام لأصبح الأمر فوضى لأن مطالب الناس لا حدود لها والأغراض الخاصة لا فائدة ترجى منها، ثم ان الامام تتقلص حريته ولا يملك القدرة على فرض أحكامه وانفاذها ما دامت عوائق الاشتراط تقف دون ذلك.

72) أبو يعقوب الوارجلاني العدل والانصاف (مخ) خزانه س بالحاج رقم2، أنظر كذلك محمد بن يوسف اطفيش شرح النيل، ج4، ص280.

73) أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، العدل والانصاف (مخ) خزانه ش بالحاج.

74) تبغورين بن عيسى الملوشاني عقيدة تبغورين (مخ) ورقة 20أ.

75) م.س، ورقة 20أ

76) أبو يعقوب يوسف الوارجلاني، العدل والانصاف (مخ) غير مرقم

77) هو زيد بن فندين أبو قدامي النماري كان من علماء تيهرت ومن الشخصيات البارزة في قبيلة زنانه ضمه الامام عبد الرحمن بن رستم الى لجنة الشورى لمكانته العلمية ومنزلته العليا بين قومه، وجمعا لكلمة الأمة وسدا لباب الخلاف وطمع يزيد في ولاية ناحية من الدولة فلما لم يوليه عبد الوهاب غضب وثار فجدد أتباعه للاطاحة بنظام عبد الوهاب فلم يفلح فسمي أتباعه بالنكار لانكارهم إمامة عبد الوهاب انظر فتنة يزيد في سير أبي زكريا، ص58-65، طبقات الدرجيني، ج1، ص ص 47-56، تاريخ ابن الصغير ص36 سير الشماخي ص ص146-154 محمد علي ديوز تاريخ المغرب الكبير ج3، ص474 و478.

78) الدرجيني طبقات المشائخ ج1، ص49 وفي رواية أبي زكريا بلفظ (... فالامامة صحيحة والشرط باطل فلو صح في الامامة شرط لما قام الله حق ولا قيم حد ولتعطلت الحدود وبطلت الأحكام ولضاع الحق) ص91.

### ثالثاً: موجبات عزل الإمام

حيث أن الإمام في نظر الإباضية شخص كسائر المسلمين لا يختلف عنهم في شيء سوى أنه مكلف بمهام رئاسة الدولة، وهذا منصب لم يعهد إليه إلا على شروط عاهد على السير وفقها يوم تعيينه، فإن ظهر أنه حاد عنها ولم يطبق الأحكام الشرعية وغير السنة وحكم بالهوى وعطل الحدود واعتدى فيها وأحل مال الله وجعله دولة بين الأغنياء وأخذ بالذنب من لا ذنب له ورغب عن سبيل أئمة الهدى وفسق عن أمر ربه فإن إطاغته معصية لربه، ومعصيته هدي ذلك بأن الله يقول: [وجعلنا منهم أئمة يدعون إلى النار] (79)

فمن ضيع أمر الله بنقض ميثاقه استوجب بنقضه لعنة الله (80) ومن لحقته لعنة الله لا يستحق الإمامة وإن وليها يعزل عنها، وهو في براءة الله ورسوله والمسلمين، .

يقول الشيخ أطفيش مبيناً رأي الإباضية في علاقة المسلم بالإمام الجائر:

"من علم بجور إمام تبرأ منه ومن تبعه إلى جوره" (81) لكنه يستثنى من هم تحت لوائه إذا أكرهوا (الجواز القعود تحت الجائر (82) المخالف والموافق مطلقاً (83) إذن فعقد الإمامة عند الإباضية قابل للفسخ وإذا فسخ بطلت ولا تبطل الإمامة إلا بحدث في الإمام "بعد الأعدار والإنذار وتمادي المحدث على الإصرار والاستكبار فحينئذ يجب القيام عليه، وإبطال ما صار من أمر المسلمين إليه" (84). ويستل الإباضية على جواز عزل الإمام بنصوص عديدة منها قوله صلى الله عليه وسلم سيكون بعدي خلفاء لا يعملون بما يعلمون ولا يفعلون بما يؤمرون فمن أنكر عليهم نجا ومن اعتزلهم سلم ومن كان معهم فهو منهم" (85).

ومن الأحاديث التي يستدل بها ش. أطفيش حديث رواه أبو أمامه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له أنت ظالم فقد تودع منهم" (86) وفي حديث آخر عن عميرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعذاب منه" (87). وقد يرى الإباضية جواز عزل الإمام من باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعملاً بقوله صلى الله عليه وسلم "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الأيمان" (88).

وبعد ان عرفنا موقف الإباضية القاضي بجواز عزل الإمام نلخص فيما يلي أهم الأسباب

التي توجب عزل الإمام .

أ-الردة، وهي انكار ركن من أركان الإسلام، أو أن يرتكب الإمام ما يوجب إقامة الحد عليه، كترك الصلاة، أو شرب الخمر أو الزنا...أو اختلاس أموال الناس بالباطل(89)، ويحسن

(79) القصص 41.

(80) الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم في رسالة له إلى أهل طرابلس ذكرها بواب بن سلام في شرائع الدين (مخ) نسخة ش. ناصر المرموري ص:29.

(81) محمد أطفيش الذهب الخالص ص46.

(82) جواز القعود تحت الجائر من باب جواز التقية: "يجوز أن تستسلم لجميع أحكامهم عليكم ما لم تكن بدعة" أما ما يتعلق بلاموال فيقول: ان جميع ما يلزمك من حقوق الله عز وجل ان طلبها منك الملوك فواسع لك ان تدفع اليهم كل ما كان ظاهراً كالخليب والتمر والأنعام اما ما كان باطنياً كالذهب فلا" (الدليل والبرهان ج 3 ص 66 ) 0

(83) ش0 أطفيش ، الذهب، الخالص، ص: 46 0

(84) من جواب المشاركة إلى إباضية المغرب في عهد الإمام عبد الوهاب، الدريجيني طبقات المشائخ بالمغرب ج 1 ص: 50 انضر كذلك، كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا (تح) اسما عيل العربي دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982، ص:92.

(85) عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم رسالته إلى أهل طرابلس، ضمن كتاب شرائع الدين لابن سلام (مخ) ص:29، لم يذكر الإمام سند الحديث.

(86) رواية احمد والطبراني والحاكم والبيهقي في شعبة 0 محمد أطفيش جامع الشميل في حديث خير الرسل، ص2350

(87) رواية ابو داود والترمذي وابن ماجد، محمد أطفيش ، جامع الشميل في حديث خير الرسل ، ص235 0

(88) عز الدين بليق، منهاج الصالحين، ص: 410 ، الحديث رواية مسلم عن أبي سعيد الخدري0

(89) محمد الشيخ بالحاج أستاذ بمعهد الحياة-القرارة ولاية غرداية في مقابلة شخصية0

في هذه الحالة أن يسبق عزل الامام تحذيره ونصحه وإرشاده، فإن تاب واستقام فهو في ولايته وأن أبى وتمادى وجب عزله وتغييره.

ب- موجبات خفية حادثة، لا يملك الامام ردها، ومنها زوال العقل، أو الإصابة بالصمم والبكم، أو المرض إذا كان مزمنًا بحيث يمنعه على أداء واجباته، وفي هذه الحالة قولان: الأول لا تعقد الامامة لغيره حتى يموت، تسقط إمامته لعدم قدرته على العمل وفقده للكفاءة التي من أجلها عقده له البيعة<sup>(90)</sup> ولعل القول الوسط أن يرجع الأمر إلى الامام نفسه فيستشار في إمكانية نصب غيره أو عدمه، فإن رأى الامام بقاءه في السلطة بحيث لا يترتب عن ذلك اضطراب في شؤون الحكم وكان له وزيراً مؤهلاً يقوم مقامه ويساعده الأعوان ومجلس الشورى فذلك جائز أما أن رضي الامام بالتخلي عن منصبه لغيره عن طواعية فذلك احسن . هذا إذا كانت الدولة تحت حكم الاباضية، أما إذا كان الأمر من غير الاباضية وأحدث ما يوجب عزله، استدرجه الاباضية باللطف واجتهدوا في إرشاده ونصحه بالتالي هي احسن، فإن أبى حاولوا عزله، وإن رأوا عزله يؤدي الى فتنة تحملوا أخف الضررين وهو إبقاؤه في الحكم وطاعته مالم يأمر بمعصية الخالق<sup>(91)</sup>. ويوافق هذا الرأي ما ذهب إليه الأشاعرة وأهل السنة . يقول ش. محمد ابو زهرة (معاصر): " ان المختار للخلافة النبوية إذا فسق خرجت خلافته عن معنى الخلافة النبوية وصارت خلافته ملكاً عضواً ويستوي مع من لم يختر فلا يطاع في معصيته قط، لقوله صلى الله عليه وسلم: " على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"<sup>(92)</sup>

**هل يعزل الإمام نفسه؟**

ومن المحتمل في مسألة عزل الامام، أن يتقدم هذا الأخير بطلب الاستقالة من منصبه بإرادة منه، لسبب أو لآخر فما هو رأى الاباضية في ذلك؟ الحقيقة أنني لم أقف على قول لأحد علماء الاباضية في هذا الموضوع ولا أضن القطب تعرض لهذه الحالة، ولكن يبدو أنه يجوز لإمام - إذا رأى عدم قدرته على تولي الإمامة كما يجب - أن يعرض موضوع استقالته على مجلس الشورى للبت فيها، وللمجلس أن يرفض استقالة الإمام ان لم تكن أذاره كافية لذلك. وتذكر المصادر الاباضية أن الإمام أبا حاتم الملزوزي<sup>(93)</sup> غضب مرة على أتباعه لما أحدثوا من سلب لقتلاهم قال: "والآن أما رددتم الأسلاب وأما اعتزلت أموركم وتركت الولاية..."<sup>(93)</sup> فأقل ما يقال في عزل الامام لنفسه أنه من المسكوت عنه لدى الاباضية. فمتى كان لا بد منه جاز والا عدمه أحسن .

#### رابعاً: هل يجوز الخروج على السلطان الجائر؟

من السلطان الجائر - أولاً - في نظر الاباضية؟ يصف ش. علي يحيى معمر رجال السياسة في الدولة الجائرة بأنهم "لا يرضيهم العدل في دولتهم ولا حتى ان يقوم بدولة بجانبهم لأن الحكم العادل كفيل بأن يكشف للناس مساوئ حكمهم وأن يطلق ألسنتهم بالنقد وربما بالنقمة ثم الثورة"<sup>(95)</sup> ولذلك يسلكون طريق الظلم والقهر ولا يهتمهم سوى الزعامة والهيمنة على كل

(90) ش 0 محمد اطفيش ترتيب موسى بن عامر (مخ) خزانه ش0 بالحاج القرارة ، غير مرقم0

(91) ش 0 سعيد التعاريني، المسلك المحمود في معرفة الردود..... ص: 50 .

(92) محمد ابو زهرة ن تاريخ المذاهب الاسلامية، ج 1 ص. 106 .

(93) عين إماما للدفاع سنة 145 هـ واستطاع ان يتزعم ويجمع حولة كل قوى من الخوارج حتى سنة 155 هـ السنة التي قتل فيها ابو حاتم بمكان يدعى (جنبي) وذلك من طرف جنود يزيد بن حاتم ، انصر . تاريخ ابن الصغير عن أئمة تاهرت الرستميين ، مقال ل موتيلانسكى ، تر .د. محمد ناصر ، تاريخ ابن الصغير ص: 19 .

(94) الدرجيني ،طبقات المشائخ بالمغرب ، ج 1 ص : 38.

(95) على يحيى معمر الاباضية بين الفرق الاسلامية ، ص: 293 .

حركة مناوئة لهم باستخدام "كل أنواع الحرب من كيد ودعاية كاذبة وتشويه للحقائق.... وتعذيب وضرب بالسيف ان اقتضى الأمر" (95) وفي الغالب يكون الحاكم الجائر قد وصل الى السلطة بالقوة والغلبة يسميه ش. اطفيش: "السلطان المتسلط لأنه يأخذ بلا حق ويعطي بلا حق" (96) ومن طبائع السلاطين الجورة ميلهم الى الترف والإسراف في امتلاك والقصور "ويستخدمون لبناء ذلك العامة" (98) من الناس.

أما سيرتهم في إنفاذ الأحكام فغير محمودة وكيف يعاف شارب الخمر سلطان لا يصحو من سكرته الا نادرا، أو يقيم حد الزنا من لا يتورع من مخالطة النساء...؟

إذا كان جور السلطان على هذا النحو فما موقف الاباضية منه يقول أبو الحسن الأشعري (ت 324هـ أو 330هـ): "الاباضية لا ترى اعتراض الناس بالسيف- خلافا للخوارج- لكنهم يرون إزالة أئمة الجور ومنعهم من ان يكونوا أئمة بأي شيء قدروا عليه" (99). لكن إذا رجعنا الى المصادر الاباضية وجدنا رأيهم على الأمر لذلك ولا يترتب عنه فتنة أشد من بقائه مع حوره فإن مسألة الخروج أمر آخر- فيمكننا القول- بدون تحفظ- أن الاباضية يجمعون على عدم وجوب الخروج على السلطان. أما جواز ذلك ففيه أقوال قد تختلف الظروف والأحوال وبالتالي يختلف موقف الاباضية من السلطان الجائر بين ظرف وآخر، خاصة إذا علمنا ان الفكر السياسي والاجتماعي لدى الاباضية يقوم على مبدأ الاعتدال واللجوء الى الموقف الذي لا ينتج عنه هلاك والتسامح إذا اشتد الأمر وتأزم الوضع، وقد يتصف أحيانا بالقوة والصرامة والاستماتة أما الحق إذا سمح الحال بذلك.

من هذا المنطلق نفسر رأي الاباضية في الخروج عن السلطان الجائر بتا رجح بين الجواز وعدمه.

أما وجوب الخروج فلم يقل به أباضي بل نجد ش. اطفيش يرد بشدة على من يتهم الاباضية بالقول بوجوب الخروج على رأي الخوارج فيقول في المذهب الخالص مثلاً: "نحن لا نقول بالخروج عن سلاطين الجور الموحدين" (100) ومن نسب إلينا وجوب الخروج فقد جهل مذهبنا" (101)

والموقف المعتدل حسبما يراه القطب أن يكتفي الاباضية باعلان البراءة من الامام الجائر وكذا من تبعه في جوره مع ولاية كل من كان تحت لوائه لجواز القعود تحت" الجائر المخالف والموافق مطلقاً" (102). هذا رأي الاباضية في علاقتهم بالحاكم الجائر وهو ما أكده ش. علي يعي معمر في قوله: "إذا ابتليت الامة بان كان حاكمها ظالماً فان الاباضية لا يرون وجوب الخروج عليه لاسيما إذا خيف أن يؤدي ذلك إلى فتنة وفساد أو يترتب على الخروج ضرر أكبر مما هم فيه" (103).

ومما يؤكد مذهب الاباضية في عدم الخروج ما ذكر عن عبدالله بن اباض انه عندما اجتمع واصحابه عازمين الخروج وفيهم نافع بن الأزرق ووجوه المسلمين سمع في جوف الليل دوي القراء وترنين المؤذنين وحنين المسبحين فقال لأصحابه أعن هؤلاء أخرج معكم؟ فرجع وكنتم

(96) م.س.ص: 293.

(97) ش. محمد اطفيش، شرح عقيدة التوحيد، ص: 427.

(98) إبراهيم الوارجلاني: الدليل والبرهان ج3، ص66

(99) أبو الحسن الأشعري مقالات الإسلاميين ج1، ص189.

(100) نلاحظ هنا ان القطب يحصر عدم الخروج على الأئمة الموحدين. أما المشركون ويدخل في حكم ذلك مظاهر الاستعمار المعاصر فيوجب الخروج عنهم.

(101) محمد اطفيش الرد على الشيخ محمد كامل الطرابلسي (مخ).

(102) محمد اطفيش الذهب الخالص، ص46.

(103) علي يحيى معمر الاباضية بين الفرق الاسلامية ص290.



أمره واختفى<sup>(104)</sup> حتى وان كانت مناسبة هذه الحادثة في غير الخروج عن السلطان الجائر فإننا نستفيد منها موقف ابن اباض الرافض مبدأ الخروج ومما يثبت عدم التجأ للخروج انه لم يرد عنه تنظيم حملة للخروج على خليفة عصره بل كانت هناك علاقة طيبة مدعمة بمراسلات تربط بينه وبين الخليفة عبد الملك بن مروان.

هذا عن عدم وجوب الخروج أما عن جوازه فنسجل رأي الاباضية من خلال موقف الوارجلاني حيث يقول: "إن مذهب أهل الدعوة في الخروج على الملوك الظلمة والسلطين الجورة جائز"<sup>(105)</sup> ونجد الرأي نفسه عند ش. علي يحيي معمر<sup>(106)</sup> وهو رأي وسط بين موقف الأشاعرة والسنية القائل بمنع الخروج على السلطين الجور ولا يحل قتالهم بل التسليم لهم على ظلمهم أولى<sup>(107)</sup> الخوارج القائل بوجوب الخروج على سلطين الجور مهما تكلف الأمر.

والواقع أن جواز الخروج عند الاباضية مشروط بأمور عديدة أهمها الاستطاعة، وعدم الوقوع في التهلكة بسبب الخروج، ولتحديد ذلك يقول ش. علي يحيي معمر: "لا ينبغي هدم حكم قائم الا إذا تأكدت الاستطاعة للقيام بحكم خير منه دون حدوث ما يخشى على المسلمين أو يلحق بهم أضرار تفوق ما هم عليه من أضرار"<sup>(108)</sup>، أما إذا أمن المسلمون من هذه المآخذ فاقداهم على تغيير المنكر جائز الاستيلاء على مدينة طرابلس والإطاحة بحاكمها وتولى زمام الأمور خلفا له. ذلك بحركة منظمة مخطط لها فلم تقم حرب ولم يهرق دم<sup>(109)</sup>.

هذا رأي الاباضية في موقفهم أمام السلطان الجائر مجمعون عليه إذا استثنينا ش. سالم السيابي (عماني معاصر) الذي يتحمس للخروج على السلطين والملوك وصراهم بقصد حملهم على المنهج الشرعي الذي أوجب السير عليه، ويحرض على ارتكاب الأخطار لمقاتلة الملوك الجورة حتى يرجعوا الى الحق<sup>(110)</sup>، فيتحمّل ش. السالمي على القائلين بعدم جواز الخروج المتمسكين بالصبر فيقول: "فعلى الأقل أين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو كما ثبت اجماعاً أنه اليد أولاً وهل اليد إلا العصا ثم السيف؟، وكيف لا يجوز الخروج عليهم وهم يفسدون في الدين ويبدلون حكم الله بحكم القوانين وهذا هو الكفر والواضح"<sup>(111)</sup>.

**خامساً: موقف الأمة من الإمام العادل**

حيث أننا تعرضنا لموقف الاباضية من الامام اذا جار أو السلطان إذا طغى وتجبر. فإنه يجدر بنا كذلك عرض موقفهم من الامام العادل. فأول ما يجب على الرعية طاعته والاخلاص في الانقياد له ولا ينبغي ان يطيعوه، خوفاً منه أو تقرباً له وانما لكون طاعته واجبة من الله على الرعية. وقد وردت نصوص عديدة تصرح بوجوب طاعة أولي الأمر، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم "ان أمر عليكم عبد حبشي مجدوع الأنف وأقام فيكم كتاب الله وسنتي فاسمعوا له وأطيعوا"<sup>(112)</sup>.

(104) أبو القاسم البرادي الجواهر المنتقاة الوارجلاني الدليل والبرهان.

(105) أبو يعقوب الوارجلاني الدليل والبرهان ج3، ص64.

(106) علي يحيي معمر الاباضية بين الفرق ص290.

(107) الوارجلاني الدليل والبرهان ج3، ص64.

(108) علي يحيي معمر الاباضية بين الفرق ص290.

(109) أنظر قصة ولاية أبي القحطان في تاريخ أبي زكريا ص. 57 طبقات الدرجيني ج1، ص21.

(110) سالم السيابي إزالة الوعناء عن أتباع أبي الشعثاء ص78.

(111) م.س، ص: 79.

(112) يعلق أبو إسحاق إبراهيم اطفيش على هذا الحديث بقوله: "انما أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بطاعة العبد على سبيل المثل في وجوب الطاعة وإلا فالعبد لا تجوز إمامته للصلاة فكيف بأمر المسلمين وهذا رد لمن زعم ان الامامة الا في قریش انظر في هامش كتاب الوضع لأبي زكريا يحيى بن أبي الخير ص23 وروى الحديث الامام الربيع بن حبيب في مسند عن جابر عن ابن عباس بلفظ "ان أمر عليكم عبد حبشي مجدوع الأنف فاسمعوا وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله" راجع الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب ط2 عام 1388هـ، ج3، ص211

أما العصيان والتمرد على الامام فحرام قطعاً، يقول أكبرلي نقلاً عن الإباضية: " والتمرد على الامام من ابشع الجرائم بل يجب على العكس مساندته ضد أعدائه"<sup>(113)</sup> فالثورة على الامام العادل منكرة عند الإباضية<sup>(114)</sup> وكل عمل يؤدي الى إحداث شغب وتشويش في الدولة ممنوع يجب إيقاف صاحبه وتأديبه، ومن الأحاديث الواردة في هذا الشأن قوله صلى الله عليه وسلم: " من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية"<sup>(115)</sup>.

وقوله صلى الله عليه وسلم: " من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية"<sup>(116)</sup>. وهكذا يوجب الشرع طاعة أولي الأمر بل ويفرنها بطاعة الله ورسوله. يقول صلى الله عليه وسلم: " من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني"<sup>(117)</sup> وهذا تأكيد لقوله تعالى:

[ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم... ]<sup>(118)</sup> الآية.

وإذا ظهر من الامام نقصاً وتهاوناً أو إهمالاً بواجب من واجباته كان لا بد من الرعية والخاصة بصفة أولى نصحه وتحذيره وتنبيهه قال صلى الله عليه وسلم: " الدين النصيحة" ولما سأله الصحابة لمن النصيحة قال: "لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"<sup>(119)</sup>. والواقع ان نصح الامام وارشاده وتحذيره واجب حتى في حالة جوره فكيف اذا عدل وأخطأ؟ قال صلى الله عليه وسلم: " أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر"<sup>(120)</sup>. وانما المطلوب في النصيحة أن تكون بلطف ورفق تأدبا بمقام الامام حتى لا تجرح كرامته، كما انه ينبغي للإمام ان يقبل النصيحة ممن جاءت ولا يترفع عن قبول الحق اذا ظهر.

#### سادساً: مسؤوليات الإمام وواجباته

اذا انتخب الامام وتمت له البيعة الشرعية أصبح هو المسؤول الأول في الدولة، وتمتع بصلاحيات مطلقة في حدود الشرع فله ان يحكم بما يراه صواباً، ويجتهد في إقامة العدل بين الناس واعطاء كل ذي حق حقه، ويحسن له في ذلك ان يستعين بمجلس الشورى أو بوزير، ولكن اعتماده على المستشارين والوزراء لا يرفع عنه المسؤولية. لأن الامام الاباضي لا يتمتع "بحصانة معينة فهو مسؤول عن إجراءاته والقرارات التي يتخذها"<sup>(121)</sup> وبالتالي فإنه يتحمل كل تبعية ناتجة عن تصرفاته أو قراراته الغير شرعية، وهو بذلك لا يختلف عن غيره من أفراد رعيته، فان أمر الامام بإقامة الحد على أحد من غير استحقاق وأدى ذلك الى موته وجب "على الامام دفع الدية من ماله الخاص"<sup>(122)</sup> وهذا خلافاً للقائلين بعصمة الامام من الشيعة. أما مهام الامام وواجباته فكثيرة ومختلفة، خاصة اذا اتسعت رقعة حوزته ودخلت تحت لوائه أمم عديدة وشملت دولته أقطاراً كثيرة ويمكن جمع أهم واجبات الامام في الميادين الآتية:

(113) Pierre Cuperly, Introduction a I, etude de I, Ibadisme ..p.292.

(114) فاروق عمر التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين ط2 دار اقرأ بيروت لبنان 1406هـ - 1985م ص56 نقلاً عن أبي المؤثر الأحداث والصفات (مخ) بدار الكتب المصرية القاهرة ورقة 4 و 5.

(115) متفق عليه، عن ابن عباس ذكر أ. عز الدين بليق في منهاج الصالحين من أحاديث سنة خاتم الأنبياء والمرسلين. دار الفتح بيروت 1978 ص466.

(116) م.س.ص466 رواه مسلم عن ابن عمر (رضي).

(117) م.س.ص466 عن أبي هريرة (رضي) متفق عليه.

(118) النساء 59

(119) عز الدين بليق منهاج الصالحين ص410 رواه مسلم عن أبي رقية تميم بن أوس.

(120) م.س.ص: 412 رواه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري (رضي).

(121) عمر فاروق، التاريخ الاسلامي ص58.

(122) م.س.ص: 58 نقلاً عن الصانفي كنز الأديب وسلافة النبي (مخ) ورقة 84أ

الأمن، الإدارة، الدعوة، الاقتصاد، الاجتهاد. ففي هذه الميادين يكون مدار نشاط الامام وله في كل منها مسؤوليات محددة وفيما يلي بيان ذلك.

#### أ-المسؤوليات الأمنية

من أول مهام الامام في مرحلة الظهور السهر على توفير الأمن لشعبه وحماية الدولة من كل مكروه، ولذلك يعتبر الامام الاباضي قائد الجيوش<sup>(123)</sup> مثل ما كان عليه الأئمة الرستميون، وقد ضرب الامام أفلح أروع مثال في القوة والشجاعة وكان عبد الوهاب في شبابه يقاتل وحده ما يقارب خمسمائة رجل<sup>(124)</sup>.

ومن متطلبات الأمن ان يمنع الامام رعيته من استعمال السلاح بل عليه "أن يحظر حمل السلاح"<sup>(125)</sup> اذا خيف منهم البطش والهلاك كما يدخل ضمن الاحتياطات الأمنية مراقبة مداخل ومخارج المدينة وبقية الحراسة على الأبواب وعند اقتضاء الحاجة يراقب حدود الدولة فيمنع الخارج من البلد والداخل فيه لمن لا يرغب فيه، ولكن تبقى حرية التنقل والحركة مكفولة فالسفر مباح من حيث المبدأ "فلا يجوز حجره ولا منعه على أحد الا ان يكون سفره في معصية فمنعه يكون على وجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"<sup>(126)</sup> وقد يكون السفر والارتحال واجبا فيأمر به الامام لأسباب أمنية خالصة مثل ما فعله يعقوب بن أفلح<sup>(127)</sup> حين أمر السكان بالهروب الى وارجلان عند سقوط تيهرت<sup>(128)</sup>.

ومن المسؤوليات الأمنية ان يعاقب الامام كل محارب<sup>(129)</sup> ظهر في البلد لقوله تعالى:  
[إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا  
أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في  
الآخرة عذاب عظيم] <sup>(130)</sup>.

الا ان الوارجلاني يقول ان العلماء اختلفوا في ظاهر هذه الآية وباطنها ويعني بذلك أنهم لم يحددوا المسؤول على تنفيذ الأحكام الواردة فيها فهو الامام أم سائر المسلمين. فقال: " بعضهم الامام ولا ينفذه غيره كسائر الحدود وقال بعضهم ان حكم الله جائز لمن قدر على إنفاذه. وقال بعضهم أما القتل فجائز في الظهور (...). أما سوى ذلك فلا يجوز الا للإمام"<sup>(131)</sup>

ويدخل في حكم المحاربين كل من سعى في فتنة واحداث القلائل وأثار الشغب في المجتمع وروع الأمنين فعلى الامام ان يتصدى لهم ويقاثلهم " وأن كانت في تلك الفتنة والحكم فيهم ان تقتل تلك السلاطين وجميع جنودها وتعفي العامة ومن أجبروه على الدخول معهم في فنتتهم"<sup>(132)</sup> إذن فتوفير الأمن في الدولة هو أهم شيء يعتني به الامام ويرى الوارجلاني ان الدفاع عن الوطن وقهر كل ظالم أراد الاعتداء عليه حق من حقوق الأرض التي يأكل الامام خراجها<sup>(133)</sup>، إذ لا يستقيم أمر الدولة لم تضمن أمنها ولا استقرار أوضاعها.

#### ب-المسؤوليات الإدارية

(123) Angel Gerrard, I, Imamate Ibadite de Tahert, p.p. 107- 108.

(124) م.س نفس الصفحة، نقلا عن سير أبي زكريا ص:142.

(125) عمر فاروق، التاريخ الاسلامي ص60.

(126)

(127) آخر الأئمة الرستميين وهناك من المؤرخين من لا يعتبره إماما من الأئمة الرستميين رغم تولية الامامة لأربع سنوات ثم عزل انظر تاريخه في أخبار في أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير ص 96 و100 سير أبي زكريا ص188.

(128) Dangel Gerrard, I, Imamate Ibadite de Tahert, p.p 107- 108

(129) يعرف الوارجلاني المحارب بقوله: " كل من أخاف السبيل وأعلن الفساد في الأرض".

(130) المائدة الآية33

(131) الوارجلاني الدليل والبرهان ج3، ص:58.

(132) م.س، ص: 58.

(133) م.س، ص:66.

على الامام ان يحسن اختيار العناصر ذات الكفاءة والمؤهلات العالية لمساعدته في إدارة شؤون الدولة، وعليه ان يقوم بتصويب قضاياه وعماله وباقي مستخدميه بنفسه، ولا يجوز للامة أن يولوا على أنفسهم من يرغبون فيه دون إشراف الامام على ذلك مثل ما حدث في عهد الامام عبد الوهاب حيث " ائتمرت العامة من الناس ان يولوا على أنفسهم خلف بن السمح" (134) وظنوا ان ذلك أوفق لأمر المسلمين... " ولما بلغ ذلك الى الامام كتب إليهم معاتبا وأبطل ما قدموا عليه(135).

فإذا عين الامام القضاة والولاة والقائمين بالحسبة والجبابة وجب عليه متابعتهم ومراقبة أعمالهم ويتعهدهم بالعناية الكافية لإنجاز خدماتهم في أحسن وجه. ومن واجب الامام عزل الوالي الفاسد "اذا شكته الرعية ولا يكفهم على ذلك بينة(...). بل يعزله ويولي غيره من أهل الأمانة والفضل" (136) ويذكر ابن الصغير ان قبائل مزاته وسدراته وغيرهم بعثوا جماعة الى الامام عبد الوهاب يشتكون من أحوالهم فقال قائلهم للإمام: "ان رعينك قد ضجرت من قاضيك وصاحب بيت مالك والقائم بشرطتك فاعزلهم عنهم. وول عليهم خيارهم" (137) فأثنى عليهم الامام وفوضهم لاختيار من يروونه صالحا(138).

وكما يجب على الامام مراقبة عماله فكذلك يجب على الرعية بأن يتعاهدوا ولا يغفل عنها وان لم يفعل فهو مقصر في حقهم.

### ج- المسؤوليات الدينية

حيث ان الفكر السياسي عند الاباضية لا يفصل بين الدين والدولة فإن الامام لا ينبغي منه إهمال جانب على حساب الآخر، ومن أهم مسؤوليات الامام الدينية الدعوة الى دين الله ما أمكن، والحرص في خدمة الاسلام والتمسك بمبادئه والمحافظة على قيمه وتعاليمه. تنقسم الدعوة الى قسمين، دعوة داخلية، ودعوة خارجية، أما الداخلية فتتعلق برعاية المصالح الدينية للمواطنين ومنها إمامة الصلاة فإن تعذر على الامام الالتزام بها في سائر الصلوات فلا ينبغي على الأقل ان يتخلى عن إمامة صلاة الجمعة(139) كما يجب على الامام ان يجتهد في إرشاد الناس لمعرفة دينهم بالوعظ وعقد الحلقات وتعيين المشايخ للإفتاء والتدريس وتبليغ الدعوة ومن واجب الامام السعي في بناء المساجد وحمل الرعية على عمارتها.

#### واجب الامام مع أهل الخلاف:

تشمل الدعوة الداخلية للإمام نشاطه في استدراج المخالفين الى ترك ما به افترقوا "فإن أجابوا للدعوة واهتدوا صاروا إخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا وسعنا وإياهم العدل..." (140)، أما ان اختاروا البقاء على مذهبهم وفضلوا " الانفراد ببلادهم وأجروا فيها أحكامهم تركناهم وذلك ما لم يكن ردا على آية محكمة أو سنة قائمة" (141) ويعين الامام واحدا منهم يقوم بواجب الحقوق عليهم، ولا يتركهم الامام يظهرون منكرا ولا أن يحدثوا ما لم يكن الا ان يكون أمرا لا

134) هو خلف بن السمح بن عبد الأعلى وزير عبد الوهاب كان يقوم بالتدريس ويعقد الحلقات أنظر طبقات الدرجيني ج-1، ص67. سير الشماخي ص: 163 الأزهار الرياضية ج2، ص147.

135) أبو زكريا سير الأئمة وأخبارهم، تح إسماعيل العربي ص: 19-20.

136) عمر فاروق التاريخ الاسلامي، ص: 59 نقلا عن الصانفي كنز الأديب ورقة 584.

137) ابن الصغير أخبار الأئمة الرستمييين تح د محمد ناصر و إبراهيم بحاز ص42.

138) تشير المصادر الاباضية أن الامام رجع عن قوله بتغيير عماله بعد أن أرشد خاصته وكان ذلك سببا لنقمة المشتكين عليه ومن ثم ظهرت فرقة النكار أنظر م.س، ص: 42 و 44.

139) Dangel Gerard, I, Imamat Ibadite. P.107. Dangel.

140) الوارجلاني الدليل والبرهان ج3، ص: 54.

141) م.س، ص: 54.

مكروه تحته<sup>(142)</sup>، ويجب في كل ذلك ان يعترفوا بالسيادة للإمام فيأتمروا بأوامره وينتهوا بنواهيته.

أما الدعوة الخارجية فيتركز نشاط الامام على دعوة أمراء أهل الكتاب واليهود والنصارى والصابئين مطلقاً وعبدة الأصنام وجاحدي الله... يدعو هؤلاء جميعاً الى الاسلام "فإن قاتلهم وسباهم وغنمهم"<sup>(143)</sup> ويفرض عليهم الامام جزية يدفعونها ما دام الامام قادراً على منع الظلم عنهم، فإذا جمع مالا أعطى فقراء أهل الجزية منها، وفقراء أهل الزكاة منها ولو مخالفتهم<sup>(144)</sup> ولا يأخذ الجزية غير الامام وإلا لم يعامل فيها أو يأخذها كل من منع الظلم عنهم<sup>(145)</sup>، هذا رأي القطب في واجب الامام على أهل الكتاب. أما ش. أبو زكريا لا يرى قبول الجزية منهم ويحل سبيهم وغنيمتهم أموالهم وسفك دمائهم ما داموا على شركهم<sup>(146)</sup>. أما اذا استجابوا للدعوة ودخلوا في الاسلام فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

#### د- المسؤوليات الاقتصادية

يدخل في الميدان الاقتصادي كل ما له علاقة بتنمية الموارد المالية في الدولة من زراعة وتجارة وصناعة، وجمع الزكاة وجبي الخراجات، وغنائم الحروب، وما يجمع الجزية، وغير ذلك. وجميعها تقع تحت تصرف الامام فيتولاها بنفسه مباشرة أو يعين من يقوم بأعبائها. الزراعة والتجارة والخدمات الحرفية يجب أن تخضع لنظام عام تحت إشراف الامام لا ينبغي لأصحاب هذه الصناعات أن يحددوا عنه والا تعرضوا للعقوبات<sup>(147)</sup> وعادة ما يتولى الإشراف على مراقبة هذه البضائع رجل يعينه الامام يدعو المحتسب وقد يستعين هذا بأعوان. أما الزكاة فيضع القطب نظاماً لها ويترك للإمام حرية التصرف فيه بالزيادة والنقصان حسبما تقتضيه الظروف. فبعد أن يجمع عمال الامام الزكاة المفروضة، يقسمها الامام ثلاثة أسهم فيعطي كل بلدة ثلث زكاتها. وقد يعطي لها النصف ان رأى ذلك، وتوزع الزكاة بين أهل البلدة جميعاً "ولو مخالفتهم" أما الباقي فيرفعه لمصالح الإسلام وأن يرى الامام ضرورة رفع الزكاة كلها لموجب أو تقريظ زكاة البلد كلها فيها جاز له<sup>(148)</sup> ومن موجبات رفع الزكاة كلها ان يحتاج الامام إلى مال لتجهيز الجيش للجهاد، أو جمعه لتبرع به لصالح فقراء بلد مسلم محتاج. وقد يكون الموجب اكتفاء سكان البلدة مادياً بحيث لا يحتاجون إلى مال وفير.

ويبين ش. أطفيش طريقة توزيع المال على المحتاجين فيقول: "يعطى الفقير مؤونة سنة ودينه وما يتزوج به أن ويعتبر فيها الأفضل فالفاضل والمحتاج وذو السن والضعف"<sup>(149)</sup> وغالباً ما تقدر المؤونة التي تكفي للسنة فتعطي للمحتاج أما إذا كان ذا عيال فيزداد له قيمة خادم أو ما يصير به غنياً، وتصرف الزكاة في غير ما تقدم على النحو التالي: <sup>(150)</sup>.

\* ابن السبيل: يعطى له - إن كان غنياً - ما يوصله إلى غايته.  
\* الغازي: وهو في حكم المسافر في مهمة يعطى له ما يكفيه ذهاباً ورجوعاً أو ثمن مؤونة عام.

\* الامام: يأخذ الزكاة - ان احتاج - مؤونة عام.

(142) م.س، ص 54.

(143) محمد أطفيش الذهب الخالص ص 70.

(144) م.س، ص 72.

(145) م.س، ص 72.

(146) أبو زكريا يحيى بن أبي الخير الوضع ص 20.

(147) أنظر نظام الحسبة ومراقبة الأسواق في الفصل التالي.

(148) محمد أطفيش: الذهب الخالص ص 234.

(149) م.س، ص 234.

(150) م.س، ص 234.

وينبغي للإمام أن يحصي مدا خيل الدولة المالية من الزكاة والضرائب والرسوم ومال الجزية وخراج الأرض " والكفارات، والأموال الموقفات واللقطات.. والوصايا المعينات والوحدات وغير المرحدات كالوصايا للمساجد والسداد، والطرق المسبلة، وقبض الديات من قاتل العمد والخطأ الذي لا ولى له من القتلى وكذلك فطرة الأبدان" (151). وبعد إحصاء هذه المداخل يشرع الإمام في توزيعها بين المستحقين من الرعية. وبالقسط والعدل وفق مبادئ الشريعة. وله أن يستثمر منها لصالح الدولة .

وحيث أن الإمام الإباضي يعتبر أمينا عاما على بيت مال المسلمين فإنه المسؤول الأول على أملاك الدولة ويتحمل كل المسؤوليات المالية. على أنه من الممكن أن يعين وزيراً ليعينه في مهام المالية وينوبه عند الحاجة كما يجوز له تعيين العمال والجبابة لجمع الزكاة " وينبغي أن يكون جابي الزكاة بمنزلة الإمام في زوال العاهات وصحة الأمانات لأنه علم من أعلامه وشعبه من أحكامه (152). وهنا يؤكد الإباضية على ضرورة الالتزام بالعدالة في عملية جمع الزكاة ولذلك يتعين على الإمام أن يختار الرجل المؤهل للقيام بهذه المهمة. ومن مهام الإمام الاعتناء بالأوقاف والحبوس (153) فلأنها ملك للمسلمين جميعاً وعادة ما يكلف الإمام وكيلا لكل مسجد يهتم بشؤون أوقافه وحبوسه.

#### هـ- المسؤوليات الاجتماعية

إلى جانب ما تقدم من مهام الإمام ومسؤولياته يجب عليه كذلك أن يهتم بمصالح المسلمين الاجتماعية وأن يتعاهد رعيته بالعناية اللازمة، ولا يغفل عنهم في شيء من شؤونهم الاجتماعية وأهمها العناية بالأيتام والأرامل والشيوخ وأبناء السبيل، وإكرام الضيوف، وعلى الإمام أن يتأدب للرعية " ويتفقد أحوالهم بلا حيف على أحد وأن يعود مرضاهم ويشهد جنازتهم ويفتح لهم بابهم ويباشر أمرهم بنفسه" (154) فلا يجوز له أن يحتجب عن الشعب إلا في أوقات الضرورة. لقوله صلي الله عليه وسلم " من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم ... حجبه الله عن حاجته يوم القيامة .

ومن أهم حقوق المواطنين التي يجب على الإمام مراعاتها، تأمين الحرية الإنسانية لأنها من أسمى المبادئ التي قررتها الشريعة الإسلامية فعلى الإمام بالخصوص أن يكفل حرية التفكير وحرية الاعتقاد وحرية التنقل وغيرها لكن في الحدود التي يتعدى الواحد حدود حرته على حساب حقوق الآخرين وأي قيد يفرضه الإمام على رعيته في هذه الحريات يعتبر مساسا بالكرامة الإنسانية التي أوصي الله على حمايتها قال تعالى: ( ولقد كرّمنا بني آدم ... ) (155)

(151) عمر فاروق، التاريخ الإسلامي، ص60 نقلا عن الصانفي دون ذكر رقم الورقة.

(152) م.ب.س، ص:60، نقلا عن الصانفي ورقة 88 أ.

(153) Marcel Mercier, Etude sur le Waqf Abadite, et ses application au M, Zab imp: Jules Carbonel, Alger, 1927.

(154) عمر فاروق، التاريخ الإسلامي نقلا عن الصانفي (نز الأديب ورقة 84 ب.....

(155) الاسراء الآية:70.

## الفصل الرابع أعوان الامام

أولاً: مجلس الشورى  
ثانياً: الوزير  
ثالثاً: القاضي  
رابعاً: الولاية  
خامساً: الحسبة والشرطة  
سادساً: الجيش

لا يختلف جهاز الحكم في الدولة الاباضية كثيرا عن الأجهزة الأخرى في الدول الإسلامية من حيث الشكل، حيث نجد- تقريبا- في كل دولة حاكما هو المسؤول الأول- قد يكون إماما أو خليفة أو ملكا أو سلطانا أو أميرا- والى جانبه أعوان "يمثلون الحكومة يساعدون الحاكم في تسيير شؤون الدولة وهم في الغالب : الوزراء والعمال والولاية والقضاة والجبابة وقواد الجيوش

وصاحب بيت المال وصاحب الشرطة والمحتسب وغيرهم<sup>(1)</sup>، وقد تختلف التسميات والألقاب بين حكومة وأخرى إلا أن المناصب المذكورة تبقى هي عمدة السلطة وصاحبة الحق في تدبير شؤون الرعية هذا من حيث الشكل.

أما نوع النظام فلا يخلو من تفاوت واختلاف بين دولة وأخرى ففي الحين الذي يقوم فيه النظام الملكي على الوراثة وولاية العهد حيث يشترط في الإمام الأبوة<sup>(2)</sup> لتولية السلطة، نجد شرط الكفاءة في النظام الديموقراطي هو أول شرط ينظر إليه في تعيين الإمام.

من هنا نلاحظ أن مؤسسات السلطة في الدولة الإباضية وإن اتفقت مع مثيلاتها في الدول الأخرى إلا أنها أقيمت أساساً لتجسيد مبدأ الديموقراطية وتطبيق هذا المبدأ من خلال ممارسة السلطة في الحياة اليومية فلنأخذ -مثلاً- الوزير يراه ابن أبي الربيع (ق 3هـ/9م) "شريكاً في الملك"<sup>(3)</sup> مع الملك دون غيره حتى أن الملك "لا يشاور أحداً دونه ولا يقدم أحداً عليه"<sup>(4)</sup> وبهذا يصبح الحكم حكراً على فرد واحد في شخص الملك والوزير لأنه في حكم الملك، وهكذا اختار ابن أبي الربيع الشكل (الموناركي) من أشكال الحكومات<sup>(5)</sup> أما الوزير في نظر ش.أطفيش لا يعدو كونه رجلاً كسائر الرعية أوتي خبرة في تدبير شؤون الحكم فالتزم جانب الإمام لمساعدته في مهامه فالوزير مستشار وليس مالكا.

نعود إلى نظام الحكم في الدولة الإباضية الذي يتكون طاقم السلطة فيه من مجلس أعلى للشورى والوزير والولاة والقضاة والشرطة والجيش وفي حالات خاصة يتقلص جهاز الحكم لينحصر في الإمام ومجلس الشورى فحسب وذلك إن كانت الدولة فتية حديثة النشأة قليلة العدد كما يمكن لجهاز السلطة أن يتسع ويكبر ليشمل العديد من المناصب حسب اقتضاء الحاجة فيزداد عدد الوزراء والولاة والقضاة وقواد الجيوش ويستعين هؤلاء بعمال وجباة وسعاة يعملون تحتهم وهذا في حال اتساع رقعة الدولة وازدهارها وارتفاع عدد سكانها. وفيما يلي عرض لأهم المناصب الحكومية التي يستعين بها الإمام في أداء مهامه.

#### أولاً: مجلس الشورى

من خلال مجلس الشورى يتجسد مبدأ ديموقراطية السلطة في نظام الحكم في الدولة الإباضية. والمجلس هو أعلى هيئة سياسية في البلاد، "وهو ممثل الشعب"<sup>(6)</sup> لدى الحكومة. أما أعضاؤه "فجماعة من خيرة العلماء المجتهدين من أهل الخير والصلاح ممن يمتازون بالتضلع في العلم والتبريز في الدراية بشؤون الدين وأصوله العقائدية والفرعية"<sup>(7)</sup>. وللمجلس صلاحيات واسعة لا يحق للشعب أن يتدخل فيها ومن أهم صلاحياته ما يلي<sup>(8)</sup> أ- التشريع الاجتهادي - في حدوده- وبهذا يكون المجلس هو المرجع الأول للإمام في المسائل الاجتهادية.

(1) يضيف ابن أبي الربيع: كتاب عارف، حاجب عاقل، حاكم عادل، حكيم مجرب، جليص صالح، صاحب الطعام والشراب، انظر كتابه سلوك الممالك في تدبير الممالك.

(2) وهو أن يكون من أهل بيت الملك انظر ابن أبي الربيع المسالك. تج ناجي التريكي ص 176.

(3) م.س، ص 193.

(4) م.س، ص 193.

(5) محمد جلال شرف، نشأة الفكر السياسي وتطوره في الإسلام، ص 149.

(6) انظر Dangel Gerrard, I, Imamate Ibadite de Tahert, p.p 107.

(7) رشيد بوروييه الجزائر في التاريخ ج3، ص 105.

(8) Dangel Gerrard, I, Imamate Ibadite de Tahert, p.p 107.



ب- اختيار الامام وتنصيبه، ثم مراقبته في تصرفاته وأعماله في تسييس الرعية وذلك في الاطار الديني.

ج- الاهتمام بالمسائل السياسية والعلاقات الدولية<sup>(9)</sup> ومساعدة الامام في معالجة المشاكل.  
د- إصدار القرارات الهامة كإعلان الحرب أو الهدنة في السياسة الحربية وإعلان التقشف وتحديد الميزانية في السياسة الاقتصادية وفي الغالب تصدر هذه القرارات عن الامام بعد استشارة المجلس.

هـ- الاتصال المباشر بالشعب قصد التعرف على أحواله ومشاكله ومطالبه<sup>(10)</sup> ونظرا لذلك يحسن ان يتكون المجلس " من ممثلي الشعب بمختلف طبقاته وقبائله"<sup>(11)</sup>.

و- دراسة تقارير الولاية والقضاة والعمال، ورؤساء الشرطة وإصدار الأحكام المناسبة والفصل في النزاعات<sup>(12)</sup>.

ز- والمجلس هو الهيئة الوحيدة التي لها حق النظر "في قضية عزل الامام من دون تردد ان هو حاد عن طريق الحق"<sup>(13)</sup>.

ان وجود هذه الهيئة العليا في الدولة كقاعدة يرتكز عليها الحكم، ويعتمد عليها الامام في أداء مهامه السياسية وفي رعاية شؤون الامة يعني استبعاد كل أشكال الاستبداد بالرأي الواحد والتصرف وفق رغبات فرد واحد كما هو الشأن في الأنظمة الملكية، والدولة الاباضية حين تقيم على مبدأ الشورى انما ترمي بذلك تطبيق المبادئ الاسلامية والعمل بما جاء في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

#### " وشاورهم في الأمر"<sup>(14)</sup>

ثم ان الامام لا تكتمل مؤهلاته الا اذا كان مشاورا أهل المشورة في أموره كيف لا والمشورة مبدأ ميز الله به المؤمنين عن غيرهم " وأمرهم شورى بينهم"<sup>(15)</sup> وهو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام<sup>(16)</sup>.

وثمة ملاحظة تلعب دورا مهما في الميدان السياسي وهي أن أعضاء مجلس الشورى لا ينبغي لهم ان ينقسموا الى جماعات ولا يشكلوا كتلا حزبية داخل المجلس "لأن الاسلام يأبى تحزب أهل المشورة"<sup>(17)</sup> وأفضل طريقة لإبداء الرأي هو ان يتبنى كل واحد وجهة نظره ويدلي برأيه بصفته الفردية، على ان يكون محميا بحصانة سياسية لانتمائه الى هيئة رسمية. هذا رأي الاباضية في ممارسة السلطة النيابية ولعل هذا ما يدعى اليوم بمنع تعدد الأحزاب مع إبقاء حرية التعبير عن الرأي ضمن أطر شرعية وإذا نظرنا الى طبيعة الحكم الذي قامت عليه الدول الاسلامية وجدنا الاباضية " وحدهم الذين طبقوا مبدأ الشورى في الحكم بعد الخلفيتين"<sup>(18)</sup>.

#### ثانيا: الوزير

(9) م.س، ص 107.  
(10) رسالة علماء جربة الى ش. إبراهيم أبو اليقظان أوردها في ملحق العزاية.  
(11) Dangel Gerrard, I, Imamate Ibadite de Tahert, p.p 107  
(12) م.س، ص 107.  
(13) رشيد بورويبه الجزائر في التاريخ ج3، ص 105  
(14) آل عمران الآية 159.  
(15) الشورى الآية 28  
(16) أنظر فضل المشورة: إسماعيل الجيطالي قناطر الخيرات ج3، ص 179.  
(17) أبو الأعلى المودودي نظرية الاسلام السياسية ص 56.  
(18) عوض محمد خليفات الأصول التاريخية للفرقة الاباضية ص 54.

الوزير في الدولة الاباضية هو المستشار للإمام ومساعدته وناصحه ونائبه وهو الانسان المقرب للإمام يلزمه فيندارس معه المسائل السياسية وكل ما يتعلق بتدبير شؤون الرعية، يرى ان مهمة الوزير هي "القيام بمصالح ملك السلطان وهي أربعة: عمارة بلاده وتقويم أجناده، وتتمير مواده، وحياطة رعيته"<sup>(19)</sup> أما ابن أبي الربيع فيقول: " لا بد من وزير..معين على حوادث الدهور يكشف صواب التدبير (... ) وهو شريك في الملك المشير فيه بحفظ أركانه...."<sup>(20)</sup>.

ويبدو أنه لا خلاف بين الاباضية والعباسيين في ضرورة اتحاد الوزير لما له من دور كبير في الحكم لكن الفرق يظهر جليا في أن الوزير العباسي يأخذ منصب رئيس الحكومة بمعنى أنه يملك صلاحيات غير محدودة للتصرف في شؤون المملكة وقد لا يكون وجود الملك الاشكليا. بينما الوزير لدى الاباضية مختلف عن ذلك، فصلاحياته محدودة في الاستشارة وإيداء الرأي والنصح والتحذير إما ان يصدر القرار وينفذ باسم الملك فلا أعتقد انه يجوز له ذلك. ثم ان الوزير الاباضي مراقب من طرف مجلس الشورى وهو معرض في أي وقت لتغييره اذا أحدث ما يوجب ذلك. بينما الوزير العباسي لا مراقب له، بل يتمتع بتقويض من الملك يتصرف بموجبه كما يشاء في شؤون الدولة.

والوزير الاباضي كما يرى ش. اطفيش هو يمين الامام ودليله اذا صلح الوزير صلح الامام وإذا فسد الوزير أفسد الامام. ولذلك يتشدد في اختيار من يصلح للوزارة، ويستشهد القطب بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اذا أراد الله بالأمر خيرا جعل له وزير صدق أن نسي ذكره وان ذكر أعانه، وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه"<sup>(21)</sup> وينبغي للإمام ان يحسن اختيار وزيره فإذا اختاره أحبه وقربه وجعله موضع ثقته قال الامام عبد الوهاب في وصف علاقته بوزيره السمع<sup>(22)</sup>: " قد علمتم ان السمع وزيرى وأحب الناس إلي وأنصحهم ولن أريد مفارقتة"<sup>(23)</sup> ولنا مثال حي للوزير المثالي في الدولة الرستمية وهو أبو اليقضان محمد بن أفلح<sup>(24)</sup> الذي كلفه أخوه أبو بكر بن أفلح بمهام الوزارة بعد رجوعه من المشرق فكان " يقوم بشؤون الدولة الكبرى كالنظر في رسائل العمال والولاية...وفض المشاكل التي يرفعها الى الامام ومراقبة مال الدولة وصرفه في وجوهه وقراءة البريد السياسي الذي يأتيه من الملوك والأمراء... والإجابة عنه"<sup>(25)</sup>. وكان يتخذ أعلى مسجد في المدينة مجلسا له لمباشرة أعماله " فمن تكلم إليه من الناس بين العمال والقضاة وأصحاب الشرطة نظر في ذلك نظرا شافيا وأجرى الحق على من رضي وسخط عظم قدره أو صغر ولم تأخذه في الله لومة لائم"<sup>(26)</sup>. وفي آخر النهار يتصل بالإمام ليخبره عن أحوال الرعية وأحداث اليوم فإذا كان الصباح أخبره بأنباء الليل.

هكذا كانت سيرة الوزير الاباضي وهي ما ينبغي أن تكون عليه، وقد لا يقدر الوزير الواحد على هذه الأعباء فللإمام ان يتخذ أكثر من وزير واحد<sup>(27)</sup> ان احتاج إليهم.

19) الماوردي: أدب الوزير القاهرة 1929م ص49.

20) د. ناجي التريكي، الفلسفة السياسية عند ابن أبي الربيع مع تحقيق كتابه سلوك الممالك في تدبير الممالك دار الأندلس بيروت 1983م، ص:193.

21) محمد اطفيش جامع الشمل في حديث خاتم الرسل ص:297 قال رواه أبو داود والبيهقي

22) سبقترجمة له.

23) أبو زكريا كتاب الأئمة وأخبارهم تح اسماعيل العربي ط2، ص118

24) تولى الوزارة في عهد أخيه أبي بكر الذي تنازل عن الامامة لأبي اليقضان بعد أن حكم سنتين خلفا لأبيه أفلح توفي أبو اليقضان سنة 281م بعد

27سنة من الحكم راجع سيرته في تاريخ ابن الصغير ص:64-74-89 طبقات الدرجيني ج2، ص83 ص:84 سير الشماخي ص:221-222

الأزهار الرياضية ج2، ص237.

25) محمد علي دبور تاريخ المغرب الكبير ج3، ص568.

26) ابن الصغير تاريخ الأئمة الرستمييين تح د محمد ناصر و أبحاز إبراهيم ص64

27) Dangel Gerrard, I, Imamate Ibadite de Tahert, p.p 114

### ثالثاً: القاضي

من المفروض أن يتولى الامام مهمة القضاء بنفسه، لكن حيث أنه لا يستطيع ذلك نظراً لاتساع الحوزة وارتفاع الكثافة السكانية وكثرة ما يحدث بين الناس من خصوم ومنازعات فإنه يتعين عليه تولية غيره لمنصب القضاء وهو من أكبر المراكز الإدارية في الدولة<sup>(28)</sup> فإذا لم يكف واحد عين أكثر من قاض حسبما تقتضيه المصلحة العامة فيجعل على رأسهم قاضياً عاماً تسند إليه مهمة قاضي القضاة وهي الإشراف العام على النشاط القضائي وتولية القضاة في الأماكن البعيدة بتكليف من الامام وفي الغالب يساعده جماعة من العلماء يشكلون مجلساً قضائياً أعلى يتولى البث في القضايا بعد الاستئناف ويعمل هذا المجلس تحت إشراف الامام وللإمام ان يعول القاضي متى شاء يقول ش. اطفيش " ولو بدون سبب، فإذا عزله انعزل ولكن لا يجوز ان يعزله لهوى نفسه أو عبثاً"<sup>(29)</sup>

ويشترط ش. اطفيش في القاضي ان يكون: " عادلاً، عالماً، فطناً، عدلاً، وتتضمن العدالة: الحرية والاسلام والبلوغ والعقل وعدم الفسق ولا ينبغي ان يكون أعمى ولا ضعيفاً لا يقوم بأمر المسلمين"<sup>(30)</sup> أما الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فيحدد شروط القاضي أو المفتي في خمس خصال لا بد منها فإذا نقصت واحدة كانت وصمة في الامام فلا ينبغي له ان يقضي والخصال الخمسة هي<sup>(31)</sup>:

1- أن يكون عالماً بما مضى من الكتاب والسنة فإنه لا يستقيم ان يكون صاحب رأي ليس له علم بالسنة والآثار والأحاديث.

2- كاف عن أربع يعني:

أ) ألا يرتشي.

ب) حليم عن الخصم يعني يتحلم عن الخصمين وان تصاخبا وتشاجرا بين يديه.

ج) مستخفاً باللائمة يعني الا تأخذه في الحق لومة لائم.

د) مشاوراً لذوي الرأي والعقل والعلم<sup>(32)</sup>.

والواقع ان شروط اختيار القضاة والولاة والجبابة هي نفس شروط اختيار الامام " فلا ينبغي ان يستعمل على القضاة الا الوثوق به في مثل صفة الامام في صلاحه وورعه وفقه وفهمه وعقله وعلمه بالكتاب والسنة والآثار ووجه الفقه الذي يؤخذ منه القياس والرأي"<sup>(33)</sup>.

أما مهام القاضي وصلاحيته فتتلخص فيما يلي:

1- الفصل في النزاعات والحكم بين الناس بالكتاب والسنة واقامة حدود الله بتقويض من الامام ورد المظالم الى أهلها.

2- النظر في الدماء والجروح وما يتلف من أموال المسلمين.

3- النظر في أموال اليتامى والمجانين وتعيين الأوصياء لهم.

4- النظر في الأحباس وتقسيم التركات وتنفيذ الوصايا.

5- عقد نكاح النساء اللاتي لا ولي لهن.

6- النهي عن المنكر بالقول وبالفعل والنظر في مصالح العامة.

28) مهدي طالب هاشم الحركة الاباضية في المشرق العربي ط1، بغداد 1981 صك249 انظر كذلك:

Dangel Gerrard, I, Imamat Ibadite de Tahert, p.p 116

29) محمد اطفيش شرح النيل ج-13، ص13، وهنا يعترض أ.محمد ش. بالحاج على عزل القاضي بدون سبب ويرى ان الصواب في منع العزل الا بموجب شرعي لازم (مقابلة شخصية القرارة صيف 1984).

30) محمد اطفيش شرح النيل ج-13 ص18.

31) تلخصه من رسالة الامام عبد الوهاب الى أهل طرابلس ضمن كتاب شرائع الدين لابن سلام (مخ) نسخة ش. ناصر المرموري ص: 18 و 19.

32) تشبه هذه الشروط ما اشترطه الخليفة عمر بن عبد العزيز في القاضي ابن عبد ربه العقد الفريد ط3، دار الكتاب العربي بيروت، ج1 ص84.

33) رسالة الاسلام عبد الوهاب ضمن كتاب شرائع الدين لابن سلام (مخ) ص: 28.

ويبدو ان الشعب في الدولة الاباضية كان له حق اختيار القاضي مثلما يحق له انتخاب الامام، فالمصادر التاريخية تشير الى ان الخاصة من الناس كانوا يقترحون على الامام تنصيب القاضي الذي يختارونه من بينهم. ولعل من أشهر القضاء في الدولة الرستمية محمد بن عبدالله<sup>(34)</sup> وقبله محكم الهواري الذي اختاره قومه للقضاء فألحوا عليه ليقبل المنصب فقالوا له: "انك ان خالفنا أجبرناك وان أطعنا شكرناك..."<sup>(35)</sup> ولما رضي نزولا عند رغبتهم ثم توليته رسميا من طرف الامام أفلح بن عبد الوهاب لمنصب القضاء.

والقاضي يباشر أعماله في مكان خاص يدعى دار القضاء<sup>(36)</sup> مجهز بكل ما يحتاج إليه ويعين له خادما وكاتباً كما يخصص له الامام مرتبا سنويا من بيت المال لقوته.

#### رابعا: الولاية

الولاية هم نواب الامام في النواحي التي يشرفون عليها وحيث أنهم كذلك فينبغي أن يكونوا في مستوى الامام من حيث التأهل والكفاءة سواء من الناحية الجسمية أو الخلقية أو الفكرية ولذلك يؤكد الاباضية على ان " القول في أحكام الوالي كالقول في أحكام الامام. وأن القول في جابي الزكاة كالقول في الامام"<sup>(37)</sup> ولا ينبغي للإمام ان يحابي قرابته على غيرهم وحرام عليه تعيين أبناء أسرته في مناصب الدولة ويغفل عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله"<sup>(38)</sup> ويقول في حديث آخر " من استعمل رجلا من عصابة (جماعة) وفيهم من هو أرضى الله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين"<sup>(39)</sup> وإذا حدث ان ولى الامام عاملا ظالما فإنه يستتاب مع إصلاح ما أفسد وإلا يحارب ويعزل.

وعلى الامام مراقبة ولاته وجباته ومحاسبتهم في أعمالهم بل حتى في ممتلكاتهم تطبيقا لمبدأ: " من أين لك هذا؟" فلا يحق للوالي قبول العطايا الا ان كانت من الامام جزاء له على حسن سرته. " أما العطايا الدارة- المرتب المعلوم- فهي لصاحبها عمل أو لم يعمل ولعقبه من بعده وان لم يكن له عقب فلمن يوصي به من بعده"<sup>(40)</sup> فإن عف الوالي عن العطايا فليس لأمير المؤمنين منه شيء<sup>(41)</sup> وقد يؤمر الوالي بإنجاز مشروع فيكتب مالا لها، وجب عليه حينئذ تنفيذ المشروع وإلا أعاد المال الى بيت المال.

وفي حالات أخرى يقول الوارجلاني على سبيل المثال: " وان اکتتب في غزوة وتخلف عنها بعدما أخذ عطاءه فإن لأمير المؤمنين معاقبته"<sup>(42)</sup> ويمضي الوارجلاني في بيان حكم الأموال الحاصلة للولاية خاصة بعد انتهاء حكم السلطان من غير الاباضية فإن اقتطع هذا للولاية شيئا من أراضي الفيء فان لهم ان يأخذوه وينتفعوا به ولو حاباهم بذلك دون نظائهم أو دون أهل الصلاح فذلك لهم قطيعة- هبة- لا كما فعل عثمان بمروان بن الحكم وبما حاباه في أمر الخمس"<sup>(43)</sup> أما الفيء<sup>(44)</sup> فيجوز لجميع المسلمين الأكل منه بأفواههم ولا يتخذون منه خيبة ما دام وقفا لم يدفعوه لأحد.

34) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي الشيخ ولي القضاء في عهد الامام أفلح بن عبد الوهاب قال فيه ابن الصغير: "فلم يزل قاضيهم. يحسن السيرة فيهم ويأمر بأمر أبي اليقضان وينهي الى نهيه لا تأخذه في الله لومة لائم" وله مواقف مشرفة في القضاء انظر ابن الصغير أخبار الأئمة الرستميين ص78.

35) م.س، ص50.

36) م.س، ص51

37) عمر فاروق التاريخ الاسلامي ص50 نقلا عن الصائفي كنز الأديب...ص93 ب

38) رواه الحاكم عز الدين بليق منهاج الصالحين ص432.

39) رواه الحاكم ، م.س، ص432.

40) الوارجلاني الدليل والبرهان ج3 ص57.

41) م.س، ج3 ص57.

42) م.س، ج3 ص57.

43) الوارجلاني الدليل والبرهان ج3 ص55، يستثنى حالة عثمان لأن الخمس من حق المسلمين.

44) الفيء هو ما يغنم من الأموال ويعني هما المنتوجات الزراعية من أراضي الغنائم.

والذي نستقيده من هذه النظم الدقيقة وغيرها ان الاباضية يستشعرون روح المسؤولية القيادية ويتحرون العدل والقسط سواء في الحكم بين الناس أو في توزيع الثروات المشاعة بينهم. فالمسؤولية في كل ذلك موزعة بين أعضاء الحكومة ابتداء من الامام ومستشاريه وكل راع مسؤول عن رعيته- كما قال صلى الله عليه وسلم.

#### **خامسا: الحسبة والشرطة**

تقتضي طبيعة المعاملات التجارية والنشاط الاقتصادي وكذا الحركة اليومية للسكان وجود تنظيم يتولى الإشراف على هذا النشاط الإنساني في المدينة وهو ما يعرف بنظام الحسبة منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب<sup>(45)</sup> اعتمدته الدولة الاباضية وطورته ووجهته لصالح أعماله وقوامه شباب متحمس، ورجال أكفاء، ينخرطون فيه عن طواعية<sup>(46)</sup> يقومون بأعمالهم بالتناوب ليلا ونهارا خدمة لدولتهم.

#### **\* ماذا يشترط في رجل الشرطة؟**

ينبغي على الأئمة وولاتهم أن يختاروا لشرطتهم إلا " الرجال العقلاء الأمناء المنقذين المخلصين ذوي الحزم واللطافة، لا يعنفون فيذلون الشعب، ولا يضعفون فيتمرد عليهم، (...) يطبقون قانون الدولة على الناس لا يحاربون أحدا ولا يستثنون إنساناً..."<sup>(47)</sup>.

ويستحسن أن يكون الشرطة من الوافدين على المدينة الذين جاؤوا من نواحي أخرى من الدولة حتى لا تكون لهم عشائر يحابونها ولا أقرباء كثيرين ينحازون لهم، وهذا ما يشير إليه ابن الصغير في تاريخه حيث يقول: " وكانت نفوسة<sup>(48)</sup> تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال وانكار المنكر في الأسواق والاحتساب على الفساق"<sup>(49)</sup> وفي موضع آخر يقول: "وجل من كان عندنا في البلد من نفوسة يتسمون بهذا الاسم"<sup>(50)</sup> إذن فرجال الحسبة والشرطة في عاصمة الدولة الرستمية تبهرت كانوا أجانب وأغلبهم من جبل نفوسة.

#### **\* مهام الشرطة والحسبة:**

يتسع مجال نشاط الشرطة باتساع البلدة وكثرة مواطنيها وبحسب ما تقتضيها الضرورة ويمكن تشبيه الحسبة ومهامها بالحماية المدنية في عصرنا وأعمال الشرطة- الحالية- والدرك الوطني من حيث نوع المهام التي تقوم بها وطبيعة الخدمات الاجتماعية التي تقدمها للمواطنين كحاربة الآفات الاجتماعية وحفظ الأمن الداخلي فضلا عن مهام اللجان الصحية ومراقبي الأسعار ومنظمي الحركة التجارية في الأسواق.....

وفيما يلي بيان المهام الأساسية للشرطة:

- 1- المحافظة على الدين والأخلاق، تنفيذ لتعليمات السلطة فتجوب أنحاء البلدة بحثا عن العصاة والمتمردين، وتمسك على تارك الصلاة، وأكلي رمضان وشاربي الخمر، فتقودهم الى الإمام لينفذ حكم الله فيهم<sup>(51)</sup>.
- 2- مراقبة الأسواق، فتنهى عن الغش والاحتكار وزيادة الأسعار فإن تحققت من تاجر يخدع أو بائع يغش قمعته وأنزلت عليه ما يستحقه من عقوبات<sup>(52)</sup>.

45) حول نظام الحسبة انظر: مقدمة ابن خلدون، الماوردي: الأحكام السلطانية محمد علي دبور تاريخ المغرب الكبير ج3 ص362 موسى لقبال: الحسبة المذهبية، ص16.

46) يرى أ. محمد دبور ان الشرطة الرستمية لا يتقاضون أجرا بل هم متطوعون ولذلك سمي النظام بالحسبة لاحتساب الأجر عند الله أنظر تاريخ المغرب ج3، ص361.

47) محمد علي دبور تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص363.

48) هي نفوسة الجبل بالمغرب الأدنى (ليبيا) لا نفوسة المغرب الأوسط غرب تبهرت م.س.

49) ابن الصغير تاريخ الرستميين، تح د. محمد ناصر و أ. إبراهيم بحاز ص:54.

50) م.س، ص38.

51) محمد علي دبور تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص363.

- 3- الاعتناء بالنظافة العامة وتحريض المواطنين عليها فتأمر أهل الحي بإزالة القذى<sup>(53)</sup> وإمطة الأذى وتعودهم على تنظيف دورهم وكناسة شوارعهم وعدم الاتكالية والأنانية.
  - 4- إعانة المواطنين في قضاء مآربهم ومساعدة الضعفاء في شؤونهم وتهدي الضال، وتغيث الملهوف، وتقود الأعمى وترشد الغريب.
  - 5- مراقبة المقاييس والأوزان عند التجار ومراقبة البضائع المعروضة للبيع للتأكد من سلامتها ومراقبة العملة المتداولة للتأكد من صحتها وعدم تزيفها<sup>(54)</sup>.
  - 6- يهتم المحتسب " في بيع الإماء والأمهات بالاستبراء والمواضعة للمحافظة على رؤوس الأموال وبعثا للثقة في النفوس"<sup>(55)</sup>.
  - 7- مراقبة الصناعة " لضمان سيرها ولتحقيق العدل والتفاهم بين أرباب الصناعة وصبيانهم ولمنع العش في المصنوعات أو إدخال ما ليس منها ولمنع إنتاج المصنوعات المحرمة"<sup>(56)</sup> كتحضير السموم.
  - 8- رعاية الحيوان وحمايته والرفق به، فإن رأى الشرطة " دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها"<sup>(57)</sup> وان رأوا قطا بئسا مهملا أمروا صاحبه بالعناية به، وإذا كان مجهول الدار نقل الى حيث يطعم"<sup>(58)</sup> وكذا يفعل بالكلب المهمل.
  - 9- حماية المواطنين من الآفات والجوائح والكوارث وكل ما يضرهم ومنها مراقبة الأبنية فان رأت الشرطة "بنيانا يتداعى أخلته من سكانه وأمرت أصحابه بهدمه"<sup>(59)</sup> وان رأت حريقا أخذته.
  - 10- السهر على توفير الراحة للمواطنين ومنع كل ما يقلق راحتهم " فإذا أنشأ أحد في وسط المدينة صناعة تضر الحي والجيران بأوساخها أو ننتها أو عجيجها منعه وعينوا له مكانا لصناعته خارج المدينة مع أهل حرفته"<sup>(60)</sup>.
- تلك هي الحسبة<sup>(61)</sup> والشرطة التي اعتمد عليها الأئمة الاباضية في تسيير شؤون الدولة ومراقبة الرعية وقد نشط هذا التنظيم بشكل أوسع في عهد الامام أبي اليقضان<sup>(62)</sup> وهو تنظيم اسلامي تطور عبر مراحل التاريخ الاسلامي ولا يختلف كثيرا بين دولة وأخرى.

#### سادسا: الجيش

من أغرب ما نجده في الفكر السياسي الاباضي أما الامام لا يحتاج الى جيش نظامي دائم، وعلى أهبة الاستعداد وقد يبدو لأول وهلة هذا المبدأ مثالي الى حد بعيد، لكن اذا علمنا ان الحكم الاباضي يقوم على الديموقراطية وحرية النقد وكفالة الحقوق الإنسانية فإننا لا نستبعد وجود علاقة حميمة جدا تربط بين الحاكم والمحكوم هذه العلاقة الطيبة تفرض أليا على المواطن مساعدة إمامه ونصرته وتأييده وإخلاص الطاعة له. وأكثر من ذلك الاستماتة في الذود عنه

(52) م.س، ص362 نقلا عن ابن الصغير يقول أ. إبراهيم بحاز: "لا يشير ابن الصغير الى نوعية العقاب أهو جسماني أو مالي" انظر إبراهيم بحاز الدولة الرستمية ص248.

(53) ابن الصغير تاريخ الأئمة الرستميين ص17.

(54) موسى لقبال الحسبة المذهبية... ط1، ش.و.ن.ت. الجزائر 1971م، ص70

(55) م.س، ص70

(56) موسى لقبال الحسبة المذهبية ص: 71 نقلا عن أحمد بن سعيد التسيير في أحكام التسعير

(57) ابن الصغير تاريخ الأئمة الرستميين ص17.

(58) محمد علي دبور تاريخ المغرب الكبير، ج3، ص363.

(59) م.س، ص363

(60) م.س، ص363

(61) للمزيد من التفاصيل عن الحسبة انظر

Cheikh Berkri, Annales de I, Institute d, etudes Orientales , Alger 1957, tome 15, p.p.: 71- 72

(62) أبو اليقضان بن محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي(0261هـ 281هـ) انظر ترجمته ابن الصغير تاريخ الأئمة ص: 77 الدرجيني

طبقات...ج1، ص83

وحمايته من كل مكروه وأمام هذه الحالة لا يكون الامام ملزماً باتخاذ الجند وتنظيم الجيش<sup>(63)</sup> لأنه ليس في حاجة الى حماية عسكرية ما دام آمناً. من أجل ذلك كله لم يهتم الاباضية بتنظيم الجيوش ولم يروا ضرورة في حماية الإمام والمدينة بالقلاع والحصون والأسوار.

هذا من ناحية أخرى يرى فقهاء الاباضية ان وجود الجيش المسلح في الدولة تحت قيادة الامام "خطراً على المجتمع لأنه يؤدي الى فرض سلطة ديكتاتورية جائرة يمارسها الامام معتمداً على الجيش"<sup>(64)</sup> وبهذا يتحول نظام الحكم من دولة ديموقراطية عادلة الى دولة ديكتاتورية مستبدة. ومن أجل هذا أصر الاباضية على " ضرورة حل الجيش وتفرقه بعد كل معركة"<sup>(65)</sup>.

إذن فمبدأ الاستغناء عن الجيش النظامي في الدولة الاباضية ينبع من أصل نظري ليأخذ بعداً سياسياً وحيث أنه كذلك فإن التجربة العملية أثبتت حقيقتين مختلفتين تمام الاختلاف وهما:  
1- نجاح المبدأ في تحقيق الهدف المرجو منه والمتعلق بتطبيق ديموقراطية السلطة، وإقامة العدل بين الناس وهذا ما نجده في تاريخ الدولة الرستمية وغيرها من الدول الاباضية.  
2- عدم صلاحية هذا المبدأ من حيث افتقار الدولة الى قوة عسكرية منظمة تنظيماً حسناً مستعدة للدفاع عن أمن الدولة في أي لحظة، وهذا ما كانت عليه الدولة الرستمية. ونتج عن سقوطها في يد العبيديين (الفاطميين) بسبب العجز عن الدفاع عن نفسها لعدم وجود جيش نظامي دائم.

لكن هذا المبدأ لا يعني ان الدولة الاباضية مفنكرة تمام الى جيش يحميها من الأعداء سواء من داخل الدولة أو خارجها فالمصادر الاباضية تشير الى ان الجيش في الدولة الاباضية ليس حكومياً بمعنى ان الدولة لم تجهز قوة عسكرية موحدة وانما الجيش فيها يتكون من مجموعة جيوش كل واحد ينتمي الى قبيلته " وكانت كل قبيلة تسليح نفسها وتستعد للحرب لتجيب داعي الامام اذا استنفرها ودعاها لحروبها المشروعة"<sup>(66)</sup> وإذا انتهت الحرب ووضعت أوزارها تفرق الجنود ورجع كل جيش الى قبيلته وهكذا تتولى كل قبيلة تسليح نفسها بتدريب جنودها على أساليب الحرب وتعلم فرسانها فنون القتال استعداداً ليوم الكريهة.

ونظراً لعدم صلاحية هذا المبدأ في ضمان استمرار التواجد الاباضي تنازل هؤلاء عن المبدأ " وهذا ما يلاحظ بوضوح في مرحلة الدفاع والشراء"<sup>(67)</sup> وهذا ما جعل ش.اطفيش يرى ضرورة إنشاء جيش نظامي يتولى الامام بنفسه مراقبته والإشراف عليه لكن يحسن له ان يعين عليه رئيساً يتولى قيادة الجيش ونظراً لأهمية هذا المنصب فإنه ينبغي للإمام ان يختار من بين رجاله الأكفاء واحداً يفوقهم تأهلاً وخبرة، ويصف الشيخ أطفيش قائد الجيش فيقول: " أن يكون ذا بسالة ونجدة وجرأة وشجاعة ثابت الجنان، صلب القلب، رابط الجأش، صادق البأس قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الأقران وقارع الأبطال عارف بمواضع الفرص خبير بمواقع القلب"<sup>(68)</sup> والميمنة والميسرة من الحروب وما الذي شحنه من الأبطال والحماة من ذلك بصير بصفوف العدو ومواقع الغرة منه، ومواضع الشدة منه"<sup>(69)</sup>.

Dangel Gerrard, I, Imamat Ibadite de Tahert, p.p 116(63)

(64) عمر فاروق التاريخ الاسلامي...ص:53.

(65) م.س، ص53.

(66) محمد علي دبور تاريخ المغرب الكبير ج-3، ص366.

Dangel Gerrard, I, Imamat Ibadite de Tahert, p.p 116 (67)

(68) يقصد بالقلب المواقع الوسطى في الجيش الواقعة بين الميمنة والميسرة.

(69) محمد اطفيش شرح النيل، ج14 ص285.

فإذا كان القائد على هذه الصفات والخصال كان الساعد الأيمن للإمام ونال الصدارة في قلبه فيصبح رأيه نافذاً لحذقه وخبرته ويكون للجميع خير قدوة بسيرته المحمودة وخصاله المشكورة. أما مهام القائد فتتركز أساساً على استتباب الأمن واستقرار أحوال البلاد والدفاع عن حمى الوطن، ولذلك يجب عليه تدبير الأمور بحزم وبكل جدية ويتصرف بحكمة ودهاء حتى ولو اقتضى الأمر إلى استعمال الحيلة والمراوغة وهنا يصور ش. اطفيش حالات من المراوغة وأساليب الحيلة وخذع الحرب يجوز للقائد الالتجاء إليها في أوقات الحرب، من هذه الحيل ما يلي: " يبتجس جواسيسه في معسكر عدوه، ويستعلم أخباره ويستميل رؤساءهم وقادتهم وذوي الشجاعة منهم، ويدس إليهم ويعددهم وعدا جميلاً ويوجه إليهم ضربة الخدعة (...) وينشئ على أسننتهم كتباً مدلّسة إليهم ويبتجس في معسكرهم ويكتب في السهام أخباراً مزورة ويرمي بها في جيوشهم ويضرب بينهم فيما فيه الشر من ذلك" (70) وما الحرب الا خدعة.

### الخاتمة

وبعد، هل استطاع الاباضية تحقيق المجتمع العادل وفق المبادئ المنشودة والتنظير السياسي القائم على تأكيد الحرية في القول والفعل والديموقراطية في نظام الحكم؟ أما عن اختيار الامام- وهو الميدان الذي يكشف بحق درجة ممارسة الديموقراطية- فمن الملاحظ ان الامامة في الدولة الرستمية- مثلاً- (1) لم تخرج عن الأسرة الفارسية، إذ بقيت بين أفرادها على ان الانتقال لم يكن بالمعنى الضيق للوراثة، بأن يأخذ الابن الامامة عن أبيه، ومع ذلك فالوراثة بقيت في آل رستم (2) مما "غلب مبدأ الوراثة على مبدأ الاختيار والشورى بصورة طبيعية الى حد كبير بالرغم من تحمس الاباضيين لمبدئهم وانكارهم على غيرهم الأخذ بمبدأ الوراثة في ولاية أمور المسلمين" (3). وهذا مما جعل الباحثين ومؤرخي الدولة الرستمية يعتبرون نظام الحكم فيها أقرب الى الملكية منه الى الجمهورية (4) بل ويسمون الدولة الرستمية بمملكة تاهرت (5). فالتجربة الاباضية- كما يرى حسين مؤنس (معاصر)- لم توفق الى تحقيق المثل الأعلى للحكم الذي كانت تتصوره، غير انه يؤكد في الوقت نفسه ان الحكم الاباضي في إقليم تاهرت

70) محمد اطفيش شرح النيل، ج4 ص285.

(1) اخترنا الدولة الرستمية كمثل واقعي بحق نموذجاً للتجربة الاباضية في نظام الحكم وإقامة دولة مستقلة ذات سيادة.

(2) رشيد بورويبة الجزائر في التاريخ ج3 ص76.

(3) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس ص104.

(4) جودت عبد الكريم يوسف، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ص52.

(5) انظر رشيد بورويبة الجزائر في التاريخ ج3، ص76 وكذلك الفرد بيل، الفرق الاسلامية في الشمال الأفريقي، ص49 أيضاً إسماعيل العربي في تعليقه في كتاب السير لأبي زكرياء أثناء تحقيقه له ص19، إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية ص117، وأيضاً.

Cheikh Berkri: Le Kharjisme Berber.



كان حكما عادلا، وان أحوال الناس في مجتمعهم كانت أسعد بكثير من أحوالهم في ظل غيرهم من حكام المغرب المعاصرين لهم<sup>(6)</sup> وهذا نتيجة الأخذ بمبدأ الحرية العامة الذي ما كان يتمتع به المواطن خارج الدولة الاباضية هذه الحرية وان كانت مقيدة نسبيا يمكن تلخيص بعض مظاهرها فيما يلي<sup>(7)</sup>:

1- تواجد مختلف القوميات من بربر وعرب وفرس والديانات السماوية بمختلف مذاهبها نتيجة للانفتاح على العالم الخارجي وهذا لا يتحقق الا بانتهاج سياسة حرية التعايش مع الآخرين.

2- عقد حلقات البحث والمناقشة بين مختلف الفئات خاصة بين الاباضية والواصلية والمعتزلة وسائر الفرق بالمغرب<sup>(8)</sup>.

3- تكريم الاباضية للائمة السنين وغيرهم ممن كانوا يدعون للمناظرة والمناقشة<sup>(9)</sup> في جو تسوده الحرية الفكرية<sup>(10)</sup>.

4- ازدهار الحياة الفكرية جنبا الى جنب مع الحياة الاقتصادية<sup>(11)</sup> مع التحكم في الحركة التجارية ومراقبة الأسواق مما يدل على ان الحرية الاقتصادية موجهة لضمان نجاح الخطة الاقتصادية للامة.

ويمكن القول بناء على ما تقدم ان الحكم في الدولة الاباضية يقوم على ثلاثة مبادئ أساسية هي:

أولا- مبدأ الحرية والمساواة لتحقيق العدالة الاجتماعية وفق التعاليم الشرعية للدولة الاسلامية.

ثانيا- مبدأ الديموقراطية المقيدة ويتولاها الحاكم بمعبة العمال ومجلس الشورى والعلماء والمسلمين عامة، فالحاكمية شعبية مقيدة تحت سلطة الله القاهرة، لأن الحاكم الحقيقي هو الله والذين من دونه انما هم رعايا في سلطانه العظيم، ومن هنا كانت الديموقراطية مقيدة، بينما المطلقة يكون الحكم فيها للشعب الذي يشرع ويقنن حسبما تراه عقول الناس وهذا ليس من الاسلام في شيء.

ثالثا- مبدأ القوة كوسيلة لتحقيق الغايات الأساسية للدولة والقوة- هذه- قد تشتد فتستخدم الوسائل المادية للزجر والردع وقد تكتفي بالجانب المعنوي للقوة كاستخدام النفوذ الاجتماعي والرأي العام ويتجلى دور القوة أكثر في الميادين التالية:

1- المنع من العدوان، أما خارجي بالدفاع عن الدولة ومكتسباتها، وأما داخلي بإطفاء الفتن وإصلاح ذات البين وتوفير الأمن بين المواطنين.

2- إزالة الشر من جذوره، ومحاربة الآفات الاجتماعية وتغيير المنكر بالوسائل المناسبة عملا بمبدأ " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "

فعلى الحاكم إذن تسييس الرعاية وحمل المواطنين على الطاعة بالحزم والعزم ورباطة الجأش مع الحنكة السياسة واستخدام وسائل التربية والاستعانة بالرأي العام والنفوذ الاجتماعي حسبما تقتضيه الظروف والأحوال فإن استقامت له الأمور فذلك وإلا فالقوة أفيد والزجر والردع أنسب لتذليل المستعصيات وحل المشاكل وهذا ما دأب عليه الأئمة الرستميون.

(6) حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ص105

(7) جودت عبد الكريم العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ص55.

(8) البرادي الجواهر المنتقاة فيما أحل به صاحب الطبقات (مخ) غير مرقم.

(9) ابن الصغير أخبار الأئمة الرستميين، ص:102.

(10) الفرد بيل الفرق الاسلامية، ط2، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1981، ص149.

(11) حول الحياة الفكرية والاقتصادية أنظر إبراهيم بحاز الدولة الرستمية

ولنأخذ سيرة الامام عبد الوهاب(168- 208 هـ/784-823م) على سبيل المثال فنجدها تتسم بالقوة والصرامة والحرص على التحكم في الأوضاع وفرض السلطة الزاجرة اذا اقتضى الأمر، لكن ليس بالمفهوم الديكتاتوري كما يرى أجودت عبد الكريم(معاصر) فهو يبالغ في حق الامام عبد الوهاب حين يصف سياسته بالمكيافيلية<sup>(12)</sup> لأنه مهما اعتمد الامام عبد الوهاب على القوة والصرامة فإنه لا يبلغ سياسة المكيافيلية التي تقوم على احتكار السلطة ولو على حساب الدين والأخلاق الإنسانية والقيم العليا، فهذا لم يحدثه الامام عبد الوهاب ولا غيره من الأئمة الرستميين بل كانوا ملتزمين دوما بالمنهج الاسلامي ومحافظين على التعاليم الدينية، مع أننا لا ننكر سياسة القوة التي ربما اعتمد عليها امام رستمي في حالة الضرورة وذلك ما يشير إليه مؤرخ الدولة الرستمية ابن الصغير(ق3هـ) فقد سلك الامام أفلح بن عبد الوهاب(208-258هـ) نهج والده في إدارة شؤون الدولة فاعتمد على سياسة القوة للتحكم في زمام السلطة خاصة لما ازدهرت الدولة في أيامه وبلغت شأوا عظيما من الرقي الحضاري حتى خاف من اجتماع القبائل عليه لإزالة ملكه، فعمد الى ضرب القبائل بعضها ببعض ( فأرشد بين لواته وزناته، وما بين لواته ومطماطه وما بين الجند والعجم حتى تتافرت النفوس ووقعت الحروب وصارت كل قبيلة ملاطفة للإمام أفلح...)<sup>(13)</sup>.

ومهما يكن من أمر الامام عبد الوهاب أو أفلح أو غيرهما مت الأئمة الاباضية فإن العبرة بالمواقف المشرفة في ممارسة الحكم التي تتم عن علو الهمة والكفاءة العالية والحنكة السياسية في تدبير شؤون الدولة سواء أكان باللين والطف أم بالقوة والصرامة في حدود الشرع ولكن ليس بالحيلة والعنف وفق السياسة المكيافيلية- كما يرى أجودت عبد الكريم- ثم ان العبرة الجديرة بالتنويه ان القوة ان استخدمت لصالح الدولة فإنها لم تكن في معزل عن الديمقراطية لأن القوة في غياب الحرية والديموقراطية معناها، ديكتاتورية الحكم، وهذا لم يحدث في دولة اباضية في مشرق الأمة الاسلامية أو مغربها.

هذه نظرة حول طبيعة الحكم لدى الاباضية من الناحية العملية أما من الناحية الفكرية فإن الملاحظة الأولى تثبت بوضوح ان الاباضية لم يكونوا منظرين في الناحية الفكرية فإن الملاحظة الأولى تثبت بوضوح ان الاباضية لم يكونوا منظرين في السياسة بقدر ما كانوا واقعيين عمليين ولذلك يندر ان نجد مؤلفا خاصا لموضوع الحكم لدى المفكرين الاباضيين مثلما نجد مؤلفات كثيرة في السياسة للفارابي، والماوردي، وابن أبي الربيع، والمهدي ابن تومرت وغيرهم. ولذلك جاءت معظم الآراء السياسية عند الاباضية موزعة بين الموضوعات الفقهية والأصولية والأخلاقية، وتتضح لنا هذه النظرية من خلال شخصية الشيخ اطفيش الذي ركزنا هذه الدراسة على آرائه السياسية فهو لم يترك لنا كتابا خاصا في السياسة وانما تعرض لهذا الموضوع أثناء معالجته للمسائل الفقهية والأصولية والكلامية، والموضوعات ذات الطابع الإنساني والاجتماعي بصفة عامة. ولعل السبب في ذلك ان القطب لم يكن فيلسوفا أو مفكرا سياسيا بل كان فقيها وعالما في العقيدة وأصول الدين، وهذا لم يمنعه من الاهتمام بالمسائل السياسية فقد دلت آثاره على إطلاعه الواسع في مجال الفكر السياسي ووعيه بنظم الحكم السائد في عصره وما قبله.

(12) يقول أجودت عبد الكريم "يبدو ان حرص عبد الوهاب على إمامته قد نزع عنه ثوب الردع والمثالية، فكان ميكيافيلي النزعة لا يتريث في ضرب الرؤوس ببعضها والاعتماد على سياسة (فرق تسد) وعلى استقطاب القبائل بالهبات والإكرام..." العلاقات الخارجية للدولة الرستمية المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984م ص64.

(13) ابن الصغير أخبار الأئمة الرستميين، ص55، يعلق د.محمد ناصر و أ.إبراهيم بحاز على قول ابن الصغير بأنه (أمر خطير وهو اتهام الامام أفلح بسياسة فرق تسد) وواضح من كلماته الأخيرة انه يستبعد مثل هذه السياسة عن الامام أفلح ولا يرد ان يتحمل المسؤولية لذلك يقول "...فيما قالوا، والله أعلم فيمن رأى ذلك" وانظر وداد القاضي ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية مجلة الأصالة عدد45 ص44 ورد هذا التعليق في هامش أخبار الأئمة الرستميين، لابن الصغير تحقيق وتعليق د.محمد ناصر و أ.إبراهيم بحاز، ص55.

والسبب الآخر ربما يعود الى ان القطب- كغيره من علماء الاباضية- ينظر الى السياسة كعلم مستقل بذاته قاصرا على موضوع الحكم بل السياسة عنده جزء من حياة الانسان الزاخر بأنواع عديدة من الأنشطة المتكاملة حيث لا يمكن الفصل بين وجوه النشاط الروحي والأخلاقي والاجتماعي والسياسي والعلمي والاقتصادي...ومن هنا ندرك حتمية الربط بين الدين والدنيا وهذا الربط لا يتحقق بواسطة الدولة أو على الأقل تنظيم يعهد للخاصة ليتولى القيادة ورعاية شؤون العامة.

ومن هنا نستطيع فهم وجهة القطب السياسية حيث لم يذهب مذهب الفارابي الفلسفي الذي استقى من الأفلاطونية البعد المثالي في نظام الحكم القائم على مبادئ نظرية عقلية يتعذر تجسيدها في واقع عملي. وانما كان مفهوم السياسة عند الشيخ اطفيش مرتببا بواقع الانسان المفتقر الى موجه يحدد له معالم الطريق نحو السعادة في الدارين وحيث ان الله قد تكفل هذا التوجيه بواسطة شريعة سماوية فلا يبقى للإنسان الا التزام بها وتطبيقها ولكن ذلك لا يتم الا على يد السلطة في شخص الامام وأعوانه.

## نتائج البحث

ان الحديث عن الاباضية ذو شجون، وموضوع البحث بكر ومشوق فلا أدعي أنني أملت بالموضوع وأعطيت له حقه من البحث فحسبي أن أكون قد فتحت باب في الفلسفة السياسية الاسلامية جديرا بالاهتمام والدراسة، أملا من غيري أن يواصل السير في هذا الموضوع. وفي سبيل الخلوص الى نتائج البحث، يمكن تحديد المعالم الأساسية للفكر السياسي عند الاباضية في النقاط العشر التالية:

**أولاً:** ان أهم ما يتميز به الفكر الاباضي في المجال السياسي نظرية مسالك الدين التي تعبر بعد نظر وأصالة في التفكير، وبفضلها يستطيع الاباضية ان يحددوا مواقفهم ويضعوا الحلول المناسبة لكل الظروف التي تعترض سبيل حياتهم كما تضمن لهم المحافظة على كيانهم ومؤسساتهم واسمرار تواجدهم فكريا وجسديا.

**ثانياً:** النظرية السياسية الاباضية تقوم على فلسفة سلوكية واقعية في جانبها العملي، وتشمل العلاقات السياسية والاجتماعية ضمن نظام الدولة الذي يهدف الى غايات أخلاقية إنسانية قبل ان تهدف الى غايات مادية دنيوية مجردة من الروح.

**ثالثاً:** الدولة الاباضية دولة عقائدية، بمعنى تستقي تشريعاتها وتعاليمها من أصول العقيدة الراسخة، وتعتمد في وضع قوانينها على أصول التشريع السماوي. فليست اذا دولة دينية بالمعنى الأوروبي الحديث حيث يحتكر فيها رجال الدين السلطة فينتصبون من الرؤساء من يشاءون ويحكمون بين الناس بما تهوى أنفسهم.

**رابعاً:** تقوم النظرية السياسية الاباضية على مبدأ الديمقراطية كمنهج عام للاتجاه السياسي، حيث يتحرر الانسان من الخضوع المطلق للوطن أو القومية أو لفئة معينة متمثلة في السلطة الحاكمة والقوة الغالبة أو لفرد في شخص الملك أو السلطان فلا حاكمية الا لله.

**خامساً:** الامامة الاباضية روحية دينية وزمنية دنيوية، الحاكم فيها يتمتع بصلاحيات الامامة السياسية في الحكم ورعاية الأمة في مصالحها الدنيوية ويسعى الى إرضاء رغبات المواطن في حدود ما يجيبه الشرع. كما يتمتع في الوقت نفسه بصلاحيات الامامة الدينية في تنفيذ الأحكام وتطبيق التعاليم الاسلامية خلافاً للدولة العلمانية التي تفصل بين الدين وما يتصل به من شعائر وبين الدنيا وما يتعلق بها من مصالح.

**سادساً:** تهدف الدولة الاباضية في سياستها الداخلية وقوانينها ونظمها ومؤسساتها الى الإصلاح الديني والاجتماعي عملاً بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجسيدا لمبادئ العقيدة. كما تهدف من سياستها الخارجية الى حماية العقيدة من كل اعتداء، ونقل دعوتها- ما أمكن- الى ما حولها من الأمم والتي هي أحسن مع الاحترام المتبادل للأفكار والتعاليم المذهبية.

**سابعاً:** الدولة الاباضية دولة إنسانية حضارية- إنسانية لتقديمها الهدف الأخلاقي والإنساني على الهدف السياسي والمادي، وهي حضارية لاهتمامها بما يخول لها التقدم والازدهار والانتعاش الاقتصادي بتشجيع النشاط العلمي والثقافي بعد الاهتمام بحفظ الأمن.

**ثامناً:** الدولة الاباضية قائمة على أسس ثابتة بثبوت العقيدة كما أنها تتسم في الوقت ذاته بإمكانية التطور في أشكالها التنظيمية الخاضعة للاجتهاد واستعمال العقل استعداداً للتكيف مع الظروف والتبدل بتبدل الأطوار الاجتماعية المختلفة عبر العصور في حدود الشرع.

**تاسعاً:** الفكر السياسي عند الاباضية وحيد المنبع، لم يتسق أصوله من الاتجاهات الفكرية المختلفة عدا الاتجاه الاسلامي متمثلاً في الكتاب والسنة واجتهاد العلماء وعلية فإن الاباضية لم يتأثروا بغيرهم عموماً، حتى ولو جاز لنا القول أنهم تأثروا بالخير فإن ذلك من قبيل الاحتمال لا أكثر لعدم توفر الأدلة الكافية في ذلك ثم ان مجال التأثير- ان كان- فهو ضئيل جداً لا يعدو أن ينحصر في مسائل كلامية، وقد أشار د. عمار طالبي(معاصر) الى ذلك بقوله: ( ان المؤلف- أبو

عمار عبد الكافي الاباضي- الذي درس بتونس في عهد الموحدين الذين تبنا مذهب الأشاعرة (...) لا يبعد أن يكون قد تأثر بمناهجهم وطريقة بحثهم، رغم انه خالفهم في أشياء لكن ذلك لا يجعله في منأى عن التأثير بهم في الأشياء المشتركة على الأقل<sup>(14)</sup> وهذا في الكلام أما ما يتعلق بالسياسة وغيرها من العلوم فيبدو ان الاباضية- والمتقدمين منهم بالخصوص- لم تكن لديهم رغبة في دراستها، خاصة الفكر اليوناني بمختلف فنونه الفلسفية، لا اعتقادهم ان ما عندهم من علوم إسلامية عقلية وعقلية تغنيهم من الاستزادة من الفكر اليوناني وفلسفات الشرق والغرب فانطلاقاً من هذا التصور يمكن القول ان الفكر الاباضي وحيد المنبع، اسلامي النزعة، لم يتأثر بالاتجاهات الفكرية عند اليونان وهذا بالرغم من وجود أوجه عديدة للاتفاق بين الاباضية والمعتزلة ذات النزعة العقلية المتأثرة الى حد بعيد بالفكر اليوناني.

**عاشراً:** يمكن الخلوص الى القول بعد الذي تقدم من البحث أن المساهمة الاباضية في المجال السياسي لم يبلغ مبلغ كل من الفارابي وابن سينا والماوردي وغيرهم من فلاسفة الاسلام في الفكر السياسي من جانبه النظري ومع ذلك فإن الاباضية قد نجحت الى حد بعيد بأن سلّمت من الوقوع في الهوة الفاصلة بين التنظير السياسي والتطبيق الميداني. يشير د. عبدالله شريط(معاصر) الى هذه الهوة التي لم ينجح فلاسفة العرب من الوقوع فيها باستثناء العلامة ابن خلدون الذي يعتبره (...) الوحيد الذي نجا من الوقوع في الهوة السحيقة التي تفصل الدولة النظرية عن الدولة الواقعية ويضيف د. شريط قائلاً: " هذه الهوة التي وقع فيها أخوان الصفاء والفارابي والغزالي والماوردي وكل أولئك قال عنهم ابن خلدون أنهم تحدثوا عنها من جهة النظر والتقدير والافتراض، وكونوا بهذا الأسلوب ازدواجية فادحة الأخطار في تاريخ المجتمع العربي، راح يتصور ان من طبيعة الأشياء ان تكون الدولة النظرية شيئاً والواقعية شيئاً آخر" وليس من شك ان ظاهرة الهوة تتجلب عن الإسهاب في التنظير المجرد والتكديس الفكري دون ان ينعكس ذلك في واقع معاش يجسد التصور الذهني للمبادئ والتعاليم السياسية. وإذا انطلقنا من هذا المنظور نجد الأمر على غير ذلك بالنسبة للتجربة الاباضية في الميدان السياسي حيث تتعدى الهوة نظراً لما تتميز به المبادئ من الواقعية وخلوها من البعد المثالي مما جعل تطبيقها أمر ممكناً وتجسيدها عملياً أمر يسير.

وفي ختام هذه الدراسة المتواضعة لا يسعنا الا ان نجدد الدعوة للعناية أكثر بالفكر الاباضي ودراسته دراسة علمية موضوعية ، ونحن على يقين ان أي دراسة منصفة لهذه الفرقة الاسلامية ستنتهي الى حقيقة ان الحركة الاباضية منذ نشأتها اجتهدت داخل الإطار الشرعي من أجل تطوير المجتمع الاسلامي ودفعه نحو الأفضل ولا أدل على ذلك من تعاليمها التي لا تحيد عن المنهج الاسلامي ولا تتعدى حدوده سواء في المجال العقائدي أو السياسي أو الاجتماعي ونحن لا ندعي للإباضية العصمة وبلغ الكمال، لكننا نتساءل لماذا غابت عن المؤرخين وكتاب المقالات ومن اعتمد عليهم من الدارسين المعاصرين هذه الحقيقة الواضحة؟

(14) عمار طالبي، آراء الخوارج الكلامية ش.و.ن.ب.، الجزائر، ص:225.

ملفق

### مصطلحات إباضية

الأبعاد: أو الهجران، ألفاظ تترادف على معنى واحد وذلك متى أجرم واحد من أهل المذهب جرماً، أو ظهرت عليه خزيه أو أتى بنقيصة في قول أو عمل أو تضييع فإنه يهاجره كل أهل الصلاح فلا يكلم ولا يؤم ولا يؤاكل ولا يجالس ولا يحضر جماعة فإن تاب واستغفر قبل منه ورجع إلى الجماعة ورفعت عنه البراءة ويكون بقاؤه في وحشة الهجران بقدر عظم الجرم أو صغره، وتوبة المجرم أو إصراره فمنهم من يتوب ويرجع في الحال، ومنهم من يبقى أياماً أو أعواماً أو عمره إن عظم الجرم وداوم المجرم على الإصرار وترك الاستغفار.

الإسلام: الإسلام هو الدين، سمي إسلاماً لانقياد الملتمزم به إلى الله تعالى والإذعان له، والتذلل بين يديه واتباع أو امره واجتتاب نواهيه، وسمي ديناً لأنه يدان لله به أي يتقرب به إلى الله.

أصحابنا: هو الاصطلاح الذي يطلقه الإباضية على أنفسهم في الغالب وقد يطلقون "أهل الدعوة" وأيضاً "أهل الاستقامة".

إمامة الدين: أئمة الدين نوع خاص من الأئمة وهم المجتهدون ممن لم يتول الإمارة كجابر بن زيد وأبو عبيدة والربيع ابن حبيب وغيرهم في القديم، وعبد العزيز الثميني والشيخ محمد اطفيش حديثاً.

أهل الدعوة: أنظر (أصحابنا)

الإيمان: هو التصديق بالقلب والإقرار باللسان يزداد الإيمان بقوة النظر الاعتباري والفكري والأعمال الصالحة وينقص بالغفلة عن ذلك والأعمال المحرمة، والإيمان نفسه علم لا شك ولا ظن.

البيضة: سميت جماعة الامام بيضة تسمية باسمه لأنه بيضة البلد، أي وحده الذي يجتمع إليه ويقبل قوله، أو تقديرا للمضاف.

التسليم: هو الانقياد لأمر الله تعالى، والخضوع له وترك الاعتراض عليه وهو الثبوت عند نزول البلاء.

التفويض: هو ترك اختيار ما فيه الخطر الى اختيار الخالق العلم بمصالح الخلق وقيل هو ترك الطمع.

التقية: هي الفعل المكروه عليه، أما ان يكون قولاً أو فعلاً للاتقاء به عن النفس، وتتنوع باعتبار ذاتها الى ما يقبل الإكراه عليه والى ما لا يقبل الإكراه عليه كما تتنوع باعتبار حكم الشارع فيها الى ثلاثة: الإباحة والحرمة ثم الإباحة فيما يباح عند الضرورة

التلميذ: اسم للواحد المبتدئ عند الدخول في (الحلقة) سواء كان طال فنون أو مقتصر على الصلاحية فقط وأصل هذا اللفظ فارسي.

التوحيد: إفراد الله عن الخلق وأفعالهم وصفاتهم، ولو شابه معهم في أقل قليل لدخل عليه العجز منه واحتاج الى ما احتاجوا.

التوكل: هو الثقة بما عند الله والاياس عما في أيدي الناس.

الجمع: أو المجتمع أو الميعاد، ألفاظ مترادفة على معنى واحد وهو ان يجمع الشيخ تلاميذه على وعظ يفيدهم أو لتذكير أمرهم أو لاصلاح فساد أو تلافى فوات أو أمر بمعروف أو نهى عن المنكر، مع الاختيار أن يكون ذلك يوم الاثنين والخميس ويكون في أي وقت دعت إليه الحال ليلاً أو نهاراً وفي أي يوم كان.

الجملة: المقصود بالجملة شهادة ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله وان ما جاء به حق من عند ربه، يسمى الاباضية هذه الكلمات بالجملة لتعبيرها عن كلمات الإيمان المتضمنة لكل جزئيات وعليها يقوم الإيمان اعتقادياً أو علمياً ولذلك ينقسم تفسيرها الى جانبين متكاملين: الأول متعلق بالعقيدة كالإيمان بوحداية الله وصفاته ورسله وكتبه واليوم الآخر والثاني متعلق بالتطبيق العملي الذي هو الالتزام بكل ما أمر الله به واجتناب كل ما نهى عنه.

الختمة: اجتماع (أعضاء الحلقة) لذكر الله والدعاء عند طلوع الشمس وعند غروبها بشيخ أو بغير شيخ، وكأنهم يختمون به عمل الليل وعمل النهار كما تقام الختمة على أثر الانتهاء من تلاوة القرآن الكريم كله.



الخوف: توقع حلول مكروه أو فوات شيء عزيز ويصطلح به على الإشفاق من عذاب الله تعالى.

الدفاع: إحدى مراحل مسالك الدين، يختار الاباضية إماما لهم للدفاع عن الأمة إذا داهمها العدو وتنتهي مهمة الامام الحرب، أنظر المزيد في الباب الثاني.

الدين: أنظر "الاسلام"

الرجاء: لغة الأمل و عرفا توقع حصول محبوب في المستقبل واصطلاحا: الطمع في ثواب الله مع وجود الطاعة.

الرضاء: هو قبول أمر الله ونهيه وكل ما يأتي منه تعالى من خيرا أو شر من غير اعتراض على حكمه وتقديره.

الشراء: إحدى مراحل مسالك الدين يختار الاباضية إذا كانوا أقلية مضطهدة قائدا لهم يخرجون للجهاد في سبيل الله الى ان ينتصروا أو يموتوا جميعا، سموا بالشراة لأنهم اشتروا الجنة بأنفسهم راجع الباب الثاني.

الشرك: يثبت الشرك بجحود الخالق أو بوصف الخالق بصفات المخلوق أو بوصف المخلوق بالصفات المختصة بالخالق، كما يثبت بإنكار كتاب من كتب الله أو ببعض كتابه.

الشفاعة: طلب الخير من الغير للغير، وهي هنا طلب النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى التعجيل بدخول الجنة، وهي أيضا طلب المؤمن من الله زيادة درجة أخيه المؤمن في الجنة، والشفاعة لا يستحقها الا المؤمن الموفي بدينه، ومن اعتقد ثبوتها للعصاة الموحدين كفر كفر نفاق ومن أنكرها أشرك.

صفات الله الذاتية: بمعنى ان صفات الله هي عين ذاته، وليست شيئا مستقلا عنه، فذاته تعالى كافية في الاتصال بالكمال المطلق وليست في حاجة الى ما تكمل به، وبهذا يكون الله عالما بذاته، مريدا بذاته، وهكذا جميع صفاته الذاتية أي ذاته كافية في الاتصاف بالعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر...

صفات الله الجائزة: وتسمى صفات الفعل وهي التي يمكن نفيها عن الله تعالى في الأزل دون الحاضر والمستقبل كالخلق والإرزاق، فصفات الفعل هي التي لم يتصف بها الله في الأزل بل فيها لا يزال، وهي التي تجامع ضدها في الوجود إذا اختلف المحل فنجد الله يرزق المال لفلان ولا يرزقه لآخر أو يهب العلم زيدا ولا يهبه لعمر، فالصفات الجائزة يوصف الله بها ان فعلها ولا يوصف بها ان لم يفعلها.

صفات الله الواجبة: وتسمى صفات الذات وهي التي لا يتصور نفيها عن الله مطلقا سواء في الأزل أو في الحاضر أو في الأبد ومن خصائص الصفات الواجبة أنها لا تجتمع ضدها في الوجود ولو اختلف المحل، فيستحيل وصف الله بالعلم والجهل.

صفات الله المستحيلة: هي أضداد الصفات الواجبة، كالحديث والعدم والفناء والموت والعجز والجهل والإكراه والصمم، ومثابرة الأجسام مطلقا وهذه صفات خاصة بالمخلوق الناقص ومستحيلة على الله الذي لا يتصف الا بالكمال المطلق.

الظهور: أولى مراحل مسالك الدين وفيها يكون الاباضية في قوة ومنعة مكتفين عددا وعدة فيقيمون دولة مستقلة كحالة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة والخلفاء الراشدين من بعده.

القدر: إجراء الحكم السابق تفصيلا بتعيين الأسباب وتخصيص الأعيان بأوقات وأزمان بحسب قابليتها واستعدادها وتعليق كل حال من أحوالها بزمان معين وسبب مخصوص.

القديم: من سبق وجوده وجود الحدث فكل من لم يكن ثم كان فهو المحدث وكل من كان ولا تكوين فهو قديم.

القضاء: هو الحكم الكلي الإجمالي على أعيان الموجودات بأحوالها من الأزل الى الأبد وهذا يقتضي الايمان بأن الله خالق لأفعال العبد الاختيارية والاضطرارية والعبد اكتسب أفعاله الاختيارية اختيارا منه لا جبر بقدره خارجية.

قومنا: يريد بها الاباضية أصحاب المذاهب الأربعة وقد يطلق على جميع المخالفين من المذهب.

الكبيرة: ما وعد في الآخرة سواء أوعد عليه في الدنيا أم لا، إذ ليس كل كبيرة ينكل عليها أو يعاقب عليها في الدنيا ولو في زمان الامام ودخلت الكبائر كلها في قوله تعالى: ( ويحرم عليهم الخبائث) وهي كالشرك والسحر وأكل مال بباطل وقتل النفس واعانة عليه ولو بكلمة وشرب المفتر والمسكر كالخمر...

الكتمان: المرحلة الأخيرة من مراحل مسالك الدين يهتم الاباضية فيها بالإصلاح الداخلي للمجتمع والمحافظة على الدين وبيتعدون عن المجال السياسي، ولا يقيمون دولة لهم.

الكفر: ترك شيء من الواجبات أو فعل شيء من المحرمات والكفر مقيد بالكبائر ويكون أما بالإشراك أو بعمل سائر الكبائر وليس العزم على الكفر كفرا حتى يفعل.

كفر الجحود: وهو ما نشأ على نفي وجود الله أو نفي لصفاته أو نفي لوحدهيته أو انكار شيء من كمالاته أو شيئا من أفعاله، ويسمى الكافر بالجحود مشركا.

كفر النعمة: سمي كذلك لعدم شكر النعمة، وهو ما نشأ عن تأويل الخطأ كاستحلال ما حرمه الله بتأويل الخطأ من فاعله أو قائله أو ما فعل انتهاكا كالقتل والزنى والربا ويسمى الكافر بالنعمة منافق.

كلام الله: المراد بكلام الله نفي الخرس عنه لا بمعنى التكلم المعروف بين الناس لأنه لو كان كذلك لاحتاج الى أداة يتكلم بها كالحنجرة واللسان والشفيتين.

المجتمع: أنظر "الجمع"

المحارب: كل من أخاف السبيل وأعلن الفساد في الأرض من خصالة الموجبة للقتل والنفاق وإشهار السلاح، قال تعالى:  
[إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم]

الميعاد: أنظر: الجمع"

النفاق: الخروج من غير المدخل وإخفاء غير ما ظهر وشرعا مخالفة الفعل للقول أو السر للعانية أو المنافق من أظهر التوحيد وأخفى الشرك والنفاق داخل في الكفر.

الهجران: أنظر "الأبعاد".

الورع: له ثلاثة طبقات:  
الأولى: ورع العدول وهو ترك المحارم جميعا وفعل الفرائض.  
الثانية: ورع الصالحين وهو ترك المحارم جميعا وترك ما لا حرج فيه مخافة الوقوع فيما فيه الحرج وفعل الفرائض كلها مع الاجتهاد في فعل النوافل.  
الثالثة: ورع الصديقين وهو الزيادة على ورع الصالحين بترك ما لا حرج فيه لا لخوف الوقوع فيما فيه الحرج مع الحرص على فعل البر بقدر الطاقة.

الوقوف: الكف عن القدوم في أحد بولاية أو براءة لعدم معرفة حالة بصلاح أو فساد وأنواع الوقوف خمسة: وقوف السلامة، وقوف الرأي، وقوف السؤال، وقوف الإشكال، ووقوف الشك.

اليقين: هو العلم الراسخ الذي لا يشوبه شك ولا اضطراب كأنه مشاهدة أو مكاشفة، واليقين يدعو الى قصر الأمل وقصره يدعو الى الزهد المورث للحكمة الموروثة للنظر في العواقب وعلامته النظر الى الله في كل شيء والرجوع إليه في كل أمر.

### استدراك

البراءة: لغة البعد عن الشيء والتخلص منه وشرعا البغض والشتيم واللعن للكافر على كفره،  
أنظر "الإبعاد"

الإحراز: جمع حرز وهو حفظ الشيء وصيانتة وحرز الدين المحافظة عليه.

الإفراز: جمع فرز وهو عزل الشيء وتمييزه عن غيره والفرز هنا هو التمييز بين المؤمن  
والمنافق والمشارك فلكل حكمة عند الله.

المجاري: بمعنى مصادر التشريع، وهي الكتاب والسنة والإجماع أنظر ص 23 من هذا البحث

## الفهارس

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأماكن.
- فهرس الفرق والمذاهب.
- فهرس الجداول التوضيحية.
- فهرس الموضوعات.

## فهرس المصادر المحفوظة

\* إبراهيم البرادي (أبو القاسم) ق8-14:  
1- الجواهر المنقاة في تتميم ما أخل به صاحب الطبقات. نسخة خزانة الشيخ بالحاج القرارة، ولاية غرداية، تحت رقم 73 ، كتب في الصفحة الأخيرة : (نسخة باعيسى بن داود بن صالح الوارجلاني مسكناً والنفوس نسباً.. فرغ من نسخة يوم الأحد 3 محرم عام 1196 من هجرة الرسول) ، ملاحظة: يبدو أن هذا الكتاب طبع طبعاً حجرياً لم أف عليه.

\* إبراهيم بن الحاج عيسى أبو اليقضان (القرارة: 1888-1973م):  
2- العزابة، 46 ص، نسخة وحيدة في حوزة أ. عبد الحميد حمدي أبو اليقضان - نجل المؤلف، تحت رقم 52.  
3. نظام العشيرة في وادي ميزاب، 22ص. يبدو أن المؤلف شرع في تحرير هذه الرسالة - كما يسميها صاحبها - بالمدينة المنورة في تاريخ 28 ذو الحجة 1384هـ- 29 أبريل 1965م، وانتهى منها بعد عودته من الحجاز بتاريخ 29 محرم 1385هـ- 30 ماي 1965م، حسبما جاء في مقدمة وخاتمة الرسالة.  
4. دفع شبه الباطل عن الإباضية الوهبية المحقة مقالة كتبها المؤلف رداً. على مقال نشرته جريدة المصور الصادرة في القاهرة، يوم 15. 4. 1966م، نسخة أ. محمد الشيخ بالحاج القرارة .

\* إبراهيم بن قيس الحضرمي (أبو اسحاق) ق هـ.  
5 . مختصر الخصال، نسخة مكتبة "أبروان" العطف، ولاية غرداية، رقم 120 ، ونسخة خزانة الشيخ بالحاج رقم 56 .

\* تبغورين بن عيسى الملوثنائي (ق 5هـ).  
6 . رسالة في أصول الدين، نسخة خزانة الشيخ بالحاج، رقم 60 . نسخها : عمر بن الحاج عمار الغرداوي، سنة 1182هـ.  
7 . كتاب الجهالات، نسخة خزانة الشيخ بالحاج 15 ورقة، رقم 71، كتب في الورقة الأخيرة : ( انتهى من نسخة بعد ظهر الأربعاء ربيع الأخير سنة 1193 هـ...الحاج صالح بن محمد الوارجلاني.. )

\* عبد العزيز الثميني اليسجني ( 1130 - 1223 هـ/ 1718 - 1808 م):

8. معالم الدين في الفلسفة وأصول الدين نسخة مكتبة القطب ببني يسقن، ولاية غرداية، (ص354) كتب في الورقة الأخيرة(قد فرغت من إكماله عند الزوال من يوم الأحد لأربع بقين من ربيع الثاني سنة 1184هـ... وكان الفراغ من نسخه يوم الخميس لخمس ليال مضت من شهر الله ذي الحجة الحرام عام 1320هـ.

\* عبد الكافي بن أبي يعقوب التناوتي الوارجلاني، أبو عمار(ق 5 هـ/12م):  
9. رسالة في نظام العزابة وتسمى(9 أوراق) دتا. نسخة مكتبة القطب ببني يسقن ولاية غرداية.

\* جميل بن خميس السعدي العماني نهاية ق 19هـ).  
10. قاموس الشريعة في 90 مجلدا، ألفه بين 1860-1880م كتاب الامامة، نسخة مكتبة القطب ببني يسقن ولاية غرداية.

\* علي بن محمد البيسوي العماني (أبو الحسن) ق 5 هـ :  
11. سيرة أبي الحسن في الامامة، ضمن سير أهل عمان، أربع أجزاء، نسخة مصورة في حوزة الشيخ ناصر المرموري، القرارة، ولاية غرداية، واصل المخطوط من خزانة الامام غالب السعودية.

\* يواب بن سلام بن عمر اللواتي (نهاية ق 3 هـ):  
12. شرائع الدين، نسخة الشيخ ناصر المرموري القرارة، ولاية غرداية، وأصل المخطوط في حوزة الشيخ سالم بن يعقوب الجربي.

\* محمد بن عمر القصبي المغربي الوهبي (أبو عبدالله الملقب بأبي ستة):  
13. حاشية الوضع، خزانة الشيخ بالحاج، القرارة، رقم 37.

\* محمد بن يوسف اطفيش المصعبي(قطب الأئمة) 1818-1914م،  
14. شرح عقيدة تبغورين، نسخة مكتبة القطب.  
15. رسالة في الرد على الشيخ محمد كامل بن مصطفى بم حمود الطرابلسي، صاحب كتاب الفتاوي، الكاملية، (مخ) ضمن مجموعة من الرسائل والردود عند الشيخ سالم ابن يعقوب جزيرة جربة، الجمهورية التونسية.

\* يوسف بن إبراهيم الوارجلاني(أبو يعقوب) ت. 570 هـ / 1174م :  
16. العدل والإنصاف، (ص208) نسخة خزانة الشيخ بالحاج، رقم 22، يبدو أن النسخة مخرومة في النهاية لعدم وجود إشارة تدل على انتهاء الكتاب.

\* أحمد بن محمد بن بكر(أبو العباس) :  
17. تبيين أفعال العباد نسخة خزانة الشيخ بالحاج، القرارة، 77ورقة، جاء في نهاية الكتاب .....انتهى في آخر يوم الجمعة الأخير من جمادى الأولى، عام 1293هـ.





## فهرس المصادر والمراجع المطبوعة

- \* إبراهيم بن الحاج محمد اطفيش الجزائري (أبو اسحاق):  
18. الدعاية الى سبيل المؤمنين، مط السلفية القاهرة 1923م.
- \* إبراهيم بكير بحاز (معاصر):  
19. الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط1، مط لافوميك، الجزائر 1985م.
- \* ابن عذاري المراكشي (أواخر ق 7هـ/13م):  
20. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ومر، ج، س، كولان وليفي بروفنسان، ج1، ط3، دار الثقافة، بيروت 1983م.
- \* أبو الأعلى المودودي  
21. نظرية الإسلام وهدية، تر، جليل حسن الإصلاحي دار الفكر دتا.
22. نظرية الإسلام السياسية، ط3، دمشق 1388هـ.
- \* أبو عمار عبد الكافي الاباضي (ق 5 هـ)  
23. الموجز، تح د. عمار طالبي، ش.و.ن.ت. الجزائر 1398-1978م.
- \* أبو غانم الخرساني الاباضي:  
24. المدونة الكبرى، رتبها وحققها وشرحها قطب الأئمة الشيخ أطفيش، تصوير فوتوغرافي عن أصل مخطوط، دار اليقظة العربية في سوريا ولبنان، دتا.
- \* أحمد أمين  
25. فجر الإسلام، ط11، دار الكتاب العربي، بيروت، 1979م.
26. ضحى الاسلام، ط10، دار الكتاب العربي، بيروت، ج3، دتا.
- \* أحمد بن سعيد الدرجيني (أبو العباس) ت 670 هـ.  
27. طبقات المشائخ بالمغرب. تح أ. إبراهيم طلاي، ج وء، مط البعث، قسنطينة، دتا.
- \* أحمد بن عبد الوهاب النووي (شهاب الدين) 677-733هـ

28. نهاية الأرب في فنون الأدب، السفر السادس نسخة مصورة عن ط، دار الكتب المصرية القاهرة، دتا.

\* أحمد بن سعيد الشماخي (ت928-1521م) 29. كتاب السير، ط حجرية، قسنطينة، الجزائر 1301هـ.

\* إسماعيل بن موسى الجببالي (أبو ظاهر) ت 750هـ/1350م) 30. قواعد الإسلام، تح ومر الشيخ عبد الرحمن بن عمر بكلي، ط، مط العربية، غرداية، الجزائر، أبريل 1976م  
31. قناطر الخيرات، القسم الأول يحتوي على قنطرتي العلم والايمان تح وتغ ، د. عمر خليفة النامي، ط1، مكتبة وهبة القاهرة، جوان 1965م.

\* ألفرد بل (مستشرق) 32. الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، من الفتح العربي الى اليوم، تر عن الفرنسية عبد الرحمن بدوي، ط2، دار الغرب الإسلامي 1981م.

\* ابن الصغير (ق 3هـ) 33. أخبار الأئمة الرستميين، تح وتغ د. محمد ناصر و أ. إبراهيم بحاز المطبوعات الجميلة الجزائر، 1986م.

\* بكير بن سعيد أعوشت (معاصر) 34. دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، مط ، البعث قسنطينة 1982م.

\* جودت عبد الكريم (معاصر) 35. العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، م وك الجزائر 1984م.

\* جولد تسيهر (ألماني) 36. العقيدة والشريعة في الإسلام، تر وتغ محمد يوسف موسى وآخرون، دار الرائد العربي، بيروت، مصورة عن ط دار الكتاب المصري 1946م.

\* الحافظ بن كثير أبو الفداء الدمشقي ت 774هـ. 37. البداية والنهاية، ج ط، ط ، مكتبة المعارف بيروت 1981م.

\* حسين مؤنس (معاصر) 38. معالم تاريخ المغرب والأندلس، ط ، دار مط المستقبل، القاهرة 1981م.

\* الشيخ الحاج صالح بن عمر اليسجني (ت 1347هـ) و ش. إبراهيم بن بكير حفار (ت 1954م): 39. مجموعة متون دينية، نص عبد الرحمن بن عمر مط دار الفكر الجزائر 1954م.

\* الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري ت 150هـ :  
40. الجامع الصحيح، مسند الامام الربيع بن حبيب، على ترتيب الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، تا: دار الفتح بيروت، مكتبة الاستقامة، سلطنة عمان مط العمومية، دمشق، سوريا. 1 رمضان 1388هـ.

\* رشيد بوروبية، موسى لقبال، عبد الحميد حاجيات عطاء الله دهينه، محمد بلقراد:  
41. الجزائر في التاريخ، العهد الاسلامي، من الفتح الى بداية العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتابة، ج3، الجزائر 1984م.

\* سالم بن حمود بن شامس السيابي العماني (أبو هلال) ق 14هـ :  
42. طلقات المعهد الرياضي في حلقات المذهب الاباضي، مط سجل العرب، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط 1400هـ.

43. إزالة الوعشاء عن اتباع أبي الشعثاء، شرح د. سيد إسماعيل كاشف، مطابع سجل العرب، القاهرة 1979

\* سعيد التعاريتي الوهبي الحربي، أوائل ق 14هـ :  
44. المسلك المحمود في معرفة الردود، ط حجري تونس 1321هـ.

\* سليمان بن عبدالله الباروني النفوسي ق 14هـ :  
45. الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية مط الأزهار البارونية القاهرة، دتا.

\* سليمان بن محمد بن أحمد بن عبدالله الكندي (1298-1337هـ) مسقط عمان:  
46. بداية الإمداد على غاية المراد في نظم الاعتقاد المطابع العالمية روي، سلطنة عمان 1986م.

\* صالح بن أحمد الصوافي(معاصر) :  
47. الامام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة مسقط، 1983م.

\* صالح باجية (تونس معاصر) :  
48. الاباضية بالجريد في العصور الاسلامية الأولى، إشراف د.علي شابي، ط دار بوسلامة ل.ط.ن.ت.، تونس 1976م.

\* عبد الرحمن بن عمر بكلي(البكري) ت 1986/1/13م :  
49. فتاوي البكري، ج2، مط العربية، غرداية، الجزائر، 1983م.

\* عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي ق 8هـ / 14م :  
50. كتاب العبر...مجلد-المعروف بالمقدمة دار الكتاب اللبناني، بيروت 1981م.

\* عبد العزيز الثميني اليسجني (ضياء الدين) توفي 1223هـ / 1808م  
51. كتاب النيل وشفاء العليل، تح وتصح: عبد الرحمن بن عمر بكلي.

52. التكميل لما أخل به كتاب النيل، تص ونشر حفيد المؤلف محمد بن صالح الثميني  
مطبعة العرب، تونس، 1944م.

53. النور، شرح قصيدة "النونية" للشيخ أبي نصر فتح بن نوح الملوثائي (ق 7هـ) قام  
بتجديد طبعة أبيأفلج بأيوب بن أحمد تصوير فوتوغرافي عن أصل مط طبع حجري مط  
العربية، غرداية، جوان، 1981م.

\* عبدالله بن حميد سلوم السالمي (نور الدين) توفي 1332هـ / 1914م :  
54. تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج1، ط2، مط الشباب القاهرة، 1350هـ، ج2، ط  
، مط السلفية، القاهرة، 1374هـ.

55. مشارق أنوار العقول، تص أحمد بن حمد الخليفي، ط ، مسقط 1981م.

\* عبدالله شريط (معاصر) :  
56. الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون، ش.و.ن.ت. ، ط، الجزائر 1981م.

\* عبد الحلیم محمود (شيخ الأزهر سابقا) :  
57. التفكير الفلسفي في الإسلام، ج1، ط3، دار النصر للطباعة، القاهرة 1968م.

\* عبد الحي الكتاني (معاصر) :  
58. نظام الحكومة النبوية، ج1، تا: حسن جعنا، دتا.

\* عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ( أبو منصور) توفي 429 هـ :  
59. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح لجنة إحياء التراث العربي ط، دار  
الآفاق الجديدة، بيروت، 1982م.

60. كتاب الملل والنحل حقه وقدم له وعلق عليه د.البير نصر نادر ط2، دار المشرق،  
بيروت 1970م.

\* عبد الملك الجويني (إمام الحرمين) :  
61. الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تح د.محمد بن يوسف بن موسى وعلي  
عبد المنعم، مكتبة الخانجي، القاهرة 1950م.

\* عز الدين بليق (معاصر) :  
62. منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين، دار الفتح، ط1 ، بيروت  
1978م.

\* علي إسماعيل الأشعري (أبو الحسن) ت.330هـ الأرجح 324:  
63. مقالات الإسلاميين..، ج1، 2 تح محي الدين عبد الحميد دار الحداثة، ط2، بيروت  
1405هـ / 1985م

\* علي بن أحمد سعيد الأندلسي (ابن حزم) توفي 456هـ / 1065م :  
64. الفصل في المل والنحل والأهواء، ط2، القاهرة 1320هـ.

\* علي بن محمد الماوردي الشافعي (أبو الحسن) 364- 450 هـ :  
65. الأحكام السلطانية، القاهرة 1386هـ.

\* علي مصطفى الغوابي (معاصر) :  
66. تاريخ الفرق الإسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين.  
\* علي يحيى معمر (ليبيا) 1915-1979 م  
67. الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث، ط1، مكتبة  
وهبة، القاهرة، ماي 1976م.

68. الإباضية في موكب التاريخ، ج1، ط1، دار الكتاب العربي القاهرة 1964م.

\* عمار طالبي (معاصر) :  
69. آراء الخوارج الكلامية، ج1، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1398هـ/1978م.

\* عمر بن رمضان التلاتي:  
70. نخبة المتين من أصول تبغورين، مط العربية، الجزائر، د.تا.

\* عوض محمد خليفات (معاصر) الجامعة الأردنية عمان  
71. النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية ط1، جامعة عمان 1982م.

72. التنظيمات السياسية والإدارية عند الإباضية في مرحلة الكتمان، وزارة العدل  
والأوقاف والشؤون الإسلامية، مسقط، د.تا.

73. الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، مط الشرقية  
مسقط، سلطنة عمان، د.تا.

\* فاروق عمر (معاصر)

74. التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين دراسات نقدية في تفسير التاريخ، ط2، دار  
اقراء، بيروت، لبنان 1406هـ/1985م.

\* فؤاد محمد شبل (معاصر) :

75. الفكر السياسي، دراسات مقارنة للمذاهب السياسية... الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
1970م.

\* فرحات الجعيري (تونس- معاصر) :

76. نظام العزابة عند الاباضية الوهيبية في جربة، مط العصرية تونس 1975م.

\* محمد أبو زهرة (معاصر) :

77. تاريخ المذاهب الاسلامية، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة 1976م.

\* محمد أحمد خلف الله (معاصر) :

78. القرآن والدولة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2 بيروت 1981م.

\* محمد بن بابيه الشيخ بالحاج (ابن الشيخ- معاصر) :

79. القرآن... والسنة... عند الاباضية، مط العربية، غرداية، 1984م.

\* محمد جلال شرف (معاصر) :

80. نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام، دار النهضة، بيروت 1982هـ.

\* محمد بن زيد المبرد (أبو العباس) 285هـ/898م :

81. الكامل في اللغة والأدب، مط التجارية الكبرى، القاهرة، 1355هـ.

\* محمد بن يوسف اطفيش (قطب الأئمة) بني يسقن 1818م- 1914م :

82. إن لم تعرف الاباضية يا جزائري، رسالة في الرد على العقبي الطاعن في الدين،  
معها حواشي الشيخ عبدالله بن حميد سلوم السالمي، أمر بطبع الكتاب فيصل بن تركي، سلطنة  
عمان، فرغ من تأليفه 3 جمادى الأولى عام 1328هـ.

83. شرح عقيدة التوحيد، طبع حجري، بخط الحاج محمد بن الحاج صالح.

84. شرح كتاب النيل، وشفاء العليل، ج13 و14، ط2، دار الفتح، بيروت 1972م.

85. الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص تح وتع: أبي اسحاق إبراهيم اطفيش، ط2، مط  
البعث، قسنطينة، 1400هـ/1980م.

86. شامل الأصل والفرع، ج1 و2، التزم بطبعه وتصحيحه أبو اسحاق إبراهيم اطفيش،  
مط السلفية بمصر، القاهرة 1348هـ.

87. تفتيه الغامر بترتيب لقط موسى بن عامر، طبع حجرى، كتب فى آخر الكتاب، تم طبعه ليوم 12 من شوال عام 1319هـ، على يد ملتزم طبعه: داود بن إبراهيم بن داود اليسجنى.

88. كتاب المعلقات(مخ) طبع حجرى، كتب فى الورقة الأخيرة قد تم طبع هذا الكتاب المستطاب بإعانة الملك الوهاب على ذمة ملتزمة...محمد بن يوسف البارونى...بقلم حسن العنابى الشاذلى، د. تا نسخة المكتبة الوطنية، الجزائر.

90. كتاب جامع الشمل فى حديث خاتم الرسل طبع حجرى بخط اليد (ص436) جاء فى نهاية الكتاب: قد تم طبع هذا الكتاب بإعانة الملك الوهاب فى غرة ذى الحجة 1304هـ، البارونى.

91. وفاء الضمانة بأداء الأمانة، مط الأزهار البارونى القاهرة 1326هـ.

92. إزالة الاعتراض عن محقى آل اباض، وزارة التراث القومى والثقافة سلطنة عمان، مط الشرقية، مسقط 1982.

\* محمد الطيب النجار(معاصر) :

93. محاضرات فى تاريخ العالم الاسلامى، دار الاتحاد العربى للطباعة والنشر، القاهرة 1401هـ/1981م.

\* محمد بن عبد الكرىم الشهرستانى (أبو الفتح)479-548 هـ :

94. الملل والنحل، تح محمد سيد كيلانى ج1 و2، ط2، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، 1975م.

\* محمد بن جرير الطبرى(أبو جعفر) ت.310 هـ/922م:

95. تاريخ الأمم والملوك، ج4، مط، الحسينية القاهرة، 1336هـ.

\* محمد على دبوز 1981 :

96. تاريخ المغرب الكبير، ج3، ط1، دار إحياء الكتب العربية القاهرة 1963م

\* محمد المبارك(معاصر) :

97. نظام الاسلام، الحكم والدولة، ط3، دار الفكر، بيروت 1980م

\* محمود إسماعيل(معاصر) :

98. الحركات السرية في الاسلام، (رؤية عصرية) ط1، دار القلم، بيروت، لبنان،  
1983م

\* مهدي طالب هاشم(معاصر)  
99. الحركة الاباضية في المشرق العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ط1، دار  
الاتحاد للطباعة، بغداد، 1981م.

\* موسى لقبال(معاصر) :  
100. الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي نتائجها وتطورها، ط1، الشركة الوطنية  
للنشر والتوزيع، الجزائر 1971م.

\* يحيى بن أبي بكر(أبو زكريا) :  
101. كتاب سير الأئمة وأخبارهم، تح، ووضع الهوامش د.إسماعيل العربي، ط2، دار  
الغرب الاسلامي، بيروت، 1982م.

\* يحيى بن أبي الخير الجنائني(أبو زكريا) أوائل القرن 5 الهجري:  
102. كتاب الوضع، مختصر في الأصول والفقهاء نشر وتعد، أبو اسحاق إبراهيم اطفيش،  
ط1، مط الفجالة الجديدة، القاهرة، مصر، 1992م.

\* يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (أبو يعقوب) توفي 570 هـ / 1174م :  
103. الدليل لأهل العقول بالرهان والصدق...ثلاثة أجزاء، طبع حجري بخط اليد، مط  
البارونية، القاهرة، 1306هـ

## المعاجم

\* معجم ألفاظ القرآن الكريم: :  
مجمع اللغة العربية، ط3، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1907م



\* معجم البلدان:  
للشيخ شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت،  
1984م

\* المعجم الفلسفي :  
تأليف د.جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني بيروت، 1979م

\* الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية:  
تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تح أحمد بن عبد الغفور عطار، ط3 دار العلم للملايين  
بيروت، 1984م.

### الدوريات

\* الأصالة وزارة الشؤون الدينية، عدد 41، مط البعث قسنطينة 1977م  
\* جبرين، مجلة ثقافية يصدرها الطلبة العمانيون في الجامعة الأردنية.

### المحاضرات

\* عبد الرزاق قسوم (دكتور) معاصر:  
الآراء الكلامية عند المعتزلة، محاضرة ألقاها بدائرة الفلسفة، معهد العلوم الاجتماعية  
جامعة الجزائر، بتاريخ 16.11.1981م.

\* محمد بن بابيه الشيخ الحاج، أستاذ التاريخ الاسلامي والشريعة بمعهد الحياة الثانوية القرارة،  
ولاية غرداية::  
الاجتهاد في المذهب الاباضي، محاضرة ألقاها بمناسبة انعقاد ملتقى الفكر الاسلامي،  
قسنطينة، يوليو 1983م.

\* محمد بن صالح الثميني :  
مفهوم الشورى والديموقراطية في التاريخ العربي لدى الرستميين، والجماعات المحلية  
بوادي ميزاب "بالجنوب الجزائري" محاضرة أقيمت بمناسبة المؤتمر الثاني للبرلمان العربي  
،الجزائر من 8 الى 12 مارس 1981م.

#### المقابلات

- \* الشيخ صالح بزملا (محافظ مكتبة القطب) بني يسقن، في صيف 1984م.
- \* الدكتور عمار طالبي (مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية "سابقا قسنطينة) في الجزائر ماي 1984م، وقسنطينة أفريل 1985م.
- \* الشيخ محمد بن بابة الشيخ بالحاج (أستاذ الشريعة والتاريخ الإسلامي، معهد الحياة) القرارة في صيف 1984م.
- \* الدكتور محمد عبد الباقي (أستاذ بمعهد الفلسفة جامعة الجزائر، سابقا) أفريل 1986م.
- \* الدكتور محمد ناصر (أستاذ الأدب الجزائري بمعهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر) في القرارة صيف 1984م.
- \* الأستاذ بيار كيبيرلي P. Cuperly مدير المركز الأسقي للدراسات والأبحاث، الجزائر في 12. 1. 1986.

#### المراجع الأجنبية

- \* Bel (Alfred)
  - La religion musulmane en Berberir, edit.
- \* Cuperly (Pierre).
  - Introduction a letude de l, Ibadisme et de sa theologie, edit. O.P.U. Alger 1984.
- \* Daddi- Addoun (Aicha)
  - Sociologie et histoire des Algeriens ibadites imp. El-Arabia, Ghardaia 1977.
- \* Dangel (Gerard)
  - L,imamat Ibadite de Tahert (716. 909), Contribution a L,his- toire de i. Afrique du Nord durant le moyen age, these pre-paree pour le doctorat du 3em. Cycle, Strasbourg, Universe- tr des Sciences Humaines, 1977.
- \* Gardet (Louis)

- Les hommes de I, Islam, approche des mentalites, edit. Complexe, Bruxelles, 1984.
- \* Lewicki (Tadeuz)
  - Encyclopedia de I, Islam, nouvelle edition G.P. maisonneuve & Larose, Paris. 1971, tome3, article: AL-IBADIYYA? Pp. 669-862.
- \* Marcais (Georges)
  - La berberie Musulmane et I, Orient au Moyen age, edit. Montaignin, Alger, 1946.
- \* Mercier (Marcel)
  - La civilisation urbaine au M, ZAB, edition Subiron, Alger, 1932.
  - Etude sur le waqf Ibadite et ses application au M, ZAB, edit
- \* Merghoub (Belhadj)
  - Le development politique en Algerie, etude de la population de la region du M, ZAB, Edie, Armand Colin, Paris 1972

#### الدوريات الأجنبية

- \* Brkri (Chikh)
  - Le Kharjisme Berbere, Quelques Aspects du Royaume Rustumide, Annales de I, Institut d, Etudes Orientales (A.I.E.O.), University d, Alger, Tome 15, Alger 1975.
- \* Dhina (Amar)
  - Ibn Rostoum, Fondateur du Royaume Ibadite de tahert, El-Moudjahed, 27-28/ 07/1984.
- \* Moutylinski (A. de C.)
  - L, Aquida des Abadites, Recueil de Memories et de textes publies en I, Honneur de 14em Congres Internationale des Orientalistes, imp. Alger, 1905.

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	السورة	الصفحة	بداية	الرقم التسلسلي الآية
-----------	--------	--------	-------	-------------------------

44	يونس	54	(1) إن الله لا يظلم الناس شيئا
96	الصفات	56	(2) والله خلقكم وما تعملون
63	الإسراء	57	(3) ولا تقف ما ليس لك به علم
107	الكهف	62	(4) إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
16	البينة	62	(5) إن الذين كفروا من أهل الكتاب
9	آل عمران	62	(6) إن الله لا يخلف الميعاد
73	الأحزاب	63	(7) ليعذب الله المنافقين والمنافقات
2	التغابن	64	(8) هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن
10	البلد	64	(9) إما شاكرا وإما كفورا
5	البينة	66	(10) وما أمروا إلا ليعبدوا الله
19	آل عمران	66	(11) إن الدين عند الله الإسلام
108	هود	69	(12) فأما الذين شقوا ففي النار
7	الشورى	96	(13) فريق في الجنة وفريق في السعير
23	الجن	70	(14) ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم
1	القدر	71	(15) إنا أنزلناه في ليلة القدر
25	الحديد	71	(16) وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد
9	الحجر	71	(17) إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون
3	الزخرف	71	(18) إنا جعلناه قرآنا عربيا
12	الإسراء	71	(19) وجعلنا الليل والنهار آيتين
113	طه	71	(20) أو يحدث لهم ذكر
6	لقمان	71	(21) ومن الناس من يشري لهو الحديث
59	النجم	71	(22) أفمن هذا الحديث تعجبون
9	الحجر	71	(23) وإنا له لحافظون
17	الحجر	71	(24) وحفظناها من كل شيطان رجيم
23	الزمر	71	(25) كتابا متشابها
141	الأنعام	71	(26) والنخل والزرع مختلفا أكله
7	آل عمران	71	(27) فيتبعون ما تشابه منه
3	فصلت	71	(28) كتاب فصلت آياته
12	الإسراء	71	(29) وكل شيء فصلناه تفصيلا
1	الجن	71	(30) إنا سمعنا قرآنا عجبا
181	آل عمران	71	(31) لقد سمع الله قول الذين قالوا
13	الجن	71	(32) وإنا لما سمعنا الهدى أمنا به
18	الزمر	71	
13	الجن	71	
5	البقرة	71	
	البقرة	75	

100	النساء	92	(33) الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
121	الأنعام	94	(34) وأنا لما الهدى أمنا به
100	النساء	95	(35) أولئك على هدى من ربهم
55	الشورى	128	(36) تلك أمة قد خلت
153	آل عمران	128	(37) ومن يخرج من بيته مهاجرا
74	الفرقان	129	الى الله
124	البقرة	130	(38) وان أطعتموهم إنكم
104	آل عمران	139	لمشركون
58	النساء	139	(39) ومن يخرج من بيته مهاجرا
66	الأنفال	144	الى الله
63	طه	149	(40) وعد الله الذين آمنوا وعملوا
8	المنافقون	151	الصالحات
104	آل عمران	151	(41) وآتينا موسى سلطانا مبينا
207	القبرة	160	(42) واجعلنا للمتقين إماما
111	التوبة	160	(43) إني جاعلك للناس إماما
94	الحجر	160	(44) ولتكن منكم أمة
13	الحجرات	182	(45) إن الله يأمركم أن تودوا
41	القصص	195	الأمانات
59	النساء	203	(46) الآن خفف الله عنكم
33	المائدة	205	(47) الذي جعل لكم الأرض مهادا
70	الاسراء	211	(48) والله العزة ولرسوله
159	البقرة	217	(49) ولتكن منكم أمة
28	الشورى	218	(50) ومن الناس من يشري نفسه
157	الأعراف	247	(51) إن الله اشترى من المؤمنين
33	المائدة	248	أنفسهم
			(52) فاصدع بما تؤمر
			(53) إن أكرمكم عند الله أتقاكم
			(54) وجعلنا منهم أئمة
			(55) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله
			(56) إنما جزاء الذين يحاربون الله
			(57) ولقد كرمنا بني آدم
			(58) وشاورهم في الأمر
			(59) وأمرهم شورى بينهم
			(60) ويحرم عليهم الخبائث
			(61) إنما جزاء الذين يحاربون الله

فهرس الأحاديث النبوية

الراوي	بداية الحديث	الصفحة
عن أبي هريرة	الأمر كلها خيرها وشرها من الله تعالى	40
	إذا أراد الله إنفاذ قضائه	40
	قف عما لم تعلم	41
	لا يسرق السارق	45
	يستحلون الأموال والدماء بالمعصية	65
رواه البخاري ومسلم	الإمام الذي على الناس راع	85
رواه مسلم	من نزع يده عن طاعة إمامه	85
رواه البخاري ومسلم	الإمام الذي على الناس راع	90
رواه جابر عن ابن عباس	أطيعوهم ما لم يمنعوكم الصلوات الخمس	90
رواه جابر عن ابن عباس	تخيروا لإمامتكم	90
	الأئمة من قريش	115
	سيكون بعدي خلفاء	120
رواه أحمد والبيهقي	إذا رأيت أمتي تهاب الظالم	120
رواه أبو داود والترمذي	إن الناس إذا رأوا الظالم	120
رواه مسلم عن أبي سعيد	من رأى منكم منكرا فليغيره	120
	على المرء المسلم السمع والطاعة	121
رواه جابر عن ابن عباس	إن أمر عليكم عبد حبشي	123
متفق عليه	من كره من أمره شيئا	123
متفق عليه	من خلع يدا من طاعة	124
رواه مسلم عن أبي رقية	الدين النصيحة	124
رواه مسلم	لله وكتابه ولرسوله	124
رواه أبو داود والترمذي	أفضل الجهاد كلمة عدل	124
	من ولاه الله شيئا	128
رواه أبو داود والترمذي	إذا أراد الله بالأمير خيرا	131
رواه الحاكم	من ولي من أمر المسلمين شيئا	134
رواه الحاكم	من استعمل رجلا من عصابة	134
- كما قال صلى الله عليه وسلم -	الكل راع وكل راع مسؤول عن رعيته	135

## فهرس الجداول التوضيحية

الصفحة	موضوع الجدول
41	شروط وجوب الولاية
41	الجهات التي تتم بها الولاية والبراءة
42	من تجب فيه الولاية
42	من تجب فيه البراءة
46	قواعد الاسلام وأركانها ومسالكه وأسهمه ومجاريه وحدوده وإفرازه وإجرازه
47	أركان الكفر وقواعده
49	أفعال وصفات الحدوث الواردة في القرآن المتعلقة بالقرآن والأشياء
51	حكم الاباضية على من أحدث في الدين
65	خطط انقسام جماعة المحكمة وظهور الاباضية والخوارج
97	حكم الدار ومعسكر السلطان
100	مرحلة الدفاع: النتائج المحتملة
110	خلاصة مسالك الدين



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
8	مقدمة
14	مدخل
	الباب الأول: المذهب الاباضي
20	<b>الفصل الأول: نشأة المذهب الاباضي</b>
21	أولاً: ظروف النشأة
25	ثانياً: أصل التسمية
27	ثالثاً: الاباضية في المشرق
30	رابعاً: الاباضية في المغرب
35	<b>الفصل الثاني: الأصول العقيدية للمذهب الاباضي</b>
36	أولاً: الأصول التسعة
36	1- التوحيد
38	2- العدل
39	3- القضاء والقدر
39	4- الولاية والبراءة
43	5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
43	6- الوعد والوعد
44	7- المنزلة بين المنزلتين
44	8- لا منزلة بين المنزلتين
45	9- الأسماء والأحكام
46	(مفهوم الايمان والاسلام والدين)
47	ثانياً: بعض المسائل الخلافية
47	1- نفي الرؤية
47	2- مسألة الخلود
48	3- خلق القرآن
50	4- حكم الاباضية على مخالفيهم ومن أحدث في الدين
52	5- رأي الاباضية في الصحابة
	<b>الفصل الثالث: الاباضية والفرق الاسلامية</b>
53	أولاً الاباضية والأشعرية
	ثانياً: الاباضية والمعتزلة
	ثالثاً: الاباضية والشيعة
	رابعاً: الاباضية والخوارج
	خامساً: دعوة الاباضية الى التقارب ونبذ الخلاف

	<p><b>الفصل الرابع: الشيخ محمد بن يوسف اطفيش</b>  <b>أولاً: حياته</b>  أ- نشأته وتعليمه  ب- شخصيته  ج- تلاميذه  د- موقفه من الاستعمار الفرنسي  <b>ثانياً: تأليفه</b>  <b>ثالثاً: فكره</b>  أ- المنحنى الكلامي  ب- فلسفة العلوم  ج- المنحنى الأخلاقي والجمالي</p>
	<p>الباب الثاني: الفكر السياسي عن الاباضية</p>
	<p><b>الفصل الأول: مفهوم الامامة ومشروعيتها وشروطها</b>  <b>أولاً: مفهوم الامامة (تحديد المصطلح)</b>  <b>ثانياً: مشروعية الامامة وشروطها</b>  أ- آراء الفرق الاسلامية  ب- رأي الاباضية  ج- الأدلة النقلية  د- الأدلة العقلية  <b>ثالثاً: ثبوت الامامة</b>  <b>رابعاً: وحدة الامامة وتعددتها</b>  <b>خامساً: شروط الامامة</b></p>

	<p><b>الفصل الثاني: أنواع الامامة (مسالك الدين)</b>  <b>أولا: الظهور</b>  أ- علاقة الاباضية بالأمم في مرحلة الظهور  ب- الحكم في الأموال والكنائس والبيع  ج- علاقة الاباضية بأهل الخلاف في الظهور  د- حكم الدار ومعسكر السلطان  <b>ثانيا: الدفاع</b>  أ- موجات الدفاع  ب- نتائج الدفاع  <b>ثالثا: الشراء</b>  أ- شروط مرحلة الشراء  ب- أهداف الشراء  <b>رابعا: الكتمان</b>  أ- التنظيم الاجتماعي في مرحلة الكتمان  ب- علاقة الاباضية بمخالفهم في الكتمان  ج- نظام العزابة  د- نظام العشيرة</p>
	<p><b>الفصل الثالث: إمامة الظهور</b>  <b>أولا: شروط الامام</b>  <b>ثانيا: تنصيب الامام</b>  أ- الترشيح  ب- البيعة  ج- الصفقة  د- حالات استثنائية عند البيعة  <b>ثالثا: موجبات عزل الامام</b>  <b>رابعا: هل يجوز الخروج على السلطان الجائر</b>  <b>خامسا: موقف الامامة من الإمام العادل</b>  <b>سادسا: مسؤوليات الامام وواجباته</b>  أ- المسؤوليات الأمنية  ب- المسؤوليات الإدارية  ج- المسؤوليات الدينية  د- المسؤوليات الاقتصادية  هـ- المسؤوليات الاجتماعية</p>

	الفصل الرابع أولاً: مجلس الشورى ثانياً: الوزير
	ثالثاً: القاضي رابعاً: الولاة خامساً: الحسبة والشرطة سادساً: الجيش
	الخاتمة ملحق
	الفهارس فهرس المصادر والمراجع فهرس الآيات القرآنية فهرس الأحاديث النبوية فهرس الأعلام فهرس البلدان والأماكن فهرس الفرق والمذاهب والأديان والقبائل فهرس الجداول التوضيحية فهرس الموضوعات